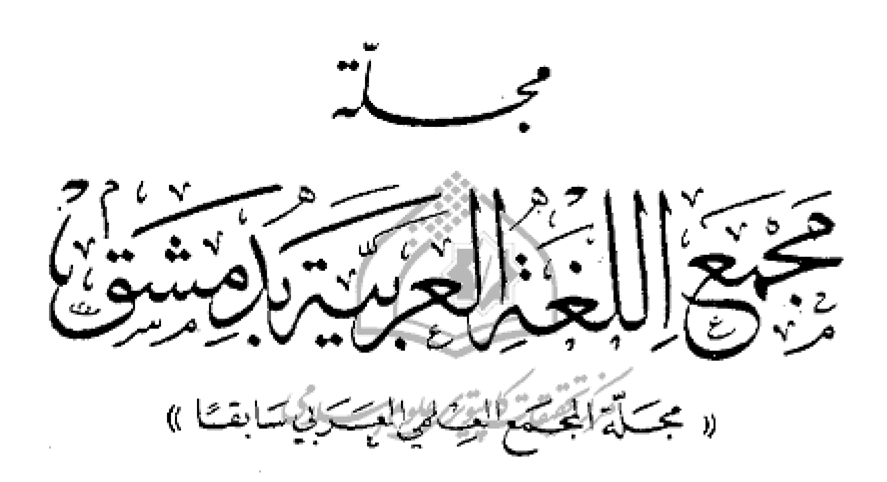
مجلة



« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



المحرم ١٤٠٣ هـ
تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٢ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نظرة في

معجَم المصْطلحات الطبّيّة

الكَثير اللغات

للدكتور أ . ل . كلير فيل
نقله إلى العربية الأستاذ مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

ـ ٥٣ ـ

الدكتور حسني سبح

١٤٤٧٠ ـ البَصَر (عُضْوٌ) — 14470 - vue (organe de vue)

(١٢) طَبَقَةٌ شابِكَةٌ أو شِبْهُ ضَفيرِيَّةٍ باطِنَة — (12) couche réticulée ou plexiforme interne

وأرجح طبقة شُبَيْكِيَّة باطِنَة او شِبْه ضَفيرِيـة او ضُفَيرانِيـة باطِنة . وطبقة جُزَيئِيَّة باطنة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي .[١]

(١٣) حُمْرَة الشَّبَكِيَّة — (13) érythropsine

وأرجح حُمْرة البَصَر وأرجُوَان البَصَر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٢] ولأن هذا اللَّون البادي في الطَبَقة الشَبَكِيَّة يَقْتَصر وجوده على النَبابيت (batonnets) دُون المَخارِيط (cônes)

---

(١) (inner molecular layer)

(٢) (visula purple, shodopsin, erythropsin, erythropsin)

(١٤) ألياف مُولَّر (14) fibres de Müller

وألياف مُولَّر الماسِكَة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي .[١]

١٤٤٧١ ـ مَنْظَرة مُجَسَّمَة ، صُورَة مُجَسَّمة 14471 - vue stéréoscopique; image stéréoscopique

وأفضل مرأى مُجَسَّم . صُورَة مُجَسَّمة .

١٤٤٧٢ ـ جَروحيَّة 14472 - Vulnérabilité

وتَعَرُّضِية ، والتَّأهب للعَدْوى .[٢]

١٤٤٧٣ ـ دَواءٌ نافِعٌ الجروح 14473 - Vulnéraire

وأفضل جَرْحي (نسبة الى الجَرْح) ونَافِع للجروح (دواء)

١٤٤٧٧ ـ فَرْج 14477 - Vulve

وأفضل فَرْج (المرأة) .[٣]

(٦) صِماخ بَوْلي (6) méat urinaire

وأفضل الكِظامَة .[٤]

---

(١) (Müller's supporting fibres)

(٢) لفظة (vulnerability) في معجم دُرْلَنـد الطبي (Dorland ' s Illustrated Medical Dictionary)

(٣) في لسان العرب : الفَرْج العَوْرَة والفُرج شِوار (هكذا وَرَدت بالكسْر والصحيح بالفَتْح) الرَجُل والمَرأة ، وشَوار الرَّجُل ذكره وخصياه وأَسْتُه . والشَّوار فَرْج المَرْأة والرَّجُل .

(٤) في لسان العرب : والكِظامَة من المَرْأة مَخْرجُ البَوْل

الصِماخ من الأذن : الخَرْق الباطِن الذي يفضي الى الرأس

ولا أرىوجهاً لاستعارة إسْتعماله في هذا الصَّدد لأنه يَدُل على المَجْرى لاالمَخْرج نفسه

X

14481 - Xanthélasma; xanthome plan

١٤٤٨١ ـ صُفار ؛ وَرَمٌ أَصْفَرُ مُسَطَّح

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : صفاح أصفر = ورم أصفر وجاء في الشرح : مرض يصيب الجلد وبخاصة في الجفنين يظهر في صورة صفائح صفر

وأفضل لويحة صفراء ، أصفروم[1] أو ورم أصفر مسطح

14482 - Xanthochromie

١٤٤٨٢ ـ اِصْفِرارُ الْجِلْد

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : الخضاب الاصفر (زانثوكروميا) وجاء في الشرح : نقط صفر على الجلد تظهر في مرض البول السكري . سببها قصور الكبد عن تحويل الكاروتين الى فيتامين (آ) وأرجح اصفرار الجلد .

14483 - Xanthome

١٤٤٨٣ ـ وَرَمٌ أَصْفَر

واصفروم . وأقر مجمع اللغة العربية تعريب اللفظة زانثوما . وجاء في الشرح وهي تورمات صفر تتكون تحت الجلد .

(١) مما اتفق عليه في لجنة المعجم الطبي الموحد الرجوع الى اقتراح قديم باضافة وم بضم الواو على اسم العضو المصاب بالورم مجاراة لما هو جاء في اللغات الاجنبية وتسهيلا للدلالة واقتصارا على كلمة واحدة عوضا عن كلمتين .

١٤٤٨٤ ـ رُؤيَةٌ صَفْراءُ (في اليَرَقان) 14484 - Xanthopsie

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة صفرة المرئيات وجاء في الشرح : وهي حالة تظهر فيها الاشياء صفراء . وأرجح الرؤية الصفراء (في المريوقين)

١٤٤٨٥ ـ صَوْمَلَة ، جَفافُ الجِلْد 14485 - Xérodermie

واللاشّحام كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(١)

١٤٤٨٦ ـ جَفَفُ العَيْن ؛جُفاف ؛رَمَدٌ 14486 - Xérophtalmie; xérosis; xérome

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : جفاف العين وجاء في الشرح : وفيه تصبح الملتحمة جافة عديمة اللمعان بسبب نقص فيتامين (أ)

وأفضل رمد جاف (عن شرف) جُفاف ، ورم جاف أو جفاف الملتحمة

١٤٤٨٧ ـ جَفاف ، جُفوف 14487 - Xérose

١٤٤٨٨ ـ جافّ ، صامل ، ناشف 14488 - Xérotique

وأفضل جفاف في اللفظة الاولى وجفافي في الثانية

١٤٤٨٩ ـ خَنْجَري 14489 - Xiphoïde

١٤٤٩٠ ـ رَهابَة ، خَنْجَريّ (ذَيْل) 14490 - xiphoïde (appendice)

وأفضل خنجراني في اللفظة الاولى ورهابة الخنجراني (الذيل) في الثانية

---

(١) (astiatosis)

١٤٤٩١ ـ غَوْلُ المَوْص ، كِسيلُولْ ؛ كِسيلَنْ ؛ بَنْزَنْ مُضاعَفُ المَتيل
وأفضل زيلول ، زيلين بنزين مضاعف المتيل

14491 - Xylol; xylène; diméthyl-benzène

١٤٤٩٢ ـ يَمْ ـ كسيلوزْ ؛ سُكَّرُ الخَشَب
وأفضل زيلوز ، سكر الخشب

14492 - d-Xylose; sucre de bois

Y

١٤٤٩٣ ـ عُيونٌ مُحاطَةٌ بدائِرَةٍ زَرْقاء
وأفضل عَيْنان ذَابلتَان او هاجَّتان[1] او هَجَّافَتان[2]

14493 - Yeux cernés

١٤٤٩٤ ـ عُيونٌ مُحتَقِنَةٌ دَماً
وأفضـل عَيْنـان مُـدمَيَتـان ، كما جـاء في الترجمـة الانكليزيـة من المعجم الاصلي[3]

14494 - yeux injectés de sang

Z

١٤٤٩٩ ـ خُطوطٌ عَلى شَكْلِ الحَرْفِ Z ؛

14499 - Zig- zag (en); zig-

---

(١) في لسـان العرب : هَجَّج البعيرُ يُهَجِّج إذا غـارَت عَيْنُـه في رأسِه مِنْ جُـوعٍ او عَطَشٍ او اعْياء غير خلقة ، الى أن قال وعَيْنٌ هاجَّة أي غائرة .

(٢) في المُخَصص : ويقال عين هَجَّانَة غائرة ، ومِنْه قَول تلك لأمها أجد عَيـنَـيَّ هَجَّـانَـة . وقد يكون التَهْجيج للبعير . التَهْجيج غُؤور العَيْن من عَطَشٍ او إعْياءٍ لاخِلْقة .

(٣) (blood-shot eyes)

خُطوطٌ عَموج zagué, ée; festoné, ée

وأفضل بتَعرُّج ، مُتعرِّج ، مُتمايل ومُتَردِّد[١]

١٤٥٠٠ ـ توتْياء 14500 - Zinc

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : زنك ـ خرصين . وأرجح زنك تعريباً . أما خرْصين فقد جاء رسم اللفظ بالألف (خارصين) في جميع المعاجم التي اطلعت عليها وإن هذه الكلمة والتوتياء معربتان ايضاً .[٢]

١٤٥٠١ ـ التُّوتْياء (كْلورُور) 14501 - zinc (chlorure de)

وأفضل كُلُور الزَنك وكذلك الألفاظ التالية

١٤٥٠٦ ـ تُوتْيائي 14506 - Zincique

وأفضل زَنْكي

١٤٥٠٧ ـ داءُ المَنطِقَة ، تَناذُرٌ جُذَيريٌّ عُقْدِيّ ؛ قُوباءٌ مَنْطِقيّة 14507 - Zona: syndrome radiculo-ganglionnaire; herpes zoster

وأرجح داءُ المَنْطِقة ، المُتَلازِمَة[٣] الجُذَيرِيَّة العُقْدِيَّة ، العقبولة المَنْطِقيَّة[٤]

---

(١) أرى المقصود من اللفظة الأخيرة المَشْي غَيْر السَوِيّ شأن الحال في السُكر .

(٢) وذكر في المعاجم ان كليها يَدل على حَجَر يُكْتَحَل به . وتطلق توتياء في بلاد الشام على حَيْوان يعرف بقُنْفذ البَحر (echinus بالانكليزية و oursin بالفرنسية) وللتمييز بينهما (الحيوان المائي والجماد المعدني) انه يحسن ان تخصص تسمية توتيا بلا مد للحيوان المذكور او توتياء للمعدن

(٣) الصفحة ٤٣٧ من المجلد الخامس والخمسين من هذه المجلة

(٤) الصفحة ٨٥ من المجلد الثاني والاربعين من هذه المجلة

١٤٥١١ ـ مَنْطِقَةُ الاسْتِغاثَة — 14511 - zone d'alarme

وأفضل مَنْطِقَة الحَذَر او بُقْعَة الحَذَر

١٤٥١٢ ـ مَنْطِقَةٌ مورِثَةُ الأَلَم : مَنْطِقَةٌ باعِثَةُ الوَجَع — 14512 - zone algésiogène; zone provoquant une douleur

وأفضل مَنْطِقَة او بُقْعَة مُثيرَة للألَم وبُقعة او مَنطِقَة مُؤْلِمَة او مُوجِعَة

١٤٥١٣ ـ مَنْطِقَةُ الانْبِعاث أو بَدْء العَمَل (في أَلَمٍ أو بُحْران) : مَنطِقَةٌ تخَرُّشِيَّة ، انْظُر : شَوْكَةٌ مُخَرِّشَة — 14513 - zone de déclenchement (d' une douleur ou crise); zone irritative, v. épine irritative

والصحيح : مَنْطِقَة او بُقْعَةُ الإثارَة او الإطْلاق (في أَلَم او نَوْبة[1] ، مَنْطِقَة او بُقْعَة حَساسة) أنْظر شَوْكَة مُثيرَة

١٤٥١٤ ـ مَنْطِقَةٌ مورِثَةُ الصَّرْع — 14514 - zone épileptogène

وأفضل مَنْطِقَة او نَاحِيَة مُثيرَةُ الصَرْع

١٤٥١٥ ـ مَنْطِقَةٌ عاطِفِيَّة ، مورِثَةُ العِشْق — 14515 - zone érotogène

والصحيح مَنْطقة مُشْبِقَة[2]

---

(١) وما يقصد من المنطقة المذكورة هي التي يؤدي غمزها او ضغطها الى إحداث نَوْبة هستريائية (في الغالب) في ذوات التأهب وكذلك إثارَة الألم الكامن او الهاجع ، ولاصلة لها بالبحران الذي تنتهي به الحمى عادَة

(٢) وهي النواحي او الأعضاء التي تُثير الشَهوَة الجِنْسيَّة .

١٤٥١٦ ـ مَنْطِقَةٌ تَحَسُّسِيَّة — 14516 - zone hyperesthétique

وأفضل مَنْطِقَة مُفرِطَة الحِسّ

١٤٥١٨ ـ مَنْطِقَة مُهْرِعَةٌ أو مُشَنِّجَة — 14518 - zone hysterogène ou spasmogène

وأفضل مَنْطِقَة مُثِيرَة الهِسْتِريا[١] او التَشنُّج

١٤٥٢٠ ـ مَنْطِقَةُ الخَرَس — 14520 - zone de matité

وأفضل مَنْطِقَة الصَمَم او الأصمِّيَة[٢]

١٤٥٢٢ ـ مَنْطِقَةٌ سُرِيَّة — 14522 - zone ombilicale

ونـاحيـة السُرَة ، كما جـاء في الترجمـة الانكليزيـة من المعجم الاصلي[٣]

١٤٥٢٤ ـ مَنْطِقَةٌ مورِثَةُ السُّعال — 14524 - zone tussipare

مُثِيرَة للسُّعال

١٤٥٢٦ ـ مَنْطِقَةُ تِسينْ ؛ مَنْطِقَةٌ هدُبِيَّة — 14526 - zone de Zinn; zonula

مُنَيْطِقَة هُدْبِيَّة في اللفظة الثانية

١٤٥٢٨ ـ طُفَيْلِيٌّ حُيَيْوانِيّ — 14528 - Zooparasite

وأفضل حَيْوانٌ طُفَيْلي

١٤٥٣١ ـ خَلِيَّةٌ مُقْتَرِنَة ، خَلِيَّةٌ مُوَحَّدَة — 14531 - Zygote

وأفضل خَلِيَّة مُقْتَرِنَة

---

(١) الصفحة ٣٠٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٢٥٦ من المجلد الخامس والاربعين من هذه المجلة .

(٣) (umbilical region)

الخاتمة

بهذه المقالة أفرغ من عرض ما بدا لي من ملاحظات على كتاب الدكتور أ . ل . كليرفيل : « معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات » الذي نقله إلى العربية « لجنة المصطلحات العلمية » في كلية الطب بالجامعة السورية (جامعة دمشق اليوم) وكان قوام هذه اللجنة الأساتذة الأجلاء : مرشد خاطر ، وأحمد حمدي الخياط ، ومحمد صلاح الدين الكواكبي رحمهم الله جميعاً ، وأجزل لهم ثواب الآخرة كفاء ما بذلوا من جهد في خدمة لغتنا الكريمة في مجال مصطلحات العلوم الطبية . وقد طبعت الترجمة المذكورة في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٦ ، وجاء المعجم في ٩٦٠ صفحة تشتمل على ١٤٥٣٤ مادة ، وهو عدد يبدو ضئيلا جداً إذا ما قيس بما حوته معجمات أخرى مماثلة[١] .

وكان سلفي العلامة الجليل الأمير مصطفى الشهابيّ ـ طيب الله ثراه ـ قد رغب إليّ أن أعرف بهذا المعجم في « باب الكتب » من مجلة المجمع على السنة التي أخذ بها المجمع في التعريف بما يهدى إلى مكتبته من مطبوعات . وكان العرف المتبع أن يجتزئ المعرّف ببضع صفحات يلم فيها بجملة ما ينبغي أن يقال في الكتاب . وقد حاولت أن ألتزم ذلك ، ولكني سرعان ما رأيتني مضطراً إلى العدول عن ذلك

(١) كما أنه خلا من الكثير من المصطلحات الحديثة (آنئذ) ، ولم يخل من حشو بعض الألفاظ المهجورة وحتى البعيدة منها عن علوم الطب .
أشرت إلى هذا وإلى غيره في مقدمة المقالة الأولى المنشورة في الصفحة ٨٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة ، وفيها نبذة قصيرة عن تاريخ تعليم الطب الحديث بالعربية ويحسن الرجوع إليها .

النهج إلى النهج الذي أخذت به . وذلك أن الكتاب اعتبر المرجع الوحيد والرسمي لمصطلحات علوم الطب في قطرنا ، ولما شرعت أتصفحه ، ونظرت في طائفة من مواده نظرة سريعة مشيراً في الهامش إلى ما ينبغي لي أن أقول كلمتي فيه ، وأحصيت ذلك وجدته بلغ ٩٠٠ مادة لا تفي بالكلام فيها صفحات قلائل ، فأخذت أنشر في ذلك سلسلة مقالات بعنوان « نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات » بلغت أربع عشرة مقالة تقع في ٢٢٠ صفحة .

كان ذلك هو الخطوة الأولى في عملي هذا ، ثم تبعتها الخطوة الثانية ، وكان الباعث على ذلك أن مقالاتي السالفة لقيت استحساناً من العاملين في هذا المجال ، وأن « مجمع اللغة العربية في القاهرة » أخذ ينشر مجلدات سنوية بعنوان « مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرّها المجمع » وكان فيها كثير من مصطلحات الطب ، وفيها ما لم يتناوله معجمنا لضآلة عدد موادّه كما أسلفت ، ومنها ما يبدو فيه التباين بين ما نشر في دمشق ونظيره مما نشر في القاهرة جلياً ، فكان لا بد من القول في ذلك وترجيح ما يظهر لي ترجيحه[1] . هذا إلى أنه ظهر لي من مراجعة هذا المعجم أن اللجنة استبدلت بلا مسوّغ مصطلحات جديدة بمصطلحات سابقة مضى على استعمالها ما يربو على عقدين ، وقد تداولتها الألسن ، وأثبتتها عشرات الكتب التي ألفها أساتذة كلية الطب . وكان ظهور هذا المعجم بعد مضي ما ينيف على ثلث قرن (٣٧ سنة) على بدء تدريس الطب بالعربية .

وقد حملني ذلك كله على إعادة النظر في موادّ هذا المعجم مادّة مادّة ـ وهذا ما دعوته بـ « الخطوة الثانية » ـ فأتبعت مقالاتي السالفة سلسلة جديدة من المقالات بعنوان « استدراك وتعقيب » ابتداء من الجزء الرابع من المجلد السابع

(١) اشار الى هذا التباين ، الأمير مصطفى الشهابي في مقالة نشرها في هذه المجلة بعنوان : (بعض المؤلفات الحديثة في المصطلحات العلمية) الصفحة ١٨٣ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

والثلاثين من هذه المجلة . وقد بلغت عدتها ٥٣ مقالة تناولت فيه نحوا من ٦٠٠٠ مصطلح ، وبهذا امتدّت كتابتي عن هذا المعجم نيفاً وعشرين سنة .

والمواد التي كان لي مقال فيها لا تخرج عن الفئات الآتية :

أ ـ مواد فات اللجنة معناها العلمي ، فترجمتها بغير مدلولها . وهي في الغالب مصطلحات اختصاصية يتعلق معظمها بأمراض الجملة العصبية أو الأمراض العقلية . وما هذه سبيله كنت أقول فيه : « الصحيح كذا وكذا » مستنداً في الاستدلال إلى المراجع المختصة ومستأنساً ـ في بعض الأحيان ـ بما جاء في الترجمة الإنكليزية أو الألمانية لمعجم كليرفيل هذا[1] .

ب ـ مصطلحات خالفت فيها اللجنة الشائع والمألوف من المصطلح الصحيح بلا مسوّغ . ومن هذه المصطلحات ما مضى على استعماله ـ كما ذكرت آنفاً ـ ما يزيد على ثلث قرن .

ج ـ مصطلحات رجحتُ في كل منها لفظاً آخر ، إما لأصالته ، أو لأنه أحسن جرساً ووقعاً ، أو لأنه أقرب دلالة على المعنى المقصود . وما كان من هذا القبيل كنت أقول فيه : « أفضل ـ أو : أرجَح ـ كذا وكذا » .

د ـ مصطلحات باينت في بنيتها أو صيغتها ما أقرّه مجمع اللغة العربية في القاهرة . فكنت أذكر ما أقرّه المجمع مكتفياً بذلك إذا كان اللفظان متقاربين ، ومرجحاً أحدهما إذا ما بدا لي وجه للترجيح .

---

(١) تقدم مقدمة المعجم (جدول تصويب الأخطاء الواردة في المعجم) ويتألف من ١٢ صفحة على عمودين وبحرف صغير . تقدر بـ ٥٠٠ تصويب وهي أخطاء يبدو أنها استدركت مؤخراً ، على أن منها ما كان موضع النظر أيضاً .

هـ ـ مصطلحات رأيت من المفيد أن أثبت ترجمتها عن الإنكليزية إذا كانت مغايرة لما جاء في الترجمة عن الفرنسية . وذلك أن الإنكليزية هي السائدة اليوم في كلية الطب ، بخلاف ما كانت عليه الحال في السابق إذ كانت السيادة للفرنسية .

وفيما يلي بعض الأمثلة عما جاء في الفئات السالفة

أ

المصطلح	ما جاء في المعجم	الصواب
Aliments de lest	أغذيَة ضَخْمة	أغذيَة المَلْء
Anaplasie	رَقِيع	حُؤول راجع
Goujon	بُوريّ (نوع من السمك)	مِسْمار عَظْمي
Maladie de chien	داء الكَلْب ، كَلَب	داء كارِه ، جائِحة الكِلاب
Monophasie	وِحْدة الصّفحَة ، وِحْدَة الطِراز	تَرْدِيد الكَلِمة او نَمَطِيّة الكلام
Paradidyn	خِصْيَة جانِبيّة	جَنِيب البَرْبَخ
Paraovarie	مَبيض جانِبي	مَبِيض بِدْئي
Paracousie	وَقْر ، ضَعْف السَمْع	التَخَيّل السَمْعي ، الهَواس السَمْعي
Parablaste	خَلِيّة مُغَذّية	الوُرَيقْة المُتوسطة
Stéréotypie	طِباعَة بالحُروف المُصَفَّحة بالحُروف المَقولَبَة	النَمَطِيّة
Substance à seuil	مادة اِبْتِدائِيَّة	مادّة ذات عَتَبة
Voile du palais	حِفاف	حَفّاف

Voirie (service de la-)	ادارَة الأزقة (مَصْلَحة)	المَجاري والأقذار او مصلحتها
tendence à couper les cheveux en quatre	مَيْل الى قص الشَّعر رُباعي	مَيْل الى التُّرهَات او هَوَس الترهات

ب

المصطلح	ما جاء في المعجم	الشائع
Arythmie	عدم اتّساق	عدم الانتظام
Asthénie	نَهَك ، نَقَه	وَهنْ
Cardia	سُدْفة	الفؤاد
Coma	تسبيخ	سُبات
Cornage	صوت صوري	ضَبْح
Diabète insipide	داء سكري تفه ، مائي	البيلة التفهة
Diète hydrique	حمية مائية	تدبير الغذاء بالماء
Figé	خاثر ، جاس ، عقيد	جامد
Embarras gastrique	مَعَق (اضطراب مَعِديّ)	تُخَمَة
Hystérie	هَرَع	هِسْتريا
leontiasis	جَهَم العظام	داء الأسد العظمي
Léthargie	سُبات	نَوم
Matité	خَرَس	أصمية ، صَمَم
Putifaction	تَدَعّص	تَفَسّخ

ج

المصطلح	ما جاء في المعجم	المفضل
Allergie	تجاوُب	أليرجيْه ، أرَجية
Ametropie	تيه البَصر	اللاقياس البَصَري
Amnésie antérograde	نِسيان سابِق	نِسيان لاحِق
Amnésie rétrograde	نِسيان لاحِق	نسيان سابِق
Arthropathie	مَرضَ مَفْصِلي	إعتلال مَفْصِلي
Asthme de foin	رَبْو الحَشائِش	رَبْو الكَلأ
Onontomanie	مَس لُغَوي	هَوَس الكَلِمات
Ontogénèse	تَولّد الكائنات	نُشوء الفرد
Opération Sésarienne	عمَل قيْصَري	العَمَلية القَيصَرية
Orgasme	إنتصاب نُعوظ ، شَبَق	هزّة الُمجامَعة
Ovulation	بَيْض	إباضَة
Pancardite	إلتهاب القَلْب العام	إلتهاب القَلب الشامِل
Strangurie	تَقَطّر البَوْل	المَثَن ، الشَغا
Strumiprive	حَرَض خنَازِيري	يافتقار الدَرَقيّة

د

المصطلح	ما جاء في المعجم	ما اقره مجمع القاهرة
Beri-beri	هُزال رُزي	البَري
Boulimie	سُعار ، ضَوْر	الاسْتِجاعَة (الجُوع البَقَري[1] الجُوع الكَلْبِي)
Bursite	الْتهاب الأكْياس الآحِينية	التهاب الجزدان[2]
Cachexie	حَرَض	دَنَف
Catatonie	خُلاع	خُباط مُتقلب
Chlorose	خَضَر	كُلوروز
Cirrhose	إشقرار	تَليّف
Colloïdal	شَبْغَري	غُرَواني
Coma	تَسْبيخ	سُبات
Contraction peristaltique	تَقَلّص حَوْلي	التَّمَعُج
Hypertension artérielle	فَرط توَتّر شِرياني	تِضْغاط شِرياني
Ophtalmologie	مَبحث أمراض العَيْن ، كِحَالة	عِلْم الرَمَد
Orifice externe du méat de l'urèthre	فَتْحَة الإحليل	الإحليل ، الكِظامة[3]
Urètre	إحليل	مَبَال

(١) ـ ارجح الشهوة الكلبية ، بوليميا وكلاهما قديم الاستعمال في كتب التراث .

(٢) ـ التهاب الجراب .

(٣) ـ في لسان العرب : والكظامة من المرأة مخرج البول .

هـ

المصطلح	ما جاء في الترجمة	المصطلح بالانكليزية
Cœur en goutte	قَلب مُسْتَرخ	قَلْب على هَيْئة القَطْرة
Muscle myrtiforme, constricteur de la narine	عَضَلة آسيّة قابِضَة المَنْخِر	العَضَلة الأنْفيّة ، عَضَلة جَانِب الجَناح
Peste bubonique	طاعُون دُبَيْلي او عُقَدي	الطاعون الشَرْقي
Pièce de concentration, cylindre de Molybdène dans l' ampoule de Coolidge	قِطْعَة التَّكاثُف (اسطوانة المولبدن في حُبابة كُوليج)	الهَدَف في مِصْباح كولج
Pouls myure	نَبضٌ نازع	نَبْض كَذَنَب الفأر
révolution cardiaque	ثَوَران قَلْبي	دَوْرَة القلب
Rigidité pallidale	صَلابَة شاحِبَة	صَمْل الكُرَة الكَمِدة
Sac herniaire préformé	كِيس فَتْقي سابِق التَكوّن	التّأهبُ للفَتْق
Saucisson au foie	وَشيق كَبدي	المَقانِق البَيْضاء
Sporange	مَبْزَرَة	المَحْفَظَة حامِلة البُوغ
trou de conjugaison	ثُقْبَة إتّصال	ثُقْبة ما بَيْن الفِقار

إستدراك النقصان

في مقالة أسماء أعضاء الإنسان

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

- ١٣ -

ج) نكَف

ourles

١١٠ - التهاب غشاء الجنب الجَسْئي

ف pachypleurite

ز pachypleuritis

١١١ - التهاب غشاء الطبل

ف myringite

ز myringitis

١١٢ - التهاب الغضروف

ف chondrite

ز chondritis

١١٣ - التهاب غِمد شُوان

ف Schwannite

انظر (الرقم - ٨٥ - التهاب ضفيرة حاد)

١١٤ ـ التهاب الفرج

ف vulvite

ز vulvitis

١١٥ ـ التهاب الفرج والمهبل

ف vulvovaginite

ز vulvovaginitis

١١٦ ـ التهاب الفم القشدي

ف stomatite crémeuse; blanchet; millet

ز thursh; mycotic stomatitis; soor

يرادف الفرنسية : سُلاق.

muguet

١١٧ ـ التهاب الفم القلاعي

ف stomatite aphteuse

ز aphtous stomatitis

١١٨ ـ التهاب الفم المَوَاتي

ف stomatite gangréneuse

ز gangrenous stomatitis

يرادف ، الإفرنجيتين :

مَوَاتُ الفم noma

١١٩ ـ التهاب القَرْنة

ف cervicite

ز cervicitis

١٢٠ ـ التهاب القرنية

ف Kéatite

ز Keratitis

١٢١ ـ التهاب القرنية التصلبي

ف Kératite scléreuse

ز sclerosing keratitis

١٢٢ ـ التهاب القرنية الحُزَيمي

ف kératite fasciculaire

ز fascicular keratitis

١٢٣ ـ التهاب القرنية الحويصلي

ف kératite vésiculaire

ز vesicular keratitis

١٢٤ ـ التهاب القرنية الخلالي المنتشر

ف kératite interstitielle diffuse

ز intertitial,parenchymatous,deep keratitis

يرادف الفرنسية : التهابُ نسيج القرنية الخاصِّ ، العميقُ

kératite parenchymateuse profonde

١٢٥ ـ التهاب القرنية الخيطي أو اللُيَيْفي

ف kératite filamenteuse,fibrillaire

ز filamentous keratitis

١٢٦ ـ التهاب القرنية القرصي الشكل

ف kératite en forme de disque

ز keratitis disciformis

١٢٧ ـ التهاب القرنية مع تقيح البيت الأمامي

ف kératite à hypopion

ز serpigenous ulcer of the cornea

يرادف الفرنسية : آ) قرحة ثعبانية

ف ulcus serpens; ulcère serpigineux

ب) قرحة سَميش

ف ulcère de Saemish

١٢٨ ـ التهاب القرنية والملتحمة النُفاطي

ف kératite conjonctivite phlycténulaire

ز marginal keratitis

يرادف الفرنسية :التهاب القرنية الهامشي

ف kératite marginale

١٢٩ ـ التهاب القرنية المنقَّط

ف kératite ponctueuse

ز ponctate keratitis

يرادف الفرنسية : آ) التهاب المحفظة ، المائي

ف aqua capsulite

ب) التهاب غشاء ديسَّمت

ف descémétite

١٣٠ ـ التهاب القرنية الهامشي

(انظر الرقم ـ ١٢٨)

١٣١ ـ التهاب القرنية الوعائي

ف kératite vasculo-nébuleuse ou vasculaire

ز vasculonebulous keratitis

يرادف الافرنجيتين : سَبَل pannus

١٣٢ ـ التهاب القُزَحية

ف ، ز iritis

١٣٣ ـ التهاب القصبات

ف bronchite

ز bronchitis

١٣٤ ـ التهاب القصبات والنخاريب

ف bronchoalvéolite

انظر (رقم ـ ٥١)

١٣٥ ـ التهاب القصبات والرئة

ف bronchopneumonie

انظر (رقم ـ ٥١)

١٣٦ ـ التهاب القصبات (أو القُصَيْبات الشعرية)

ف bronchite: bronchite capillaire

ز bronchitis; capillary bronchitis

١٣٧ ـ التهاب قُلاعي

ف cocotte

ز foot and mouth disease

يرادف الفرنسية : آ) حمى قُلاعية

ف fièvre aphteuse

ز aphthous fever

ب) قُلاع سوافي

ف aphte épizootique

ز epidemic, epizootic stomatitis

١٣٨ ـ التهاب القلب العام

ف pancardite

ز pancarditis

١٣٩ ـ التهاب القناة الجامعة

ف cholédocite

ز choledocitis

١٤٠ ـ التهاب قناة الصفراء

ف angiocholite

ز angiocholitis; cholangitis

١٤١ ـ التهاب كُبَيْبات الكلية

ف glomérulo-néphrite

ز glomerular nephritis

١٤٢ ـ التهاب الكظر

ف surrénalite

ز surrenalitis; adrenitis

١٤٣ ـ التهاب الكلية

ف néphrite

ز nephritis

١٤٤ ـ التهاب الكلية البؤري

ف néphrite en foyer

ز focal nephritis

١٤٥ ـ التهاب الكلية الحملي

ف néphrite gravidique

ز nephritis of pregnancy

١٤٦ ـ التهاب الكلية الدموي المنشأ

ف néphrite hématogène

ز exudalive néphritis

١٤٧ ـ التهاب الكلية السلّي

ف néphrite tuberculeuse

ز suppurative tuberculous nephritis; tuberculosis of the kidney

١٤٨ ـ التهاب الكلية القرمزي

ف néphrite scarlatineuse

ز scarlatinal nephritis

١٤٩ ـ التهاب الكلية المزمن

ف néphrite chronique

ز chronic nephritis

يرادف الفرنسية : آ) داء برايت

ف maladie de Bright

ز Bright´s disease

ب) برايتية

ف Brightisme

ز Brightism

١٥٠ ـ التهاب الكلية المزمن الضموري في الطفولة

ف néphrite chronique atrophique de l´enfance

ز renal dwarfism, infantilism

يرادف الفرنسية : آ) قزم كلوي

nanisme rénale

ب) طَفَل كلوي

ف infantilisme rénale

ز renal infantilism

ج) خَرَع كلوي

ف rachitisme rénale

ز renal rachets

١٥١ ـ التهاب الكولون

ف colite

ز colitis

١٥٢ ـ التهاب الكيس الدمعي

ف dacryocystite

ز dacryocystitis

١٥٣ ـ التهاب اللِّثَة

ف gingivite; ulite

ز gingivitis; ulitis

١٥٤ ـ التهاب اللسان العميق الثالثي

ف glossite profonde tertière

ز syphilitic glossitis sclerosa

يرادف الفرنسية : لسان كلارك

ف langue de Clarke

ز Clake' s tongue

١٥٥ ـ التهاب اللفائفي

ف iléite

ز ileitis

١٥٦ ـ التهاب اللهاة

ف staphylite

ز staphylitis; inflammation of uvula

١٥٧ ـ التهاب اللوزة

ف amygdalite

ز amygdalitis : tonsillitis

١٥٨ ـ التهاب ليفيني

ف inflammation fibrineuse

ز croupous , fibrinous inflammation

يرادف الفرنسية :التهاب ذو أغشية كاذبة

ف inflammation à fausses membranes

١٥٩ ـ التهاب ماتحت اللسان الغشائي الشكل

ف sublingossite diphtéroïde

ز Fede ' s disease

يرادف الفرنسية : أ) تنمٍّ تحت اللسان

ف production sublinguale

ب) داء ريغا أو فه ذ

ف maladie de Riga ou de Fede

١٦٠ ـ التهاب ما حول الثدي

ف paramastite

ز paramastitis

يرادف الفرنسية :فلغمون ما حول الثدي

ف phlegmon périmammaire

١٦١ ـ التهاب ما حول الطحال

ف pésisplénite

ز perisplenitis

١٦٢ ـ التهاب المَبيض

ف ovarite

ز ovaritis

١٦٣ ـ التهاب متشعِّب مُهَيْكِل

ف inflammation proliférative hyperplastique

ز formative, hyperplastic, plastic, proliferous,

productive inflammation

١٦٤ ـ التهاب متقيح

ف inflammation purulente

ز suppurative inflammation

١٦٥ ـ التهاب المثانة

ف cystite

ز cystitis

١٦٦ ـ التهاب المثانة النابت

ف cystite végétante

ز cystitis vegetans ; cys.papillomatosa

١٦٧ ـ التهاب محور النخاع الشوكي الأمامي الحاد في الطفولة

ف poliomyélite antérieure aiguë de l´enfance

ز acute atrophic, acute anterior
poliomyelitis; infantil
spinale paralysis;
epidemic infantil paralysis;
Heint-Medin disease

يرادف الفرنسية :

آ) شلل شوكي طفلي

paralysie spinale infantile

ب) داء هَنْ ـ مه دَنْ

maladie de Heint-Medin

١٦٨ ـ التهاب مخرِّب

ف inflammation destructive

ز destructive inflammation

١٦٩ ـ التهاب المرارة

ف cholécystite

ز cholecystitis

١٧٠ ـ التهاب المستقيم

ف réctite

ز rectitis

يرادف الفرنسية : التهاب الدبر

ف proctite

ز proctitis

١٧١ ـ التهاب المستقيم والسين

ف rectosigmoïdite

ز rectosigmoiditis

١٧٢ ـ التهاب المستقيم والكولون

ف recto-colite

ز recto-colitis; colirectitis

١٧٣ ـ التهاب مشاشة عظم الفخذ العليا

(انظر الرقم ـ ٩٥)

١٧٤ ـ التهاب المعثكلة الحاد النزفي

ف pancréatite aiguë hemorragique

ز acute hemorrhagic pancreatitis

١٧٥ ـ التهاب المعدة

ف gastrite

ز gastritis

١٧٦ ـ التهاب المعدة والأمعاء

ف gastro-entérite

ز gastroenteritis

١٧٧ ـ التهاب المعى

ف entérite

ز enteritis

١٧٨ ـ التهاب المعى والقولون

ف entéro-colite

ز entero-colitis

١٧٩ ـ التهاب مفاصل شيخوخي (فُقاس شيخوخي)

ف arthrocace sénile

ز chronic infectious arthritis; proliferative arthritis; rheumatoid atrophic arthritis

يرادف الفرنسية :

آ) التهاب المفصل المشوّه أو الجاف

ف arthrite déformante ou sèche

ب) رثية عظمية قِسْمية

ف rhumatisme osseux partiel

ج) رثية مفصلية مزمنة قسمية

ف rhumatisme articulaire chronique partiel

١٨٠ ـ التهاب المفصل

ف arthrite

ز arthritis

١٨١ ـ التهاب المفصل الحرقفي الفخذي

ف coxarthrie

ز coxarthria

يرادفها : فُقاس شيخوخي

ف arthrite sénile

ز senile coxitis; hip joint disease of old people: of the aged

١٨٢ ـ التهاب مقرّح

ف inflammation ulcérative

ز ulcerative inflammation

١٨٣ ـ التهاب الملتحمة

ف conjonctivite

ز conjonctivitis, cold in the eyes

١٨٤ ـ التهاب الملتحمة الحاد
(رمد حاد)

ف conjonctivite aiguë

ز acute conjonctivitis

١٨٥ ـ التهاب الملتحمة الحبيبي

ف conjonctivite granuleuse

ز trachoma

يرادف الفرنسية :

ف trachome

١٨٦ ـ التهاب الملتحمة المتقيح البَنّي

ف conjonctivite purulente gonococcique

ز gonorrheal conjonctivitis: ophtalmia

يرادف الفرنسية : رمد سيلاني

ف ophtalmie gonorrhéique

١٨٦ مكرر ـ التهاب الملتحمة الوبائي أو المُعْدي الحاد

ف conjonctivite épidémique ou contagieuse aiguë

ز acute contagious or epidemic conjonctivitis: pink eye

١٨٧ ـ التهاب الملحقات

ف annexite

ز adnexitis: annexitis

يرادف الفرنسية : التهاب المبيض والنفير

ف salpingo-ovarite: tuboovarite: oophoro-salpingite

ز salpingo-ovaritis: tuboovaritis: salpingo-oophoritis

١٨٨ ـ التهاب المهبل

ف colpite: vaginite

ز colpitis: vaginitis

١٨٩ ـ التهاب المُوثة

ف prostatite

ز prostatitis

١٩٠ ـ التهاب ناخر

ف inflammation nécrosante

ز necrotic, phlegmonous inflammation

١٩١ ـ التهاب نتحي

ف inflammation exsudative

ز exsudative inflammation

١٩٢ ـ التهاب النخاع الشوكي

ف myélite

ز myelitis

١٩٣ ـ التهاب نسيج الكلية الخاص

ف néphrite parenchymatique

ز parenchymatous nephritis

١٩٤ ـ التهاب النفير

ف salpingite

ز salpingitis

١٩٥ ـ التهاب النفير والمبيض

انظر الرقم ـ ١٨٧

١٩٦ ـ التهاب النِقي

ف ostéomyélite

ز osteomyelitis

١٩٧ ـ التهاب نواتيء العظم النوّي

ف ostéite apophysaire de croissance

ز osto-chondrosis of the tuberosity of the tibia

يرادف الفرنسية : داء لانلونغ : أسغود : شلالتر

ف maladie de Lannelongue, de Osgood, de Schlalter

ز Osgood-Schlalter´s disease

١٩٨ ـ التهاب الوتر

ف tenosite; tendinite

ز tenositis; tendinitis; tenonitis

١٩٩ ـ التهاب الوتر الصوتي الحُذَيْبي

ف chordite tubéreuse

ز singer´s nodes; singer´s nodules

يرادف الفرنسية : آ) التهاب الحنجرة الحُبَيْبي

ف laryngite granuleuse

ب) عُجَر صوتية

ف nodules vocaux

٢٠٠ ـ التهاب الوتر والغمد

ف tenosinovite

ز tenosinovitis

٢٠١ ـ التهاب الوتين

ف aortite

ز aortitis

٢٠٢ ـ التهاب الوريد

ف phlébite

ز phlebitis

٢٠٣ ـ التهاب الوريد الأبيض المؤلم

ف phlegmatia alba dolens

ز leukophlegmasia; milk leg; white leg; thrombotic phlegmasia

يرادف الفرنسية : خَزَب ابيض مؤلم

ف œdème blanc douloureux

٢٠٤ ـ التهاب الوريد الخثري

ف thrombophlébite

thrombophlebitis

٢٠٥ ـ التهاب الوعاء والعروق

ف vascularite

ز inflammation of blood vessels

الكيفية والنوعية والجودة

الأستاذ المهندس وجيه السمان

وقع نظري منذ أيام على ورقة رسمية لمؤسسة قطرية عربية قد كتب اسمها في أعلى الورقة باللغة العربية إلى اليمين وباللغة الانكليزية إلى اليسار هكذا :

الجهاز المركزي للتقييس والسيطرة النوعية-Central Organization for Standar-dization and Quality Control

فالاسم العربي لهذه المؤسسة ، إذا عدّ ترجمة للإسم الانكليزي ، وهو لاشك كذلك ، فيه غلطتان : اولاهما أن كلمة Organization لاتترجم في العربية بـ : جهاز ، بل بـ : منظمة أو نظام أومؤسسة ، مثل منظمة الأمم المتحدة . وثانيتهما أن السيطرة النوعية تعني شيئاً آخريختلف كل الإختلاف عما يعنيه الأصل الانكليزي .

وقد تعودنا مؤخراً رؤية كلمة Quality تترجم بالنوعية ، وهي صيغة تسمى بالمصدر الصناعي ، مثل الكمية والكيفية . ودرج الاستعمال على القول بأن هذا الشيء هو من نوعية عالية أو جيدة ، وان ذاك الشيء هو من نوعية متوسطة أو رديئة . فيقصد بالنوعية إذن صفة الشيء من حيث هو جيد أو رديء .

وجاء في اللسان : النوع أخص من الجنس وهو أيضاً الضرب من الشيء والجمع أنواع قل أو كثر . قال الليث : النوع والأنواع جماعة وهو كل ضرب من الشيء وكل صنف من الثياب والثمار وغير ذلك ،حتى الكلام . وقد تنوع الشيء أنواعاً (ا هـ)

وكلمة نوعية بهذا المعنى محدثة ويخيل إلي أنها ولدت منذ مالايزيد على ثلاثين عاماً ، ولم أجدها في معجم المنجد ولا في المعجم الوسيط ، وكنا قبل ذلك عندما نتكلم عن Quantity و Quality نقول : الكم والكيف ، ونبحث في الشيء

من الوجهة الكميـة أو من الوجهـة الكيفيـة ، ويرد كثيراً في الكيميـاء قولهم التحليل الكمي Quantitative Analysis والتحليـل الكيفيQualitative Analysis ، إلى آخر ما هنالك في معني الكم والكيف .

ويقول معجم المورد عن كلمة Quality : خاصة ، خاصية ، سجية ، خلـة ، نوع ، نوعية ، طبيعة ، مزاج ، خلق ، وصف ، صفة ، كيفية ، جودة .

فهو قد أورد لها عدة مترادفات منها النوعية ومنها الجودة .

غير أن ثمـة معنىً آخر لكلمـة نوعيـة ، فهي ترد أيضاً مؤنثاً لكلمـة نـوعي ، وعندئذ يختلف معناها عن معنى الجودة تماماً وتصبح مقابلـةً لكلمـة Specific ، أي صفة خاصة بالشيء ، وقد اشتقت من كلمـة النوع بـاضـافـة يـاء النسبـة للمـذكر ، والياء وهاء التأنيث للمؤنث ، وتعني عندئذ ماهو خاص بالشيء (أي الـذي يختلف عند الانتقال من شيء إلى آخر من غير نوعه) .

وقد ورد في معجم المورد لقاء كلمة Specific مايلي :

معيَّن ، محـدَّد ، دقيق ، واضح ، خـاص ، مميِّـز ، نـوعي ، نـاشئ عن سبب معين ، صفة مميزة ، تفاصيل ، مواصفات .

وفي علم الفيزياء ترد كلمة Specific بمعنى النوعية فتعني صفة خـاصـة مميزة ، مثل . Specific- Resistance أو Resistivity فتسمى المقاومـة النوعيـة . -Speci fic Heat وتسمى بـالحرارة النوعيـة . Specific Conductivity أو Conductivty فقـط وتسمى النـاقليـة النوعيـة و قـد أورد المعجم العسكري المـوحـد ٣٧ مصطلحـاً مركباً فيه Specific بمعنى نوعي أو نوعية .

نأتي الآن إلى العبارة التي دعتنا ترجمتهـا العربيـة إلى القيـام بهـذا التحليل ، وهي Quality Control ، ويسميهـا الفرنسيـون الآن Controle Qualité ، وهي تدل على مفهوم تقني جديد لم يـدخل بعـد في بعض المعجمات ، ولربمـا عـدلوه قبل أدراجه في المعجم فأضافوا إليه de أو de la فقالوا : Controle de la qualité لأن الصيغة الفرنسية الحالية عليها طـابع الاقتبـاس المبـاشر من الانكليزيـة . وقـد سبق

للفرنسيــة ان غلبت على امرهــا مرات ومرات في استعمال المصطلحــات التقنيــة والعلمية الانكليزية قبل أن يضعوا لها مقابلاً فرنسياً نهائياً ، ويكفي القارىء أن يراجع كتاباً فرنسياً يبحث في علم الالكترونيات أو في التطبيقات العديدة لهذا العلم لكي يشاهد مئات المصطلحات الانكليزية بل الأمريكية تتوارد في جميع صفحات الكتاب . وقد استعمل الفرنسيون كلمة Engineering الانكليزية للهندسة بعد أن كانوا يسمونها Génie أو L´art de L´ingénieur ثم شاعت الكلمة الانكليزية عندهم في العقود : الخامس والسادس والسابع من هذا القرن حتى اتفقوا أخيراً على مصطلح L´ingéniorité .

وكلمة Controle نفسها كانت تعني بالفرنسية : المراقبة ، ومنها وظيفة Contrôleur للمراقب أو المفتش ، ثم صاروا يستعملون دلالتها الانكليزية وهي الادارة والتحكم والسيطرة ، حتى دخلت هذه المعاني الجديدة دخولاً جزئياً في المعجمات الفرنسية الحديثة .

هذا ما كان من أمر كلمة Controle ، وأما كلمة Qualité أو Quality فقد ذكرنا ما قاله عنها معجم المورد ، ويهمنا من المعاني المتعددة التي لها كلمة الجودة ، فقد ورد عنها في لسان العرب :

الجيّد نقيض الرديء على فيعِل وأصله جَيْود والجمع جياد .

وجاد الشيء جُودة وجَوْدَة أي صار جيداً واجدت الشيء فجاد ، والتجويد مثله . وقد قالوا : اجْوَدْتَ كما قالوا أطال واطوَل واطاب واطيب وألان وألين على النقصان والتمام . ويقال هذا شيء جَيِّد بيّن الجُودة والجَودة . وقد جاد جَوْدة وأجاد أتى بالجيد من القول أو الفعل . ويقال أجاد فلان في عمله وأجود وجاد عمله يجود جَوْدة ورجل مِجْواد وشاعر مِجْواد أي مجيد يجيد كثيراً واستجدت الشيء أعددته جيداً واستجاد الشيء وجدَه جيداً أو طلبه جيداً .

وفي الحديث : تجودتها لك أي اخترت الأجود منها .

وقال أعرابي : كنت أجلس إلى قوم يتجاوبون ويتجاودون فسئل : مايتجاودون ؟ فقال : ينظرون أيهم أجود حجة . (ا هـ)

والموضوع الذي نحن بصدده يهتم بالتحكم في الجودة وبمراقبة هذه الجودة في المنتجات الصناعية والمنشئات الهندسية وكل ماينتجه الإنسان بعد تصميم ودراسة ليستعمله الناس . وقد عددت في كتاب يبحث في هذا الموضوع باللغة الانكليزية قرابة عشرين فصلاً كبيراً للبحث في الجودة في عشرين من أمهات الصناعات الكبيرة كالغزل والنسيج والأدوات الميكانيكية والأجزاء الالكترونية والسيارات والأجهزة المنزلية والمواد الكمياوية والعقاقير والصناعات المعدنية واللدائن والأغذية ولب الخشب وصناعة الورق ، الخ . . .

ومن المعلوم أن الشركات الصناعية تتنافس فيما بينها في عاملين : الجودة والسعر ، وهما في غالب الأحيان على طرفي نقيض ، فكلما انخفض الثمن ساءت الجودة وكلما تحسنت الجودة ارتفع الثمن . وتتسابق الشركات الصناعية في تحسين نوعية منتجاتها إلى أقصى مايمكن مع الحرص على أن لاترتفع أسعارها إلى مستوى ينفر منه الشاري .

من جملة الأسباب التي حملت على تحسين الصنع والمضي في الجودة إلى أقصى غاياتها أن يكون الجهاز المصنوع أو المادة المنتجة أو المنشأة المشيدة حائزاً على الصفات التي تمكنه من الوفاء بالمهمة التي أعدلها ، والقيام بواجبه خير قيام وان يعمل أطول مدة ممكنة . من هنا نشأ مفهوم هام جداً يسمى بالوثوقية أو المعولية : Reliability أو Fiabilité وقد أصبح علماً هاماً جداً .

ولد هذا العلم الجديد منذ مدة لاتربو على عقدين ، مع تقدم التقنية وتزايد الدقة والإتقان في صنع الأجهزة إلى حد جعلها صالحة لأن يُعَوَّل على مقدرتها على القيام بالأعمال المطلوبة منها قياماً تاماً مهما بلغت هذه الأجهزة أو الآلات من التعقد ومن كثرة المركّبات وتعدد العناصر التي تؤلفها والعوامل التي يعول عليها في

تشغيلها وقد يبدو بدهياً ان واجب الصناعة هو انتاج أجهزة تقوم بوظائفها قيـامـاً يطمئن إليه كل من يستعين بهذه الأجهزة ، إلا أن ثمة أسباباً أسـاسيـة ثلاثـة تسوغ الأهميـة التي نـالهـا علم المعـوليـة النـاشئ في السنـوات الأخيرة والجهـود التي تبـذلهـا الصناعات الرائدة في المضي بالمعولية إلى أبعد الغايات .

فـالسبب الأول هو الضرورة الحتميـة في أن تؤدي بعضَ الأجهزة وظـائفهـا اتم أداء وأوكده ، مثل الأسلحة والأجهزة التي تقوم بمعالجـة المعلومـات معـالجـة مركزة (كمراكز الهاتف والاذاعة والحاسبات الالكترونية . . .) والشبكات الكبرى لتوزيع الطاقة الكهربائية . إن هذه الأنظمـة تزداد مع الأيـام تعقيـداً بينـما تزداد الأعبـاء الملقاة عليها ، وينبغي أن تقوم بواجباتها قياماً لاتساهل فيه أبداً ولاتقبل منها أيـة هفوة مهما دقت ، لأن أقل تخـاذل تبـديـه قـد يسبب خسـارة في أرواح البشر مثل الطائرات ومراكب الفضاء المسكونة ، أو تعطلاً في أعمال مدنيـة كبيرة هـامـة تنجم عنه اضطرابات كبيرة في حياة المجتمع المتمدن .

يمكن أن نتصور بسهولة مبلغ الفوضى التي تنجم عن توقف فجـائي لوسـائـط معالجة المعلومـات في مصرف كبير أو في إحدى كبريتت المصالح الوطنيـة كالضمان الجمـاعي . ونـذكر بهذه المنـاسبـة العـواقب الـوخيمـة التي نتجت من تخـاذل شبكـة كهربـائيـة كبيرة لتوزيـع الكهربـاء في نيـويـورك في أواخر عـام ١٩٦٧ . هـذا إذا اقتصرنا على النطاق المدني . على أنه ما الفائـدة التي ترجى من أسلحـة تتخـاذل في أثناء استعمالها ؟

والسبب الثـاني اقتصـادي : لأننـا إذا بحثنـا في مجموع النفقـات التي يتطلبهـا مُنْتَج ما خلال طول مدة استعماله فإننا نرى على الفور كلفة التأسيس الأولى مثقلـة بنفقـات استثـمـار هـامـة ، لأن هـذه النفقـات تتضمن نصيبـاً كبيراً خصص لاصلاح العطب وللصيانة الوقائية . وينبغي أن يحسب لعدة أمور حسـابهـا منهـا التلفيـات الثانوية التي يسببها تخاذل قطعة بسيطة كفاصمة الدارة الكهربائيـة إذا عجزت عن تأدية وظيفتها فقد تؤدي إلى خراب محرك كهربائي كبير باهظ الثمن ، ومنها لزوم

حيازة عدد زائد من القطع الاحتياطيـة وفي ذلـك تعطيل لرأس مـال كبير ومنهـا ضرورة الاحتفاظ بفرقة دائمة للصيانـة وهي تكلف كلفـاً بـاهظـة ، ومنهـا خسـارة الأرباح من جراء تعطل الأجهزة .

لذلك ينبغي تحسين المعولية في هذه الأجهزة مع إيجاد حل وسط بين ازديـاد كلفة التأسيس وبين تخفيض الكلف الكلية للإستثمار خلال مدة الاستعمال بكاملها .

والسبب الثالث هو أنه ينبغي إعطاء جميع الفعاليات الصناعيـة طرقـاً علميـة لأن تطور حجم المشروعات الصناعية واتجاهه نحو الضخامة لايسمح لرب العمل أن يكوّن فكرة شاملة عن مشروعه .

خير مثال نسوقه على الأهمية القصوى للمعوليـة هو مثـال مشروع أبولو الـذي أوصل الإنسان إلى القمر . لقد جرى تنفيـذ مجمل البرنـامج على شكل كامل لم يسبق لـه مثيل ، وقـدر الفنيون في وكالـة الفضـاء الأمريكيـة عـامـل المعوليـة لصـاروخ (زحل) الذي قذفت به مركبة أبولو بـ ٩٩,٩٩٩٩ في المـائـة لـذلـك فـإن الأقسـام المؤلفة للصاروخ وللمركبة القمرية (ويبلغ عددهـا عشرة ملايين قطعـة) لو كانت المعولية فيها تقتصر على ٩٩,٩ في المائة فقـط لكان ذلـك يعني أن ثمـة احتمالاً لعشرة آلاف قطعة من هذه أن تتخاذل فتتعطل عن العمل . ولو كانت المعوليـة ٩٩,٩٩ في المـائـة لكان ثمـة احتمال لألف قطعـة أن يطرأ عليهـا خلـل أثنـاء السير ولكن الرقم ٩٩,٩٩٩٩ يعني أنه ليس ثمـة أكثر من ١٠ قطع فقـط من أصل عشرة ملايين قطعـة يمكن أن يعتريها خلل في أثناء العمل .

قام علماء وكالة الفضاء بالحسـاب الآتي : لوأنـه طلب من صنـاعـة السيـارات مثلاً بلوغ هذا القدر العالي من المعوليـة ، فـإن السيـارة التي تتـألف من نحو ثلاثـة عشر ألف قطعة لاتحتاج إلى إصلاح قبل قرن كامل من العمل المتواصل .

إن الحـاسبـات الالكترونيـة الموجـودة في مراكـز الفضـاء والتي تعمـل بسرعـة وباتقان يفوقان التصور ، وتقوم كل يوم خلال رحلة أبولو بما يقارب مـائـة مليـار عملية حسابية هي إنجاز فريد في تاريخ البشرية والتقنية والعلم .

ونقدر التقدير عينه لمركبات (لونا) السوفيتية الأخيرة ، الآلية الخالية من البشر ، التي انطلقت من الأرض وطارت إلى القمر وحطت عليه بهدوء وجمعت من صخوره وأحجاره ثم انطلقت منه وعادت إلى الأرض بحمولتها سالمة .

كلاهما بلا ريب هو إنجاز رائع ذو معولية عالية جداً وذو جودة أو نوعية فريدة .

بعد هذه الجولة الصغيرة في موضوعي الجودة والمعولية والاهتمام الكبير بها في هذه الأيام ، أحب أن أذكر انني قد كتبت هذه الصفحات مستعيناً بكتابين : أولهما اسمه Quality Control Handbook ويبلغ عدد صفحاته ١٧٨٠ صفحة ، وثانيهما اسمه Reliability Handbook ويبلغ عدد صفحاته ٧٠٠ صفحة ، وفي هذين الرقمين دلالة واضحة على ضخامة الكتابين ومبلغ خطورة هذين العلمين في الوقت الحاضر .

وما قلت ماقلته عنهما إلا لأبين ماهو المقصود بكلمة Quality ، فهي كما رأينا تعني جودة المصنوعات ونوعيتها العالية وبلوغها أرقاماً عالية جداً من المعولية بما يمكنها من الوفاء الكامل بالقصد الذي صنعت لأجله .

لقد أورد المعجم العسكري الموحّد للدول العربية في ترجمة Quality الكلمات الآتية : صفة ، خاصة ، خاصية ، خصلة ، رتبة ، منزلة ، وأما Quality Control فترجمها بـ : التحكم في الجودة ، ومراقبة الجودة . وكذلك Quality Factor ترجمها بعامل الجودة و Quality Standard ترجمها بمعيار الجودة .

وإني أوافقه كل الموافقة على ماجاء به وأتساهل بعض التساهل في قبول كلمة النوعية فأقول : التحكم في النوعية أو مراقبة النوعية ويمكن أيضاً أن تقول : السيطرة على النوعية .

وأما قولهم : السيطرة النوعية أو المراقبة النوعية أو التحكم النوعي فهو خطأ بين ، لأن معنى كلمة هذه هو Specific وتصبح النوعية صفة للتحكم أو السيطرة أو المراقبة ، وهذا يغير المعنى المقصود تغييراً كاملاً .

وجيه السمان

الحمد والمدح والشكر والثناء والرضا

وفروقها في اللغة والتراث

الدكتور عبد الكريم اليافي

من مزايا الحضارة العربية الإسلامية أنها أقامت تضامناً بين الفرد والمجتمع لا تشاداً بينهما ولا تنازعاً كما في المجتمعات الغربية الرأسمالية الحديثة ، ولا ذوبان الفرد في المجتمع كما يجري في المجتمعات المستبدة ، وذلك حينما نظرت إلى الفرد بصفته كياناً اجتماعياً وربطته هو والمجتمع بقوة متعالية يعنو لها الرعاة والرعايا وهم مسؤولون جميعاً في تصرفاتهم وأعمالهم تجاهها . بل زيادة على ذلك أقامت تلك الحضارة تضامناً بين المجتمعات كلها على كوكبنا الأرضي السابح في الفضاء بحيث يتصور مفكر إسلامي كالفارابي نشوء المدينة الفاضلة والأمة الفاضلة والمعمورة الفاضلة .

ويتجلى هذا التضامن في شتى ميادين الفكر العربي الإسلامي الذي استوعبت معظمه اللغة العربية الغنية المطواع . ونحن نريد هنا أن نستشف شيئاً من طواعية هذه اللغة وغناها الزاخر وحسن تأتيها لمختلف المعاني من خلال بعض الألفاظ المتشاكلة الفحوى التي ترتسم عليها أشعة ذلك الفكر المبدع ، وهي الحمد والمدح والشكر والثناء والرضا وما تعلق بها . هذه الألفاظ قد يقع بعضها في مواقع بعض ، وقد تختلف مواقعها فتختلف الدلالة . نجلو فروق معانيها أو تماثلها وتقاربها في شتى المجالات كما وردت في التراث العربي ، وكأنها الدرر والجمان والماس تزدان بها الغانية التي ليست هي بذاتها محتاجة للزينة ولا يزيد تحلّيها بها المتبدل في الحين بعد الحين إلا فتنة وحسناً وبهاءً وسنا .

يرى الزمخشري جار الله صاحب « الكشاف » أن « الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها . تقول حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على نسبه وشجاعته . وأما الشكر فعلى النعمة خاصة . وهو بالقلب واللسان والجوارح . » ويستشهد بقول الشاعر :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

فالشكر هنا في البيت قد أطلق على أفعال الموارد الثلاثة وهي الضمير أو القلب واللسان واليد ، وجعل بإزاء النعمة جزاءً لها متفرعاً عليها ، وكل ماهو جزاء النعمة عرفاً يطلق عليه الشكر لغة . قال الشريف الجرجاني في حاشيته على الكشاف : « فإن قلت : الشاعر جعل المجموع بإزاء النعمة ، فالشكر يجب أن يطلق عليه ، وأما على كل واحد من الثلاثة فلا ، قلت : لا شبهة في أن الشكر يطلق على فعل اللسان اتفاقاً . وإنما الاشتباه في إطلاقه على فعل القلب والجوارح ، حتى توهم كثير من الناس أن الشكر في اللغة فعل اللسان وحده . ولما جمع الشاعرُ الأولَ مع الأخيرين وجعلها ثلاثة عُلِمَ أن كل واحد شكر للنعمة على حدة ، كأنه أراد أن نعماكم كثرت عندي وعظمت ، فاقتضت استيفاء أنواع الشكر ، وبالغ في ذلك حتى جعل مواردها واقعة في مقابلة النعماء ملكاً لأصحابها مستفاداً منها كأنه قال : يدي ولساني وقلبي لكم فليس في القلب إلا نصحكم ومحبتكم ، ولا في اللسان إلا ثناؤكم ومحمدتكم ، ولا في اليد والجوارح إلا مكافأتكم وخدمتكم . وفي وصف الضمير بالمحجب إشارة إلى أنهم ملكوا ظاهره وباطنه » .

أما الحمد فباللسان كما جاء في الكشاف « فهو إحدى شعب الشكر ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : الحمد رأس الشكر ، ما شكر الله عبدٌ لم يحمده . وإنما جعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها ، وأدل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح ، لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال ، بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه » .

ويعقب الجرجاني على قول صاحب الكشاف إن الحمد إحدى شعب الشكر « أي باعتبار المورد (اللسان واليد والقلب) وإن كان الشكر باعتبار المتعلّق إحدى شعب الإيمان » .

ذكرنا أن الحمد والمدح أخوان عند صاحب الكشاف ، أي هما مترادفان ، وقيل : أراد أنها أخوان في الاشتقاق الكبير ، ويشهد له وجهان ينقلها الجرجاني :

« الأول أن الشائع في كتب المصنف استعمال الأخوة فيما بين لفظين يتلاقيان في الاشتقاق الكبير أو الأكبر ، أما الكبير فبأن يشتركا في الحروف الأصول من غير ترتيب مع اتحاد في المعنى أو تناسب فيه كالجذب والجبذ ، وكالحمد والمدح ، وأما الأكبر فبأن يشتركا في أكثر تلك الحروف فقط ، ويتناسبا في الباقي مع الاتحاد أو التناسب في المعنى كأله ودله ، وكالفلق والفلج .

الثاني أن الحمد مخصوص بالجميل الاختياري ، والمدح يعمه وغيره يقال : مدحت اللؤلؤة على صفائها ، ولا يقال : حمدتها .» هذا رأي التفتازاني أي في تخريج كلام الزمخشري الذي ورد في الكشاف وفي الفائق أيضاً .

ولكن الجرجاني يذهب إلى أن المدح والحمد مترادفان عند الزمخشري « إما بعدم قيد الاختيار في الحمد أو باعتباره فيهما[1] » كما كتب أبو البقاء في كلياته .

هذا والثناء هو الذكر بالخير ، وقد عقبه صاحب الكشاف بالنداء وهو رفع الصوت إظهاراً لما ادّعاه من اختصاصه باللسان وكونه أشيع وأدل .

ونقيض الحمد والمدح الذم . ونقيض الشكر الكفران . ولكن المدح كما يطلق على الثناء الخاص ، أي الوصف بالجميل قد يُخَصُّ بِعَدّ المآثر ، وعندئذ يقابله الهجو أي عد المثالب .

---

(١) من حق أبي البقاء أن يعيد لفظ إما فيقول وإما باعتباره فيهما .

هذا وذكر القرطبي : « أن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان ، والشكر ثناء على المشكور بما أولى من إحسان . »

وبهذا الاعتبار يكون الحمد أعم من الشكر ، وهذا يتفق مع ما سبق من أن الشكر باعتبار المتعلّق إحدى شعب الحمد .

وقد جاء في القرطبي : « ويذكر الحمد بمعنى الرضا ، يقال : بلوته فحمدته أي رضيته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مقاماً محموداً ﴾ . »

وفي القرطبي : « الحمد في كلام العرب معناه الثناء الكامل

وأبهج محمود الثناء خصصته ... بأفضل أقوالي وأفضل أحْمُدي »

وفي القرطبي أيضاً : « ذهب أبو جعفر الطبري وأبو العباس المبرد إلى أن الحمد والشكر بمعنى واحد سواء . وليس بمرضي . وحكاه أبو عبد الرحمن السلمي في « كتاب الحقائق » له عن جعفر الصادق وابن عطاء . قال ابن عطاء معناه (معنى الحمد لله) الشكر لله إذ كان منه الامتنان على تعليمنا إياه[٢] حتى حمدناه . واستدل الطبري على أنها بمعنى ، بصحة قولك : الحمد لله شكراً . قال ابن عطية : وهو في الحقيقة دليل على خلاف ماذهب إليه ، لأن قولك شكراً إنما خصصت به الحمد لأنه على نعمة من النعم » .

ثم يعرج القرطبي على مثل ماجاء في قول الزمخشري فيورد : « وقال بعض العلماء : إن الشكر أعم من الحمد لأنه باللسان وبالجوارح والقلب ، والحمد إنما يكون باللسان خاصة » .

هذا وفي اللغة جاء مصدر شكر يشكر شُكْراً وشكوراً وشُكراناً ، ويقال : شكر له وشكره وتشكر له بمعنى .

---

(٢) يريد تعليمه إيانا وكلامه له وجه ، وهو إضافة المصدر إلى المفعول به وإياه هو الفاعل ناب ضمير النصب عن ضمير الرفع وهو جائز .

إن هذه الألفاظ المتقاربة المعاني قد ينوب بعضها عن بعض كما سلف وإن كان بينها بعض الفروق التي اتضحت . وأكثر العلماء في التراث العربي الإسلامي يتناولون معاني هذه الألفاظ عند الحمد والشكر لله .

نعود إلى الحديث الذي سلف ذكره « ما شكر الله عبد لم يحمده » يعقب الجرجاني عليه بقوله : « فإنه إذا لم يعترف بإنعام المولى ولم يثن عليه بما يدل على تعظيمه وإكرامه لم يظهر منه شكر ظهوراً كاملاً ، وإن اعتقد وعمل فلم يعد شاكراً ، لأن حقيقة الشكر إظهار النعمة والكشف عنها ، كما أن كفرانها إخفاؤها وسترها . والاعتقاد أمر خفي في نفسه ، وعمل الجوارح وإن كان ظاهراً إلا أنه يحتمل خلاف ماقصد به . فإنك إذا قمت تعظيماً لأحد احتمل القيام أمراً آخر ، إذ لم يتعين للتعظيم بخلاف النطق ، فإنه ظاهر في نفسه ومعيّن لما أريد به وضعاً . . » .

فالحمد وهو النطق والثناء باللسان كما سبق « أظهر أنواع الشكر وأشهرها وأشملها على حقيقة الشكر والإبانة عن النعمة حتى لو فقد كان ما عداه بمنزلة العدم » .

وهذا عندنا يدل على شرف الحرف ، وصدق النطق به في الحضارة العربية الإسلامية ، لأن النطق شاهد على التصديق مبدئياً ، وتصديق القلب يستلزم العمل بمقتضاه وهو من دلالات التوحيد .

وقد عمد السيد الشريف الجرجاني في تعريفاته إلى قسمة الشكر شكراً لغوياً : « وهو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل على النعمة من اللسان والجنان والأركان » ، وهو لا يختلف عما سلف شرحه . وشكراً عرفياً : « وهو صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خُلِق لأجله » .

كما قسم الحمد أقساماً عدة :

« فالحمد هو الثناء على الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها .

الحمد القولي : هو حمد اللسان وثناؤه على الحق بما أثنى به على نفسه على لسان أنبيائه .

الحمد الفعلي : هو الإتيان بالأعمال البدنية ابتغاءً لوجه الله تعالى .

الحمد الحالي : هو الذي يكون بحسب الروح والقلب كالاتصاف بالكمالات العلمية والعملية والتخلق بالأخلاق الإلهية .

الحمد اللغوي : هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل باللسان وحده .

الحمد العرفي : فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعماً أعم من أن يكون فعل اللسان أو الأركان » .

وقد ألم أبو البقاء في كلياته بهذه الأقسام ، وأعادها بيسير من التغيير ، وعرض لما في قضية الشكر والحمد من علاقة بعلم الكلام :

جاء في الكليات أن الشكر العرفي « هو المراد بعدم وجوب شكر المنعم عقلاً إذ لو وجب عقلاً لوجب قبل البعثة ، ولو وجب قبلها لعذب تاركه ، ولا تعذيب قبل الشرع لقوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾[٣] هذا عند الأشاعرة القائلين بعدم وجوب الإيمان قبل البعثة ، إذ لا يعرف حكم من أحكام الله تعالى إلا بعد بعثة نبي . فمن مات ولم تبلغه دعوة رسول فهو ليس من أهل النار عندهم . وأما أبو منصور الماتريدي وأتباعه وعامة مشايخ سمرقند فإنهم قائلون بأن بعض الأحكام قد يُعرف قبل البعثة بخلق الله تعالى العلم به ؛ إما بلا سبب

(٣) الإسراء : ١٥ .

كوجوب تصديق النبي وحُرمَةِ الكذب الضار ، وإما مع سبب بالنظر وترتيب المقدمات ، وقد لايعرف إلا بالكتاب كأكثر الأحكام ، فيجب الإيمان بالله تعالى قبل البعثة عقلاً ، حتى قال أبو حنيفة : لولم يبعث الله رسولاً لوجب على الخلق معرفته بعقولهم لما يُرى في الآفاق والأنفس »(٤) .

ولما عرض أبو البقاء أقسام الحمد ، كما جاء في تعريفات الشريف الجرجاني دون أن يذكره كما هي عادته ، أضاف في بحث الحمد الحالي لله : « فحمد الله عبارة عن تعريفه وتوصيفه بنعوت جلاله ، وصفات جماله ، وسمات كماله ، الجامع لها سواء كان بالحال أو بالمقال . وهو معنى يعم الثناء بأسمائه فهي جليلة ، والشكر على نعمائه فهي جزيلة ، والرضى بأقضيته فهي حميدة ، والمدح بأفعاله فهي جميلة . وذلك لأن صفات الكمال أعم من صفات الذات والأفعال ، والتعريف بها أعم منه باللسان أو بالجنان أو بالأركان » .

ثم يردف أبو البقاء : « وأما الحمد الذاتي فهو ، على ألسنة المكملين ، ظهور الذات في ذاته لذاته .

والحمد الحالي : اتصافه بصفات الكمال .

والحمد الفعلي : إيجاد الأكوان بصفاتها حسبما يقتضيها في كل زمان ومكان . ونفس الأكوان أيضاً محامد دالة على صفات مبدعها ، سوابقها ولواحقها ، مثل الأقوال والله سبحانه يثني بنفسه على نفسه : نعم المولى ونعم النصير » .

وقد عمد الصوفية إلى الشكر فأدخلوه في عباراتهم واعتباراتهم وجعلوه سمة لنصيب من السلوك الإنساني الاجتماعي فقد ورد في كلامهم : « شكر العينين أن

---

(٤) انظر أيضاً الفريدة الثالثة والعشرين في كتاب « نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية في العقائد » لشيخ زاده .

تستر عيباً تراه بصاحبك ، وشكر الأذنين أن تستر عيباً تسمعه فيه »[٥] . وهذا شأو عالٍ في السلوك والأخلاق . قال الجنيد : « كان السري السقطي ، (أي خال الجنيد) إذا أراد أن ينفعني يسألني فقال لي يوماً : يا أبا القاسم ، ايش الشكر ؟ فقلت : ألا يستعان بشيء من نعم الله تعالى على معاصيه ، فقال : من أين لك هذا ؟ فقلت : من مجالستك »[٦] .

وفرقوا بين موقع الحمد وموقع الشكر فقالوا : « الحمد على الأنفاس والشكر على نعم الحواس »[٧] كما قالوا : « الحمد على ما دفع والشكر على ما صنع »[٨] .

كذلك ميزوا هم والمفسرون شكر العبد من شكر الحق ، « فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه ، وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر إحسانه له.ثم ان إحسان العبد طاعته لله تعالى . وإحسان الحق انعامه على العبد بالتوفيق للشكر له . وشكر العبد على الحقيقة إنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بإنعام الرب تعالى »[٩] .

وكأنهم يتذكرون بيت الشعر الذي استشهد به الزمخشري فيفصّلون أقسام الشكر فهو : « ينقسم إلى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة ، وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة ، وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة . ويقال : شكر هو شكر العالمين يكون من جملة أقوالهم ، ومشكر هو نعت العابدين يكون نوعاً من أفعالهم ، وشكر هو شكر العارفين يكون باستقامتهم له في عموم أحوالهم »[١٠] .

ومن هذا يستبين ايثارهم السلوك زيادة على مجرد العبادة والعلم ولهم في باب الشكر وفي غيره نبذ لطيفة .

وقد فرقوا بين الشاكر والشكور . والشكور صيغة مبالغة لاسم الفاعل يستوي فيها المذكر والمؤنث : « قيل : الشاكر الذي يشكر على الموجود ، والشكور الذي يشكر على المفقود . ويقال : الشاكر الذي يشكر على الرفد ، والشكور الذي

يشكر على الرد ، ويقال : الشاكر الـذي يشكر على النفع ، والشكور الـذي يشكر على المنع . ويقال : الشاكر الـذي يشكر على العطـاء ، والشكور الـذي يشكر على البلاء ، ويقـال : الشـاكر الـذي يشكر عنـد البـذل ، والشكور الـذي يشكر عنـد المطل »[١١] .

ويشعر مطـالع هـذه الأقوال إلى أي حـد بلغ هـؤلاء في السيطرة على نـوازع نفوسهم وسبل تصرّفهم .

من مزايا الحضارة العربية الإسلامية هذا التواصل بين الإنسان وربـه ، فكما أن الإنسان يشكر ربه على إحسـانـه إليـه ، كـذلـك في المقـابل يشكر الربُّ عبـدَه لطاعته له ولسعيه الصالح في خـدمـة الآخرين وابتغـاء مصـالحهم : ﴿ ومن تطوّع خيراً فـإن الله شـاكر عليم ﴾[١٢] أي مُجـازٍ على القليـل كثيراً ، ﴿ وكان الله شـاكراً عليماً ﴾[١٣] ووصف نفسه جل وعلا : ﴿ ومن يقترف حسنة نزد له فيها حُسْناً ، إن الله غفور شكور ﴾[١٤] .

قـال الإمـام القشيري : « حقيقـة الشكر عنـد أهل التحقيق الاعتراف بنعمـة المنعم على وجـه الخضوع ، وعلى هـذا القـول يـوصف الحـق سبحـانـه بـأنـه شكـور توسعاً ، ومعناه أنه يجـازي العبـاد على الشكر فسمي جزاء الشكر شكراً ، كما قـال : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ وقيل : شكره إعطـاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير » .

(٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) الرسالة القشيرية باب الشكر .

(١٢) البقرة : ١٥٨ .

(١٣) النساء : ١٤٧ .

(١٤) الشورى : ٢٣ .

وجاء في تاج العروس : « وأما الشكور في صفات الله عز وجل فمعناه انه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء ، وشكره لعباده مغفرته لهم .

وقال شيخنا : الشكور في أسمائه هو معطي الثواب الجزيل بالعمل القليل لاستحالة حقيقته فيه تعالى . أو الشكر في حقه تعالى بمعنى الرضا . والإثابة لازمة للرضا . فهو مَجَاز في الرضا ثم تُجوّز به إلى الإثابة . وقولهم : شكر الله سعيه ، بمعنى أثابه »[١٥] .

ومهما يردْ من تفسير شكر الحق للإنسان فإنه يكفي الإنسان شرفاً وعلواً أن الحق يشكر له سعيه الصالح الحسن ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾[١٦] .

والشكر زيادة على الجزاء ﴿ إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً ﴾[١٧] وليس فوق هذا حث على السعي الصالح والعمل الفاضل في المجتمع الإنساني .

إن الحضارة العربية الإسلامية حضارة اجتماعية تقصد إلى رفعة الإنسان وتعظيم شأنه . وغالبية العبادات إن لم نقل كلها تتعلق بتحسين المجتمع وتجويد العلاقات الإنسانية والتعاون والتضامن بين بني الإنسان .

---

(١٥) ذكر الزبيدي أيضاً : « اللحياني ممن سوّى الحمد بالشكر ولم يفرق بينهما ، وذكر أقوال غيره ممن فرق بينهما » . ثم قال : « وقد أكثر العلماء في شرحها وبيانها ومالها وما بينهما من النسب ومافيها من الفرق من جهة المتعلق أو المدلول وغير ذلك » .

(١٦) الإسراء : ١٩ .

(١٧) الدهر : ٢٢ .

وقد ورد في كتاب « فضيلة الشكر » للإمام محمد بن جعفر الخرائطي[١٨] رواية الأثر : « لم يشكر الله من لم يشكر الناس » . ومعناه عندنا أن الخير إنما يأتي بتعاون الناس ، فإذا تعاونوا شكر بعضهم لبعض سعيهم في الخير ، وكان ذلك شكراً لله على هذا التعاون . وقد ورد الحديث في كشاف اصطلاحات الفنون نقلاً عن أسرار الفاتحة : « من لم يحمد الناس لم يحمد الله » .

على أن الصوفية قد فرقوا أيضاً بين الشكر والرضا وتناقشوا في الرضا ، هل هو من الأحوال أو من المقامات ؟

« فأهل خراسان قالوا : الرضا من جملة المقامات ، وهو نهاية التوكل ، ومعناه يؤول إلى أنه مما يتوصل إليه العبد باكتسابه . وأما العراقيون فإنهم قالوا : الرضا من جملة الأحوال ، وليس ذلك كسباً للعبد ، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال » .

ويوفق القشيري بين القولين فيرى أنه : « يمكن الجمع بين اللسانين فيقال : بداية الرضا مكتسبة للعبد وهي من المقامات ونهايته من جملة الأحوال وليست بمكتسبة »[١٩] .

وقد فرقوا بين نوعين من الرضا فرفضوا أحدهما ونوهوا بالثاني ؛ ذلك أن الواجب على العبد أن يرضى بالقضاء الذي أُمر بالرضا به إذ ليس كل ماهو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا به كالمعاصي وفنون محن المسلمين[٢٠] .

---

(١٨) محدث وأديب عاش في القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع وعُمِّرَ نحواً من تسعين سنة وتنقل من سرمن رأى التي نشأبها إلى بغداد ودمشق ويافا حيث توفي سنة ٣٢٧ هـ .

وينشر كتابه هذا الآن السيّد محمد مطيع الحافظ أمين مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق وقد جاء الأثر هذا موزوناً نصف شطر من البحر البسيط .

(١٩) الرسالة : باب الرضا .

(٢٠) المرجع السابق .

هذا وقد قَصَرَ الغزالي في سِفْره الواسع « إحياء علوم الدين » كتاباً على الصبر والشكر ، خصص الشطر الثاني من هذا الكتاب لبحث الشكر . وجمعُه للشكر والصبر في باب يدل على مابينهما من علاقة ، وقد سبق في كلامنا على معنى الشكور مايتضمن ذلك . والقارئ لما يكتبه مؤلف الإحياء لابد له من أن يُعجب ببيانه السهل وتحليله الدقيق ، ويدرك في الوقت نفسه مدى إفادته من رسائل من سبقه كأبي طالب المكي والمحاسبي والقشيري وغيرهم . ولاغرو في ذلك فإن العلم يزداد وينمو ويزكو بالمراجعة والمحاورة وإضافة المتأخر على ماسبق إليه المتقدم .

ويجد الباحث غنى في هذا المجال في كتب المفسرين والمحدثين وكلام علماء الصوفية والفقهاء ، اقتصرنا على تلخيص ماسنح منها لنا .

هذا وثمة بحوث نحوية في الكلام على حمد الله يجدها القارئ الكريم في كتب التفسير خاصة ، وهي معروفة ومتداولة . وخلاصتها كما جاء في كليات أبي البقاء أنه (الحمد لله) من المصادر المنصوبة بالأفعال المقدرة السادة مسدها كما في شكراً وسقياً ورعياً ونحوها ، فحذف فعله لدلالة المصدر عليه ، ثم عدل إلى الرفع لقصد الدوام والثبات ، وأدخل عليه الألف واللام فصار الحمد لله . كما أن ثمة خلافاً في لام التعريف التي في الحمد حين تتلو « الحمد لله » ، أللجنس هي كما يقطع بذلك الزمخشري أم للاستغراق بمعنى كل حمد في الدنيا والآخرة يرجع اليه تعالى كما يذكر مفسرون آخرون كالنسفي .

وهذا التفريق بين معاني اللام راجع في رأينا إلى الموقف الكلامي . ذلك أن كل حمد وثناء راجع إلى الله عند التحقيق في رأي غالبية أهل السنة فهو خالق الأفعال المحمودة وهو وحده الفاعل المختار . أما عند المعتزلة فخلق أفعال المرء راجع إلى المرء نفسه .

هذا « والحميد من صفات الله تعالى بمعنى المحمود على كل حال ، وهو من الأسماء الحسنى » كما جاء في التاج .

والسعيد من هدي إلى صراطه : « وهدوا إلى الطيب من القول ، وهدوا إلى صراط الحميد »[٢١]

وقد سمت العرب أحمد ومحمداً ، وهي من أشرف أسمائه صلى الله عليه وسلم كما جاء أيضاً في التاج .

هذه الحضارة العربية الاسلامية صرفت وَكْدَها وكدَّها نحو مكارم الأخلاق وحسن السيرة . لقد نوّهت بالحمد والشكر والرضا ، ولكنها نددت بالمدح . ورد في الأثر « احثوا التراب في وجوه المدّاحين ». جاء في « فيض القدير » أنه « عبّر بصيغة المبالغة إشارةً إلى أن الكلام فيمن تكرّر منه المدح حتى اتخذه صناعة وبضاعة يتأكل بها الناس ، وجازف في الأوصاف ، وأكثر الكذب . يريد لاتعطوهم على المدح شيئاً . فالحثي كناية عن الحرمان والرد والتخجيل . قال الزمخشري : من المجاز حثا في وجهه الرماد إذا أخجله . أو المراد قولوا لهم: بأفواهكم التراب . والعرب تستعمل ذلك لمن يكرهون » .

ثم يعقب المناوي مؤلف الفيض ، فيذكر ما قاله النووي : « ومدح الانسان يكون في غيبته وفي وجهه . فالأول لايمنع إلا إذا جازف المادح ودخل في الكذب فيحرم للكذب ، لا لكونه مدحاً ، ويستحب مالا كذب فيه إن ترتب عليه مصلحة ولم يجّر إلى مفسدة . والثاني قد جاءت أخبار تقتضي إباحته ، وأخبار تقتضي منعه كهذا الخبر . وجُمِعَ بأنه إن كان عند الممدوح كمال إيمان وحسن يقين ورياضة بحيث لا يفتتن ولا يغتر ولا تلعب به نفسه فلا يحرم ولا يكره . وإن خيف عليه شيء من ذلك كره مدحه . »

والخلاصة أن الشكر لله يتضمن عرفان آلائه ونعمه السابغة ظاهرة وباطنة والحمد لله يعمّ الشكر له ويتعرف صفاته وأسماءه الحسنى ، ويشتمل على الثقة به

(٢١) سورة الحج ٢٤ .

خالق الحياة والموت ومالك الدنيا والآخرة . وكل ذلك يستلزم وجود التضامن بين الإنسان والكون ، ولزوم أداء المسؤولية الكبرى التي تقع على الإنسان في سلوكه السويّ ، وتعاونه هو وأبناء نوعه في سبيل العلم والفن والتقدم والرقي والتماس أسباب المعالي .

هذا وإن الحمد لله أول ما نتلوه في المصحف الشريف ، وهو أيضاً آخر دعاء أهل الجنان .

☆ ☆ ☆

الدكتور عبد الكريم اليافي



الأوزان والقوافي في شعر المتنبي

رسالة مخطوطة لأبي العلاء المعريّ

تحقيق محمد طاهر الحمصي

لقد كان المعريّ يُعنى بشعر المتنبي ويتعصَّب له ، وحكايته مشهورة مع الشريف المرتضى في بغداد ، وما كان من أمره لما ردّ المذمّة عن أبي الطيّب بقوله : « لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلاّ قوله : (لكِ يا منازلُ في القلوب منازلُ) لكفاه فضلاً »[1] .

وما زالت الكتب التي ترجمت للمعريّ تحفظ له أنه قد وضع شرحين على شعر أبي الطيّب ، دعا أحدهما (اللامع العزيزيّ) والآخر (معجز أحمد)[2] .

وهذه المخطوطة ليست إلاّ جزءاً من أحد الشرحين المذكورين أو من شرحٍ آخر لم يصل إلينا ذكره . وهي محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموعٍ مخطوط تحت رقم ٩٢٣٧ عام ، وناسخها مجهول ، إلاّ أنّ الذي يوثّق نسبتها إلى أبي العلاء أمران :

أمّا **الأوّل** فهو موافقة كلام أبي العلاء في هذه المخطوطة لكلامه فيما سواها . ومن هذا القبيل قوله في هذه المخطوطة بأن الطيّ تنفر منه الغريزة في بيت المتنبي :

ربّ نجيعٍ بسيف الدولة انسفكا ورُبَّ قافيةٍ غاظتْ به مَلِكا

وهذا يوافق كلام أبي العلاء الذي حكاه صاحب كتاب (تفسير أبيات المعاني من

١ ـ انظر تعريف القدماء بأبي العلاء : ٧٦ .

٢ ـ انظر تعريف القدماء : ١٨٣ .

شعر أبي الطيب) ص ١٦٢ إذ يقول في شأن البيت السابق : « لم يزاحف أبو الطيب زحافاً تنكره الغريزة إلاّ في هذا البيت » .

ومن ذلك أيضاً ما يذكره أبو العلاء في هذه المخطوطة عن الجرميّ أنه كان يزعم أنّ الرسّ لا حاجة لذكره . ومثل هذا الكلام لأبي العلاء موجود في مقدمة ديوانه (اللزوميات) ص ١٧ .

وبيتا الخَرْم اللذان يذكرهما أبو العلاء للمتنبي هنا مذكوران في كلام له حكاه صاحب كتاب (تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب) ص ٥١ ـ ٥٢ وفي (رسائل أبي العلاء) : ٢ / ٣٧٨ ـ ٣٧٩

وأولهما : لا يحزنِ اللهُ الأميرَ فإنني لآخُذُ من حالاته بنصيبِ

وثانيهما : إنْ تكُ طيِّئٌ كانتْ لِئاماً فألأمُها ربيعةُ أو بنوهْ

وأما **الثاني** فهو اعتماد أبي العلاء في هذه المخطوطة على الغريزة في التمييز بين أنواع الزحاف : وهذا أمرٌ ظاهرٌ في جميع آثاره ، فالجزء من الرجز يسهل فيه الخبن والطيّ . انظر هذا النصّ المحقّق ، وانظر الفصول والغايات ص ١٤٥ ، وطيّ (مفعولات) في حشو المنسرح أحسن في الغريزة من إتمامها . انظر هذا النصّ المحقّق ، وانظر عبث الوليد ص ١٨٣ ، ٣٠٦ وبهذا تثبت صحّة نسبة هذه الرسالة المخطوطة إلى أبي العلاء ، ويبقى أن نشير إلى أن أبا العلاء في هذه المخطوطة قد استقصى الأوزان التي نظم عليها المتنبي والقوافي التي استعملها في شعره ، وقد ضمّن كلامه كثيراً من الأحكام العروضيّة القيّمة ، مما يرفع من شأن هذه الرسالة لدى الباحث في شعر المتنبي ، ولدى الباحث في عروض المعريّ على حدٍّ سواء .

نصّ الرسالة

« قال الشيخ أبو العلاء أحمد بن سليمان[١] المعريّ : استعمل أبو الطيّب رحمه الله من الأوزان التي ذكرها الخليل بن أحمد أحد عشر وزناً : الطويل والبسيط والوافر والكامل والرجز والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمجتثّ والمتقارب . ولم يستعمل أربعةً وهي : المديد والهزج والمضارع والمقتضب .

واستعمل الطويل بضروبه[٢] الثلاثة : الأول كقوله :[٣]

أُطاعنُ خَيْلاً من فوارسها[٤] الدهرُ [وحيداً وما قولي كذا ومعي الصّبرُ][٥]

والثاني كقوله :[٦]

وفاؤكما كالرَّبْع أَشْجاهُ طاسِمُهْ [بأَنْ تُسْعِدا والدمعُ أشفاه ساجِمُهْ]

والثالث كقوله :[٧]

ليالِيَّ بعد الظاعنين شُكُولُ [طِوالٌ وليلُ العاشقين طويلُ]

واستعمل من البسيط ثلاثة أضرب[٨] : الأول كقوله :[٩]

أجابَ دمعي وما الداعي سوى طللٍ [دعا فلبّاهُ قبلَ الركبِ والإبلِ]

والثاني كقوله :[١٠]

مَنِ الجآذرُ في زيِّ الأعاريبِ [حُمْرَ الحِلى والمطايا والجلابيبِ]

والثالث كقوله :[١١]

نالَ الذي نلتُ منه منّي اللهُ ما تصنعُ الخمورُ

واستعمل الأول[١٢] من الوافر كقوله :[١٣]

طِوالُ قناً تُطاعِنُها قِصارُ [وقَطْرُكَ في ندىً ووغىً بحارُ]

وجاء بالأول[١٤] من الكامل كقوله :[١٥]

لكِ يا منازلُ في القلوب منازلُ [أقفرتِ أنتِ وهنَّ منكِ أواهلُ]

وبالثاني[١٦] كقوله :[١٧]

في الخدِّ أنْ عَزَمَ الخليطُ رحيلا [مطرٌ تزيدُ به الخدودُ مُحولا]

وبالرابع[١٨] كقوله :[١٩]

اثلثْ فإنّا أيّها الطللُ [نبكي وتُرْزِمُ تحتنا الإبلُ]

وبالخامس[٢٠] كقوله :[٢١]

أقصرْ فلسْتَ بزائدي ودّا [بَلَغَ المدى وتجاوزَ الحدّا]

وبالسادس[٢٢] كقوله :[٢٣]

وزيارةٍ مِنْ غيرِ مَوْعِدْ كالغمضِ في الجفنِ المسهَّدْ

وبالثامن[٢٤] كقوله :[٢٥]

لأحبّتي أنْ يملؤوا بالصافياتِ الأكْوبا

وجاء بمجزّأ[٢٦] الرجز في قوله :[٢٧]

أيَّ محلٍّ أرتقي أيَّ عظيمٍ أتقي

وجاء بمشطور[٢٨] الرجز كقوله :[٢٩]

وشامخٍ من الجبالِ أقْوَدِ

وجاء بأصل[٣٠] الرمل الذي لم يذكره الخليل عن العرب ، وذلك قوله :[٣١]

إنّما بَدْرُ بنُ عمّارٍ سحابُ هَطِلٌ فيه ثوابٌ وعِقابُ

إنما بدرٌ عطايا ورزايا [ومنايا] وطعانٌ وضِرابُ

وقد رُويَ مثلُ هذه الأبيات لرجلٍ من قريشٍ قالها في صدر الإسلام ، وأولها :[٣٢]

إنّ ليلي طالَ والليلُ قصيرُ طالَ حتى ما أرى الصبحَ ينيرُ

ذكرُ أيامٍ عَرَتْنا مُنكَرَاتٍ حدثَتْ فيها أمورٌ وأمورُ

فالذي يأمرُ بالغيِّ مُطاعٌ والذي يأمرُ (بالخير)[٣٣] دَخِيرُ

وجاء بالثالث[٣٤] من الرمل في قوله :[٣٥]

إن هذا الشِّعْرَ في الشّعرِ مَلَكْ سارَ فَهْوَ الشّمسُ والدّنيا فَلَكْ

عَدَلَ الرحمنُ فيه بيننا فقضى باللفظِ لي والحمدِ لكْ

فإذا مَرَّ بأُذْنَيْ حاسدٍ صارَ ممّن كان حيّاً فَهَلَكْ

وجاء بالسريع[٣٦] الأول في قوله :[٣٧]

لا تَحسُنُ الشَّعرةُ حتى تُرى منشـورةَ الضَّفْرَيْنِ يـومَ القتـالْ

وبالضرب السادس[٣٨] من السريع في رأي الخليل كقوله :[٣٩]

مـا أجـدرَ الأيـامَ والليـالي

[بـأن تقـول مـالـه ومـالي]

والعرب تسمّي هذا رجزاً[٤٠] . وجاء بالمنسرح[٤١] الأول في مثل قوله :[٤٢]

أبْعـدُ نـأْيِ المليحـةِ البَخَـلُ [في البعـد مـا لا تُكلَّفُ الإبِـلُ]

وبثاني[٤٣] المنسرح ، ولم يذكره الخليل ولا غيره ، كقوله :[٤٤]

مـا سَـدِكتْ علّـةٌ بمـورودِ [أكْرَمَ مِنْ تَغلِبَ بنِ داودِ]

وقوله :[٤٥]

أوهِ بـديـلٌ من قـولتي واهـا [لمنْ نـأتْ والبـديـلُ ذكراهـا]

وبالأول[٤٦] من الخفيف :[٤٧]

مـا لنـا كلُّنـا جَـوٍ يـا رسـولُ [أنـا أهـوى وقلبـكَ المتبـولُ]

وبالمجتثّ[٤٨] في قوله :[٤٩]

مـا أنصفَ القـومُ ضُبَّـهْ [وأمَّـهُ الطُّرْ طُبَّـهْ]

وبالمتقارب[٥٠] الأول ، كقوله :[٥١]

أحُلْماً نرى أم زمـانـاً جـديـدا [أمِ الخَلْـقُ في شخصِ حَيٍّ أُعيـدا]

وبالمتقارب[٥٢] الثالث كقوله :[٥٣]

إلامَ طَماعيـةُ العـاذلِ [ولا رَأْيَ في الحبِّ للعـاقـلِ]

فأما الطويل الأول فلم يزاحف فيه زحافاً تنكره الغريزة ، إنّما جاء بما لا تنكره الغريزة ، وهو سقوط نون جزء الخماسي[٥٤] ، وذلك كثير في الشعر القديم والمحدث . وفي قوله :[٥٥]

أُغـالبُ فيـكَ الشوقَ والشـوقُ أغْلَبُ وأَعْجَبُ من ذا الهجرِ والـوصـلُ أَعْجَبُ

زحـافـان : أحـدهمـا في (أغـالب) والآخر في (وأعجب)[٥٦] . وقـد خَرَمَ[٥٧] أبـو الطيب في الطويل الثالث في موضعٍ واحد وذلك قوله :[٥٨]

لا يُحــــزِنِ اللهُ الأميرَ فـــــإنني لآخُــــذُ من حــــالاتِـــــهِ بنصيبِ

وهذا الخرم يسمّى الثلم[٥٩] .

وأما البسيط فجاء فيه بزحاف يسمّى الخبن[٦٠] ، ولا تأثير له في الغريزة ، ومنه ما يقع في جزءٍ سباعيّ . ومن ذلك قوله :[٦١]

أجابَ دمعي وما الداعي سوى طللٍ دعــا فلبّـــاه قبـلَ الركْبِ والإبِـلِ

ففي قوله : (أجاب) زحاف ، وكذلك قوله : (دعا) ، وهذا زحاف السباعيّ . وأمّا زحاف الخماسيّ فمثل قوله :[٦٢]

ظَلِلْتُ بين أُصَيْحــــابي أُكَفْكِفُـــــهُ وظَـلَّ يَسْفَـحُ بين العُــذْرِ والعــذَلِ

فبعد قوله : (بين) الأولى زحاف ، وكذلك بعد السين في (يسفح)[٦٣] ، وهو زحاف الخماسيّ . وقد جاء بزحاف يسمّى الطيّ في البسيط والغريزة تنفر منه ، وهو سقوط الرابع من الجزء السباعيّ ، وهو قوله :[٦٤]

ربَّ نجيـعٍ بسَيفِ الـــدولـــةِ انسفكا [وربَّ قـافيـةٍ غـاظتْ بـه مَلِكا]

وأول البسيط وثانيه يستوي الزحاف فيهما ، فما قبح في الأول قبح في الثاني ، وما خفي في أحدهما خفي في الآخر . فأما السادس منه فلا يقبح فيه خبن السباعيّ ولا طيّه ، ولا تنفر الغريزة من خبن الخماسيّ ، ولم يستعمله أحد من المحدثين ، ومن خبن السباعيّ قوله :[٦٥]

وذا انصرافي إلى محلّي فـــــــآذنٌ أيّهــــــــا الأميرُ

ومن الطيّ الخفيّ قوله :[٦٦]

مـــــالَ عليّ الشّراب جِـــــدّا وأنتَ للمكرُمـــــاتِ أهْـــــدى

وأمّا الوافر فاستعمل فيه العَصْب ، وهو سكون الخامس من السّباعيّ ، وكثر في الشعر القديم والمحدث . قال :[٦٧]

[و] يبكي خلفـــــــــه دَثْرٌ بُكاهُ رُغــــاءٌ أو ثُــــؤاجٌ أو يُعـــــارُ

وفي هذا البيت عصبٌ في أربعة[٦٨] مواضع .

وقد خرم في الوافر في موضع واحد ، وهو الخرم الذي يسمّى العَضْب[٦٩] ، وهو قوله :[٧٠]

إنْ تَــكُ طيّئٌ كانتْ لِئَــامــاً　　فــألأمُهــا ربيعــةُ أو بنــوهْ

وأما الكامل فإنه زاحف فيه الزحاف الذي يسمّى الإضمار ،وهو كثير جداً في شعر من الوزن الكامل . من ذلك قوله :[٧١]

سِرْ حــلَّ حيث تحلُّــهُ النُّــوّارُ　　[وأرادَ فيــكَ مُرادَكَ المِقــدارُ]

والإضمار سكون الحرف الثاني .

وأما الرجز فجاء فيه بالطيّ والخبن ، وكلاهما غير قبيح ، كقوله :

أيَّ محــــــــلٍّ أرتقي[٧٢]

وكقوله　　وشــامــخٍ من الجبــال أقْــودِ[٧٣]

وأمّا الرمل فجاء فيه بالخبن ، وهو سقوط الثاني من سباعيّه ، كقوله :

فــإذا مرَّ بــأُذْنَيْ حــاسـدٍ　　صــارَ مِّمنْ كان حيّــاً فَهَلَــكْ

وفي النصف الأول خبنٌ في موضعين .[٧٤]

وأمّا السريع فطوى فيه وخَبَنَ ، كقوله :[٧٥]

آخِرُ مــا المَلْــكُ مُعَــزَّىً بــهِ　　[هــذا الــذي أثّرَ في قَلْبِــهِ]

وفي هذا المصراع طيّ في موضعين[٧٦] . وقوله :[٧٧]

ولَمْ أقــلْ ذلــكَ أَعْني بــهِ　　[ســواكَ يــا فَرْداً بــلا مُشْبِــهِ]

فيه خَبْنٌ في قوله : ولم أقل .

وأمّا المنسرح فاستعمل في أول جزء منه الطيّ كقوله :

أبْعَــدُ نَــأْيِ المليحــةِ البَخَــلُ

وخَبَنَ في الجزء الأول أيضاً كقوله :[٧٨]

ملـولــةٌ مــا يــدومُ ليس لهــا　　[مِنْ مَلَــلٍ دائمٍ بهــا مَلَــلُ]

ففي قـولـه : (ملولـة) خَبْنٌ ، وأتى بـالطيّ في الجزء الثـاني . وطيُّـه أحسن في

الغريزة من تمامه . وفي قوله :

أبْعَـــدُ نَـــأْيِ المليحـــةِ البَخَـــلُ

طيٌّ في الجزء الثاني .

وأمّا الخفيف فخَبَنَ فيه وشعَّثَ ، والتشعيث سقوط حرف متحرك من جزء الضرب قال :(٧٩)

مـالنـا كلُّنـا جَـوٍ يـا رسـولُ أنـا أهـوى وقَلْبُـكَ المتْبـولُ

ففي قوله : (كلّنا جوٍ) خبن ، وقوله : (متبول) فيه تشعيث . وذلك موجود في الشعر الجاهليّ والإسلاميّ .

وأمّا المجتثّ فجاء فيه بخبن السباعيّ ، فإذا روي : (وأمّهُ الطُّرْطُبَّهْ) بسكون الراء ، ففي البيت تشعيث لم يـذكره الخليـل في المجتثّ ، وقـد كثر في أشعـار المحدثين ، وإنْ حرّكت الراء في (الطُّرُطُبَّهْ) فالجزء مخبون غير مشعَّث . وليس ضمُّهم(٨٠) الراء بـأبعـد من قولهم : سُلُطـان ، بضم اللام في سُلْطـان ، وحُكي أنّ عيسى☆ بن عمر قرأ : (حتى يأتينا بقُرُبانٍ تأكله النار)(٨١) بضم الراء .

وأمّا المتقارب فإنَ أبا الطيب قبض فيه أيضاً قبضاً غير منكر ، وحذفَ حذفاً ليس بقبيح ، كقوله :(٨٢)

تفـانى الرجـالُ على حبِّهـا ومـا يَخْلُصـون على طـائـلِ

فقوله :(الرجال) فيه قبض ، وقوله : (حبّها) فيه حذف(٨٣) .

واستعمـل أبـو الطيب القـوافي الأربـع التي تردّد ذكرهـا ، وهي المتراكب والمتـدارك والمتواتر والمترادف(٨٤) . ولم يستعمـل المتكاوس ، وهـو أربعـة أحرف متحركات بعدها ساكن ، واستعمالها لا يكون إلاّ بزحاف .

والقوافي المقيّـدة ثلاث(٨٥) ، استعمـل أبـو الطيب منهـا اثنتين ، وهمـا المجرّدة والمردفة ، [والمجرّدة] كقوله :

وزيـارةٍ من غير مَـوْعِـدْ [كالغُمضِ في الجفنِ المُسهَّـدْ]

يلزمها لازمان : الرويّ والحركة التي قبله وهي التوجيه . والمردفة كقوله :[٨٦]

مــــا أنــــا والخمرَ وبطّيخــــةً ســـــــوداءَ في قشرٍ من الخيزُرانْ

يلزمها ثلاثة لوازم : الرويّ وهو النون ، والردف وهو الألف التي قبل النون ، والحذو[٨٧] وهي الحركة التي قبل الألف .

والقوافي المطلقة ستّ ، استعمل منها خمساً : المطلقة المجرّدة كقوله :[٨٨]

إذا [كان] مــدحٌ فــالنسيبُ المُقَــدَّمُ [أكُـلُّ فصيــحٍ قــالَ شعراً مُتيَّمُ ؟]

الميم رويّ وحركتها المجرى ، والواو وَصْلٌ[٨٩] .

والمؤسَّسة المطلقة كقوله :[٩٠]

على قَــدْرِ أهْـلِ العــزمِ تــأتي العــزائمُ [وتــأتي على قَــدْرِ الكرامِ المكارمُ]

الألف في (العزائم) تأسيس ، وحركة مـا قبلها الرسّ[٩١] . وكان أبو عمر☆ الجرميّ يزعم أنّ الرسّ لا يحتاج إلى ذكرها ، لأن ما قبل الألف لا يكون إلاّ مفتوحاً[٩٢] . والهمزة التي تُصوَّر يـاءً في (العـزائم) دخيـلٌ وحركتهـا الإشبـاع[٩٣] ، والميم الرويّ وحركتها المجرى ، والواو وصل .

[و] المطلقة المردفة كقوله :[٩٤]

أين أزمعْتَ أيُّهــــــذا الهُمامُ نحن نَبْتُ الرُّبــــــا وأنتَ الغَمامُ

الميم الآخرة في (الهمام) رويّ ، وحركتهـا مجرى ، والواو وصل ، والألف التي قبـل الميم ردفٌ ، وحركة ما قبلها حَذْوٌ .

والقافية التي لها نفاذ[٩٥] كقوله :[٩٦]

أودُّ من الأيّــــامِ مــــالا يــــودُّهُ [وأشكـو إليهـا بَيْنَنـا وهْي جُنْـدُهُ]

الدال رويّ ، وحركتها مجرى ، والهاء وصل ، وحركتها نفاذ .

والقافية المردفة التي لها نفاذ كقوله :[٩٧]

حجَّبَ ذا البحرَ بحــــارٌ دونــــهُ [يــذمُّهــا النــاسُ ويحمــدونــهُ]

الواو في قوله : (دونه) ردف ، وحركة ما قبلها حَذْوٌ ، والنون رويّ ، وحركتها

مجرى ، والهاء وصل ، وحركتها نفاذ ، والواو خروج[٩٨] .

ولم يستعمل القافية السادسة ، وهي المؤسّسة التي لها نفاذ ، كقول القائل :[٩٩]

ومـــــاءٍ لا أنيسَ بـــــــه مُطَلْحَبَــــةٍ جــــوانبُــــــهُ[١٠٠]
وردْتُ وليلُـــــــــــــــهُ داجٍ وقـــــد غـــــارتْ كـــواكبُــــهُ

الألف في قوله : (كواكبه) تأسيس ، وحركة ما قبلها رَسّ ، والكاف الثانية دخيل ، وحركتها إشباع ، والباء رويّ ، وحركتها مجرى ، والهاء وصل ، وحركتها نفاذ ، والواو خروج » .

(انتهى كلام أبي العلاء بن سليمان المعري رحمه الله)

المراجع

تعريف القدماء بأبي العلاء . طبعة دار الكتب ـ القاهرة ١٩٤٤ م .

تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي . اختصار أبي المرشد سليمان المعري ـ تحقيق الدكتور مجاهد الصواف والدكتور محسن عجيل . مطبعة دار المأمون للتراث ـ بدمشق ١٩٧٩ م .

العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب . ناصيف اليازجي . ط دار القلم ـ بيروت ١٨٨٧ م .

الفهرست لابن النديم ـ تحقيق رضا تجدّد ـ طهران ١٩٧١ م .

القوافي للأخفش ـ تحقيق عزة حسن . مطبعة وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٧٠ م .

لزوم ما لا يلزم للمعريّ ـ ط دار صادر ـ بيروت .

المعيار في أوزان الأشعار لابن السرّاج الشنتريني ـ تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ـ ط دار الملاح ١٩٧٩ م .

الوافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي ـ تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة وعمر يحي ـ ط المكتبة العربية ـ حلب ١٩٧٠ م .

الحواشي:

١ ـ أبو العلاء هو : أحمد بن عبد الله بن سليمان . وقد أسقط الناسخ اسم أبيه .

٢ ـ للطويل عروض واحدة مقبوضة وزنها : مفاعلن . وله ثلاثة أضرب : الأول سالم صحيح وزنه : مفاعيلن ، والثاني مقبوض كالعروض ، والثالث محذوف وزنه : فعولن . انظر الوافي : ٣٧ ـ ٣٩ .

٣ ـ العرف الطيب : ١٩٤ .

٤ ـ في المخطوطة : فوارسه .

٥ ـ كلّ ما وضع بين معقوفين تكملة من المحقّق ، ولم يرد في المخطوطة .

٦ ـ العرف الطيب : ٢٦١ طامِسُه : دارسه . ساجمه : ساكبه .

٧ ـ العرف الطيب : ٣٦٩ شكول : جمع شكل بمعنى شبيه .

٨ ـ هي بحسب ترتيب الأبيات هنا : الضرب الأول من البسيط وهو مخبون العروض والضرب (فَعِلن) ، والضرب الثاني وهو مخبون العروض مقطوع الضرب (فَعْلن) ، والضرب السادس وهو مقطوع العروض والضرب (مَفْعولن) . ويجوز في (مفعولن) الخبن فيصير (معولن) فينقل إلى (فعولن) كما هو الحال في البيت الثالث : نال الذي نلت منه مني .

٩ ـ العرف الطيب : ٣٤٨ .

١٠ ـ العرف الطيب : ٤٨٠ .

١١ ـ العرف الطيب : ١٦٠ .

١٢ ـ الأول من الوافر عروضه وضربه على وزن (فعولن) .

١٣ ـ العرف الطيب : ٤١٨ .

١٤ ـ الأول من الكامل عروضه وضربه (متفاعلن) .

١٥ ـ العرف الطيب : ١٧٩ .

١٦ ـ الثاني من الكامل سالم العروض مقطوع الضرب ، كان ضربه (متفاعلن) فأسقطت النون وسكّنت اللام فبقي (متفاعلْ) فنقل إلى (فَعِلاتن) . انظر الوافي : ٨٤ ، والمعيار : ٦٢ .

١٧ ـ العرف الطيب : ١٤٥ .

١٨ ـ الرابع من الكامل أحذّ العروض والضرب (فَعِلن) . انظر الوافي : ٨٦ والمعيار : ٦٣ .

١٩ ـ العرف الطيب : ٥٩٦ . اثلث : كن ثالثاً ، والمعنى : نحن نبكي والإبل تحنّ كأنها تبكي فكن أيها الطلل ثالثاً لنا في البكاء .

٢٠ ـ خامس الكامل عروضه حذّاء وضربه أحذّ مضمر ووزنه (فَعْلن) . الوافي : ٨٧ والمعيار : ٦٣ .

٢١ ـ العرف الطيب : ١٨ .

٢٢ ـ سادس الكامل عروضه مجزوءة وزنها (متفاعلن) وضربه مرفّل وزنه (متفاعلاتن) . [وقد رفّل أبو الطيب العروض في هذا البيت لأنه مصرع لابد أن تطابق عروضُه ضربَه في الزنة] .

٢٣ ـ العرف الطيب : ٢٢٣ وفيه (كالغمض) في موضع (كالغصن) .

٢٤ ـ ثامن الكامل مجزوء . أنظر المعيار ٦٤ .

٢٥ ـ العرف الطيب : ٥١ .

٢٦ ـ مجزوء الرجز وزنه : مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن .

٢٧ ـ العرف الطيب : ٣٤ .

٢٨ ـ المشطور ما أُسقط منه عجزه .

٢٩ ـ العرف الطيب : ٢٢٧ .

٣٠ ـ أصل الرمل (فاعلاتن) ست مرات . انظر الوافي : ١٢١ .

٣١ ـ العرف الطيّب : ١٤٤ . وقد ورد البيت الثاني في المخطوطة ناقصاً بإسقاطه كلمة (منايا) .

٣٢ ـ البيتان الأولان في المعيار : ٨١ غير منسوبين مع بعض اختلاف في عجز البيت الأول (طال حتى كاد صبحٌ لا ينير) .

٣٣ ـ في المخطوطة (بالغيّ) ، والمعنى فاسد ، وقد استعضت عنها بكلمة (الخير) ليصلح المعنى . دخير : ذليل .

٣٤ ـ ثالث الرمل محذوف العروض والضرب ووزنها (فاعلن) . انظر الوافي : ١٢٣ .

٣٥ ـ العرف الطيب : ٣٥٤ .

٣٦ ـ السريع الأول عروضه وزنها (فاعلن) وضربه وزنه (فاعلان) . الوافي : ١٣٨ .

٣٧ ـ العرف الطيب : ٧ وفيه : لاتحسن الوفرة حتى ترى .

٣٨ - سادس السريع عروضه وضربه على وزن (مفعولن) ويجوز الخبن في كل منها فيصير (فعولن) . انظر الوافي : ١٤٢ - ١٤٣ .

٣٩ - العرف الطيب : ٦١١ .

٤٠ - انظر المعيار : ٧١ .

٤١ - المنسرح الأول عروضه سالمة وضربه مطويّ ، ووزنه :

مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مفتعلن .

٤٢ - العرف الطيب : ١٣٤ .

٤٣ - ثاني المنسرح الذي لم يذكره الخليل عروضه سالمة (مستفعلن) وضربه مقطوع (مفعولن) . انظر الوافي : ١٤٨ وقد خالف المعري في كتاب (تفسير أبيات المعاني) : ١١٠ ما ذكره هنا ، إذ حكى أن بعضهم قد ذكر ثاني المنسرح .

٤٤ - العرف الطيب : ٣٠١ .

٤٥ - العرف الطيب : ٥٨٤ .

٤٦ - الأول من الخفيف سالم العروض والضرب .

٤٧ - العرف الطيب : ٤٥٦ .

٤٨ - للمجتثّ عروض واحدة وضرب واحد ، ووزنه :

مستفع لن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

٤٩ - العرف الطيب : ٦٣٢ . ضَبّـه : اسم المهجوّ وهو ضبّة بن يزيد العتبيّ . الطرطبة : المسترخية الثديين .

٥٠ - المتقارب الأول سالم العروض والضرب ، وزنه (فعولن فعولن) أربع مرات . انظر الوافي : ١٨٣ .

٥١ - العرف الطيب : ١٣٢ .

٥٢ - المتقارب الثالث عروضه سالمة (فعولن) وضربه محذوف (فَعَلْ) ويجوز في (فعولن) التي في العروض الحذف فتصير (فَعَلْ) .

٥٣ - العرف الطيب : ٢٧٦ .

٥٤ - سقوط الخامس الساكن زحاف يسمى القبض .

٥٥ ـ العرف الطيب : ٥٠٢ والبيت من الطويل الثاني .

٥٦ ـ الزحاف في الموضعين زحاف القبض ، وهو هنا سقوط النون من (فعولن) فتبقى (فعولُ) .

٥٧ ـ الخرم : حذف الحرف الأول من الوتد المجموع في أول الجزء من أول البيت . انظر المعيار : ٣٠ .

٥٨ ـ العرف الطيب : ٣٣١ . وقد ذكره المعري أيضاً شاهداً على الخرم في شعر أبي الطيب في كتاب (تفسير أبيات المعاني) : ٥١ .

٥٩ ـ الثلم : هو الخرم في الطويل .

٦٠ ـ الخبن : سقوط الثاني الساكن .

٦١ ـ العرف الطيب : ٣٤٨ .

٦٢ ـ العرف الطيب : ٣٤٩ .

٦٣ ـ الصحيح أن الزحاف هنا وقع بعد الفاء من (يسفح) . وهو زحاف الخبن في (فاعلن) الذي صار (فعلن) .

٦٤ ـ العرف الطيب : ٣٠٥ . وكلام أبي العلاء حول البيت هنا مطابقٌ لكلامه المحكي في (تفسير أبيات المعاني) : ١٦٢ .

٦٥ ـ العرف الطيب : ١٦٠ والرواية فيه : وفي انصرافي إلى محلّي أآذنٌ أيّها الأميرُ

وقد وقع الخبن في قوله : (وذا انصرا) وقوله : (فآذنٌ) .

٦٦ ـ العرف الطيب : ٢٢٦ وقد أصاب الطيّ الجزء الأول من البيت في قوله : (مال علي) .

٦٧ ـ العرف الطيب : ٤٢١ . والرواية فيه : ويبكي خلفهم دثر بكاه .

٦٨ ـ وقع العصب في الجزأين الأولين من صدر البيت ، وفي الجزأين الأولين من عجزه . الدَّثْر : المال الكثير يعني المواشي . الثؤاج : صوت الغنم . اليعار : صوت الماعز .

٦٩ ـ العَضْب : الخرم في الوافر .

٧٠ ـ العرف الطيب : ٥٥٧ ، والرواية فيه : (لئن تك طيّئٌ كانت لِئاماً) بلا خرم .

٧١ ـ العرف الطيب : ٢٨٤ . وفي المخطوطة (ترحل) في مكان (سِرْ حَلَّ) وهو ليس بشيء .

٧٢ ـ هو شاهد الطيّ . وقع الطيّ في الجزء الأول من البيت .

٧٣ ـ هو شاهد الخبن . وقد لحق الخبن حشوه وعروضه .

٧٤ ـ في الجزء الأول والثاني .

٧٥ ـ العرف الطيب : ٦٠٨ .

٧٦ ـ الموضع الأول بعد الخاء من (آخر) والثاني بعد الكاف من (الملك) .

٧٧ ـ العرف الطيب : ٦١١ وفيه : ولم أقل مثلك .

٧٨ ـ العرف الطيب : ١٣٤ .

٧٩ ـ العرف الطيب : ٤٥٦ .

٨٠ ـ في المخطوطة : وليس بينهم الراء . والصحيح : وليس ضمّهم الراء .

☆ عيسى بن عمر الثقفيّ من مقدّمي نحويّي البصرة ، وعنه أخذ الخليل بن أحمد ، وهو أحد قرّاء البصريين ، مات سنة تسع وأربعين ومئة ، وله من الكتب كتاب الجامع وكتاب المكمّل . انظر الفهرست : ٤٧ .

٨١ ـ آل عمران : ١٨٣ .

٨٢ ـ العرف الطيب : ٢٨١ وفيه : وما يحصلون على طائل .

٨٣ ـ الحذف : سقوط سبب خفيف من آخر الجزء .

٨٤ ـ المتراكب : كل قافية توالت فيها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين . والمتدارك : كل قافية توالى فيها حرفان متحركان بين ساكنين . والمتواتر : كل قافية فيها حرف متحرك بين حرفين ساكنين . والمترادف : كل قافية اجتمع في آخرها ساكنان . انظر قوافي الأخفش : ٨ ـ ٩ .

٨٥ ـ القافية المقيّدة : ما كانت ساكنة الرويّ ، وهي مجرّدة أو مردفة (قبل رويّها واو أو ياء أو ألف) أو مؤسسة (فيها ألف للتأسيس) .

٨٦ ـ العرف الطيب : ٢٤٦ .

٨٧ ـ الحذو : حركة ما قبل الردف . والردف : واو أو ياء أو ألف قبل الرويّ .

٨٨ ـ العرف الطيب : ٣٠٨ .

٨٩ ـ المجرى : حركة الرويّ . والوصل : الحرف الحاصل من مدّ حركة الرويّ .

٩٠ ـ العرف الطيب : ٤٠١ .

٩١ - الرسّ : حركة ما قبل ألف التأسيس .

☆ أبو عمر الجرميّ : صالح بن إسحاق أخذ النحو عن الأخفش ، وأخذ اللغة عن أبي زيد والأصمعي وطبقتهما . ومن كتبه كتاب القوافي وكتاب التثنية والجمع . انظر الفهرست : ٦٢ .

٩٢ - ذكر المعري قول الجرميّ هذا في مقدمة اللزوميات ص ١٧ .

٩٣ - الدخيل : الحرف الفاصل بين الروي وألف التأسيس . والإشباع : حركة الدخيل في الشعر المطلق ، فإذا كانت في المقيد فهي التوجيه .

٩٤ - العرف الطيب : ٢٦٧ .

٩٥ - النفاذ : حركة الهاء إذا كانت وَصْلاً .

٩٦ - العرف الطيب : ٤٨٦ .

٩٧ - العرف الطيب : ٣٨٢ .

٩٨ - الخروج : هو الحرف الحاصل من مدّ حركة الهاء إذا كانت وصلاً .

٩٩ - البيتان في (الفصول والغايات) غير منسوبَيْن . ص ٢٣ .

١٠٠ - مطلحبة مثل مطحلبة : كثيرة الطحلب ، وهو خضرة تعلو الماء المزمن . انظر (اللسان) : ط ح ل .

أراجيز المُقِلِّين

الأستاذ محمد يحيي زين الدين

القسم الثالث●

[٩]

بشير بن النِكث الكليبي(١)

- ١ -

١ - إن كَحَلَ الجَدبُ وعَضَّت لِزَبُهْ
٢ - كفاهُ من كلّ طعامٍ يجلبُهْ
٣ - كُومُ الذُّرى يطلبها وتطلبُهْ

- - - - - - - - - -

٤ - وَلَّت ودعواها شديدٌ صَخَبُهْ

١ - ٣ كحل : اشتد . اللزب : جمع لَزْبة وهي الشدة . الكوم : القطعة من الإبل ، وناقة كوماء : عظيمة السنام طويلته .

٤ - اللسان (دغر) . . ودعوى ما . . اللسان (دعا) ص ٢٥٧ وتهذيب اللغة ٣ / ١٢٠ قالت . . كثير . . المخصص ١٤ / ١٥٥ وكتاب سيبويه ٢ / ٢٢٨ . . كثير . . .

الدعوى : الدعاء .

● نظر الأستاذ أحمد راتب النفاخ عضو لجنة المجلة في هذا القسم من أراجيز المقلين ، وأثبتنا ما تراءى له من تعليقات بين حاصرتين تمييزاً عن الأصل [لجنة المجلة] .

(١) : معاصر لجرير ، ذكره الآمدي ولم يترجم له . له شعر غير رجز . المؤتلف والمختلف ٨٩ وذيل الأمالي ٥٦ وديوان جرير ٤٦٢ والنقائض ١ / ٢٠٦ .

التخريج :[٢]

١ ـ ٣ الأساس (كحل) ـ ٤ اللسان (دغر) (عقر) ـ اللسان (دعا) ص ٢٥٧☆ ، ص ٢٥٨ ـ اللسان والتاج (نكث) ـ تهذيب اللغة ٣ / ١٢٠☆ ـ المخصص ١٣ / ٨٨☆ ، ١٤ / ١٥٥ ، ١٥ / ١٨٤ ـ المحكم ١ / ١٠٥ ، ٢ / ٢٣٤ ـ المقصور والممدود لابن ولاد ٤٠☆ ـ كتاب سيبويه ٢ / ٢٢٨ .

ـ ٢ ـ

١ ـ فأصبحتْ بالأنْفِ من جَنْبَيْ شِعِرْ
٢ ـ بُجْحاً تراعى في نعامٍ وبَقَرْ
٣ ـ حيث تراءى مَأْسَلٌ وذو فَجَرْ
٤ ـ يَقْمَحنَ من حِبَّتِهِ ما قد نَثَرْ

ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

٥ ـ حلا غُثاءُ الرّاسياتِ فَهَدَرْ
٦ ـ رَغرَغةٌ رَفهاً إذا الوِردُ حَضَرْ
٧ ـ أذاك خيرٌ أم عناءٌ وعُسُرْ

ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

٨ ـ فوَرَدت عندَ هَجيرِ المُهتَجر
٩ ـ والظِّلُّ مَخصُوفٌ بأخفافٍ جُمُرْ

ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

١٠ ـ عَجِّلْ لها سقاتَها يا ابن الأَغَرّ

---

(٢) : في الإبل ٨٥ ، ١٣٠ واللسان والتاج (خشب) والأساس (قصب) (كذب) والمخصص ١٢ / ١٧ والجيم ٣ / ٣١٨ ومجالس ثعلب ٥٢٨ أبيات غير منسوبة تشبه أن تكون منها .

١١ ـ فـــأعلِـــقِ الحبـــل بـــــذَيّـــــالٍ زِوَرّ

- - - - - - - - - -

١٢ ـ وحَـــــــــوءَبٍ أثجَرَ وُفّي فـــــــــاتّفَرْ

١ ـ شَعر : جبل والأصل فيه تسكين العين .

٢ ـ بجحا : معجبات بمكانهن ، والأصل : بُجُج بضمتين . أي أنها بعيدة المرعى .

٣ ـ تراءى : قابل . مأسل وذو فجر : موضعان .

٤ ـ قمح البعير عن الماء : إذا رفع رأسه عنه لا يشرب لعيافه أو لبرد الماء . .

الحبة : أن يتكسر اليبيس ويتراكم فإذا رعتها النعم سمنت عليها .

[الصواب ـ فيما أرى ـ أن « يقمحْن » في البيت بمعنى : يسفَفْنَ ، من قولهم : قَمِح الشيءَ ـ وزان سَمِع ، واقتمحه ، إذا سفّه . وأمّا « الحِبَّة » فهي حب البقل الذي ينتثر . قال الأزهري في التهذيب (حبّ) ٤ / ٧ ، وهو عنه في اللسان (حبب) : « سمعت العرب تقول : رعينا الحِبَّة ، وذلك في آخر الصيف إذا هاجت الأرض ويبس البقل والعشب ، وتناثرت بزورها وورقها . وإذا رعتها النعم سمنت عليها . ورأيتهم يسمون الحِبّة بعد انتشارها : القميم والقفّ . وتمام سمن النعم بعد التبقل ورعي العشب يكون بسفّ الحبة والقميم . ولا يقع اسم الحِبّة إلا على بزور العشب والبقول البرّية وما تناثر من ورقها فاختلط بها من القلقلان والبسباس والذّرق والنّفل والملاّح وأصناف أحرار البقول كلها وذكورها »] .

٥ ـ رسا الفحل بشوله : هدر بها فاستقرت وسكنت .

٦ ـ قال الصغاني : والرواية : . . إذا الورد صدر . التاج (رغغ) .

الرغرغة : سعة العيش . الرفه : أن ترد الإبل كلما أرادت .

٩ ـ التاج (جمر) . . مخفوف . .

مخصوف : أي قد قامت على أظلالها ، فكأن أخفافها قد خصفت الظل . جمر : صلبة .

١١ ـ التاج (زور) : واعلق . . .

الزور : البعير الصلب .

١٢ ـ الحوأب : الدلو الضخمة . انثجر : سال . اتفر : وفر .

[الظاهر أنه يعني بقوله : « أثجر » أنه واسع عريض ؛ قال في القاموس : « الأثجر : الغليظ العريض كالثُّجْر والثَّجِر ، والسهم الغليظ الأصل القصير . والتثجير : التوسيع والتعريض »] .

التخريج :

١ ،٢ التكملة والتاج (شعر) ـ ١ ، ٤ معجم ما استعجم ١ ، ٨ ـ ٣ ، ٤ التكملة والتاج (فجر) ـ ٥ ، ٦٠ اللسان والتاج (رغغ) ـ ٦ ، ٧ التاج (رغغ) ـ لمدرك بن لأي[٣] ـ ٨ ، ٩ التكملة والتاج (جمر) ـ ١٠ ، ١١التكملة والتاج (زور) [١٢ التكملة ، والتاج (وفر)] .

---

(٣) : في التكملة والعباب (ملع) بيتان آخران لمدرك بن لأي هما

وفيــــه من مَيْلَـــعَ نَجرٌ مُنتَجَرْ
ومن جَــديــلٍ فيــه ضربٌ مُشتَهَرْ

وفي التكملة (أمر) بيتان أيضاً :

تَرَبَّعت مُــواسِــلاً فــذا أَمَرْ
فملتــقى البـطنيــنِ مــن حيــثُ انفَـجَرْ

وفي التكملة والتاج (نذر) بيتان كذلك :

كأنّــه نــذرٌ عليــه مُنتَــذَرْ
لايبرَحُ التّـــاليَ منهـــا إن قَصَرْ

ميلع : ناقة مشهورة . النجر : الأصل والحسب . جديل : فحل مشهور . مواسل : اسم قنة جبل أجأ . ذو أمر : موضع بنجد من ديار غطفان . ومعنى البيتين الأخيرين : أي لا يفارق التالي منها ـ وهو المتأخر ـ إن قصر عنها ، حتى يلحقه بها .

- ٣ -

١ - فـــــوردت قبــــــل انبــــــلاجِ الفجرِ
٢ - زَغْرَبَـــــــةَ المــــــاءِ خَسيفةَ البحرِ
٣ - وابنُ ذكــــــاءَ كــــــامِنٌ في كَفْرِ
٤ - بِشْرُ بنُ عبـــــد الملـــــك بن بِشْرِ
٥ - كالنيـــــل يسقي قُرَيـــــاتِ مِصْرِ

١ - التكملة والتاج (كفر) والتكملة (ذكا) : وردتُهُ قبل أفول النَّسرِ .
الانبلاج : انتشار الضوء .
٢ - الزغربة من البئار : الكثيرة الماء . الخسيف : التي لاينقطع ماؤها كثرة .
٣ - ابن ذكاء : الصبح . الكفر : الغطاء . يريد أن الصبح لم يظهر .
٤ - ٥[جعل صاحب المقال هذين البيتين في آخر الأرجوزة السابقة وضبطها بسكون الروي وكسر ما قبله ، وهو مخلٌ بوزنها . وقد جاءا في التكملة (ألل ، شلل) - وهو المصدر الذي أخذا منه - مضبوطين بكسر الروي على الصواب في كلا الموضعين . فآثرنا نقلها إلى هذا الموضع .] .

التخريج(٤)

الأبيات ١ - ٣ في تهذيب الألفاظ ٣٨٧ - لحميد الأرقط - والبيتان ١ ، ٣ في اللسان والصحاح (كفر) والصحاح والتاج (ذكا) لحميد أيضاً . وهما في اللسان (ذكا) وإصلاح المنطق ٣٤٠ وتهذيب اللغة ١٠ / ٣٣٨ والمخصص ٦ / ٧٨ ، ٩ / ١٧ ، ١٣ / ٢٠٧ ، ١٦ / ٣٦ وشرح القصائد السبع ٥٦٠ وثمار القلوب ٢٦٤ والمقصور

(٤) : قال الصغاني في التكملة (كفر) : « وقال الجوهري : قال حميد . . . وليس الرجز لحميد ، وإنما هو لبشير بن النكث . . » ونحوه في التكملة (ذكا) والتاج (كفر) .
والأرجح أن الأبيات ليست لحميد .

والممدود لابن ولاد ٤٤ ومبادئ اللغة ١٠ والمنتخب من كنايات الأدباء ٩٢ دون نسبة ـ والبيت الثالث في المسلسل ٣١٥ لحميد الأرقط . وهو في الحيوان ٥ / ١٣١ للعجاج . ودون نسبة في مقاييس اللغة ١ / ٣٠٣ والبلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ٧٦ ـ والأبيات الثلاثة في ذيل ديوان العجاج ٢ / ٢٨٥ .

[والبيتان ٤ ، ٥ التكملة (أنل) (شلل) .] .

ـ ٤ ـ

١ ـ فَبَدِعَت أرنبُهُ وخِرنِقُهْ

٢ ـ وغَمَلَ الثعلبَ غَملاً شِبرِقُهْ

- - - - - - - - - -

٣ ـ قد غرّ زيداً حَوزُهُ وطَلَقُهْ

٤ ـ من امرئٍ وَفّقَهُ مُوفّقُهْ

١ ـ بدع : سمن . الخرنق : ولد الأرنب ، يكون للذكر وللأنثى .

٢ ـ غمل النبت : التف وغم بعضه بعضاً فعفن . الشبرق : نبات غض . أي طال الشبرق حتى غطى الثعلب .

[إنما يقال للنبت إذا التف وغمّ بعضه بعضاً : غَمِل ـ بفتح فكسر ، غَمَلاً ـ بالتحريك ، وهو فعل لازم والذي في البيت : « غَمَل » بفتحتين ، وهو متعدّ ، ومصدره : « غَمْل » بفتح فسكون كما جاء في البيت أيضاً ؛ يقال : « غَمَل الشيءَ » إذا غطاه ، وكل ما غطيته فقد غملته . والراجز إنما يصف نباتا طال حتى غطى الثعالب ـ انظر كتاب النبات ، لأبي حنيفة (الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس) ص : ١٠٩ . وقد جاء في اللسان (غمل) عقب البيت تفسير له نُظر فيه إلى قولهم : « غَمَل الأديمَ » إذا جعله في غمّة لينفسخ عنه صوفه ، ونصه : « يريد : طال الشبرق ـ وهو الرضيع ـ حتى غمل الثعلب وأصلحه فسمن وتناثر شعره ، كما يُغْمَل الأديم إذا

ذُرّ فيه الغلفة وألقي بعضه على بعض حتى يسترخي الشعر . والغَلْفة : نبت يدبغ به الأديم » ا هـ .

كذا جاء في اللسان : « الغلفة » بالفاء في كلا الموضعين ، وهو تصحيف صوابه : « الغَلْقة » بالقاف ؛ ففي الجمهرة ٣ / ١٤٩ : « الغَلْقة : نبت يدبغ به » . وقال أبو حنيفة في كتاب النبات ، ص : ١٠١ : « الغَلْقة : شجرة لا تطاق حدّة يتوقى جانيها على عينيه من بخارها أومائها . وهي التي تمرط بها الجلود ، فلا تترك عليها شعرة ولا لحمة أغلت في الإهاب إلا حلقته » ثم قال ص : ١٠٨ أيضاً : « وهي (يعني الغلقة) عشبة تجفف وتطحن ، ثم تضرب بالماء ، وتنقع فيه الجلود فتمرط ويستنقى مافيها من بقايا اللحم ، ثم تطرح في الدباغ . وربما خلطت بها شجرة تسمى الشرجبان » . وقد حكى ابن سيده قوله الأخير في المخصص ٤ / ١٠٧ ، وحكى كلا القولين في المحكم ٥ / ٢٣١ ، وعن المحكم جاءا في اللسان ـ غلق] .

٣ ـ ٤ الحوز : أول ليلة توجه فيها الإبل إلى الماء إذا كانت بعيدة منه ، سميت بذلك لأنه يرفق بها تلك الليلة فيسار بها رويدا . الطلق : قبل القرب ، وهو أن يرعى القوم بينهم وبين المورد ، وفي ذلك يسيرون بعض السير ، حتى إذا كان بينهم وبين الماء ليلة أو عشية ، عجلوا فقربوا . يقول : غره حوزه فلم يَسُقْ ، ولم يكن مثل امرئ وفقه موفقه فهيأ آلة الشرب .

التخريج :

١ ، ٢ التكملة والعباب والتاج (بدع) والتاج (خرنق) (شبرق) ـ ١ اللسان (بدع) وتهذيب اللغة ٢ / ٢٤٢ ـ ٢ اللسان (غمل)☆ ـ ٣ ، ٤ التكملة (حوز) ـ ٣ اللسان (حوز)☆ وتهذيب اللغة ٥ / ١٨٠☆ .

- ٥ -

١ - عَـــودٌ على عَـــودٍ لأقـــوامٍ أُوَلْ[٥]
٢ - يمـوتُ بـــالتَّركِ ويحيـــا بـــالعَمَـــلْ
٣ - يَحُثُّ بَكراً كلّما نَصّ ذَمَـــــــــلْ
٤ - قـــدِ احتـــذى من الـــدمـــاءِ وانتعـــلْ
٥ - ونَقِبَ الأشعَرُ منــــــه والأَظَـــــلّ
٦ - حتى أتى ظِـــــلَّ الأراكِ فـــــاعتزَلْ
٧ - وذكرَ اللّهَ وصَلّى ونــــــــــــزَلْ
٨ - بمنزلٍ ينزلُـــــهُ بنـــــو عَمَـــــلْ
٩ - لا ضَفَفٌ يَشغَلُـــــهُ ولا ثَقَـــــلْ
١٠ - فلم يـــزل مُلَبِّيـــا ولم يَـــزَلْ
١١ - حتى علا الصـــوتَ بُحُـــوحٌ وصَحَـــل
١٢ - وكلّما أوفى على نَشْزٍ أَهَـــــــــل

----

(٥) : أثبتها في القسم الثاني من هذا المقال ضمن أراجيز عمرو بن حُميل الأسدي وتفسيرها وتخريجها هناك .

[١٠]

سالم بن قُحفان العنبري[٦]

- ١ -

١ - وقـــد شجـــاني في النّجـــاءِ المُطلـــقِ
٢ - رأسُ الشّجـــا مثـــلُ الفُلُـــوّ الأبلـــقِ
٣ - وقـــد بـــدا لي في اللّـــوى المَنطّـــقِ

- - - - - - - - - -

٤ - يتبعنَ ورقـــاءَ كلـــونِ العَـــوهـــقِ
٥ - قـــوداءَ فـــاتت فَضلـــةَ المُعَلّـــقِ
٦ - لا حقـــةَ الرّجـــلِ بيـــونَ المِرفـــقِ
٧ - كأنّ بين دَفّهـــا والمرفـــقِ
٨ - خليف بين قُنّـــةٍ وأبرقِ[٧]
٩ - بهـــواً لِمُستَنّ الرّيـــاحِ الخفّـــقِ
١٠ - بهنّ جنٌّ وبهـــا كالأَولَـــقِ
١١ - ظَلّت بيـــومٍ ذي سَمـــومٍ مُفلِـــقِ
١٢ - بين عُنَيزاتٍ وبين الخِرنِـــقِ
١٣ - تلـــوذ منـــه بخِبـــاءٍ مُلـــزَقِ
١٤ - بـــالأرضِ لم يُكفـــأ ولم يُرَوّقِ
١٥ - إليـــك تشكـــو آزبـــاتِ مغلِـــقِ

---

(٦) : لم أعثر له على ترجمة وله شعر غير الرجز .

نظام الغريب ١٣٤ والحماسة بشرح المرزوقي ٤ / ١٥٨١ ، ١٧٣٦ وبشرح التبريزي ٤ / ١٣٨ ، ٢٤٨ .

والأمالي ٢ / ٤ وسمط اللآلي ٦٣١ وخزانة الأدب ٤ / ٤٩ ومحاضرات الأدباء ٣ / ١٦٤ .

(٧) : التاج (خلف) . . قنة ابرق . . تحريف .

١٦ - وحـــاديـــاً كالسَّيـــذَنُـــوقِ الأزرقِ
١٧ - ذو نمشٍ لم يَـــدّهن بـــالـــزّنبـــقِ
١٨ - ليس على آثـــارهـــا بُشفِـــقِ
١٩ - يرمي بهن سَمْلَـــقٌ عن سَملـــقِ

- - - - - - - - - - -

٢٠ - يـــابن رُقيـــعٍ هـــل لهـــا من مَغبَـــقِ[٨]
٢١ - أم هـــل لهـــا عنـــدك من مُعَلّـــقِ
٢٢ - هـــل أنت ســـاقيهـــا سقـــاك المُستقي
٢٣ - مـــا شربت بعـــد طَـــوِيّ القُربَـــقِ
٢٤ - من قطرةٍ غير النَّجـــاءِ الأدفَـــقِ

(٨) : قبله في الصحاح والتكملة واللسان والتاج (قربق) ومعجم البلدان (قربق) ٤ / ٣٢٠ البيتان : ٤ ، ٦ . قال الصغاني : « هكذا أنشد الرجز - أي الجوهري - والمشطوران الأولان ليسا من هذا الرجز ، والرجز لأبي قحفان العنبري والأول والثاني لمعروف بن عبد الرحمن الأسدي » . التكملة (قربق) . وقال ابن بري : « الرجز لسالم بن قحفان . وقال أبو عبيد : يابن رقيع ، وما بعده للصقر بن حكيم بن معية الربعي . قال ابن بري : والذي يروى للصقر بن حكيم :

١ - قـــد أقبلت طَـــوامِيـــاً من مَشرِقِ
٢ - قـــادحـــةً أعينهـــا في مَخرَقِ
٣ - تركبُ كُـــلَّ صَحصحـــانٍ أخـــوقِ

- البيتان ١ ، ٣ في اللسان والتاج (قربق) للصقر بن حكيم - عن ابن بري - والأول والثاني في التاج (خرق) لأبي قحفان العنبري . وفيه : ظوامئا م المشرق . والبيت الثالث في اللسان والتاج (خوق) لسالم بن قحفان . والأبيات ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٢ في مجاز القرآن ١ / ٣٤٩ للصقر بن حكيم وفيه غَبْقِ . العِرْقِ . الدَّفقِ . المُسقي .
طمى : مر مسرعا . الخرق : الفلاة الواسعة تتخرق فيها الرياح . أخوق : واسع . وفي اللسان تركت . . . أخوقا تحريف .

١ ـ النجاء : اسم موضع .
٢ ـ معجم البلدان ٣ / ٣٢٦ (الشجي) . . الشجي(٩) كالفلو . .
الشجا : ظرب قد شجي به الوادي . وهو كل ما نتأ من الحجارة وحد طرفه .
الفلو : المهر إذا فطم .
٣ ـ اللوى : منقطع الرملة . المنطق : الأبيض موضع النطاق .
٤ ـ اللسان (عهق) . . سوداء . . . الجيم ١ / ٢٣٤ . . أدماء . . اللسان (خضر) وتهذيب اللغة ٧ / ١٠٧ ومبادئ اللغة ١٢٤ : خضراء حماء . . التكملة واللسان (غهق) والتاج (غيهق) وتهذيب اللغة ٥ / ٣٨٧ . . الغوهق . المحكم ١ / ٥٦ واللسان (عهق) . . حرفا مثل قوس . . التاج (عوهق) . . خرقاء . . .
الورقاء : التي في لونها بياض إلى سواد وهي أصبر على طول السرى .
العوهق : الغراب الجبلي .
٥ ـ قوداء : طويلة العنق والظهر . أي فاتت أن تُنال فيعلق عليها فضل مما يحتاج إليه نحو القعب والقدح .
٦ ـ اللسان والصحاح والتاج (عند) (قربق) والتاج (عوهق) والتكملة (قربق) ومعجم البلدان ٤ / ٣٢٠ . عنود . . لاحقة الرجل : أي أنها تلحق الإبل فلا تكاد الإبل تفوتها في السير . بيون المرفق وعنوده : بعيدته من الزور .
٧ ـ ٨ دفها : جنبها . الخليف : الطريق بين جبلين . قنة وأبرق : جبلان .
٩ ـ ١٠ البهو : الواسع من الأرض الذي ليس فيه جبال بين نشزين . أي أن الرياح تأتي على وجه واحد وطريقة واحدة لا تختلف . الأولق : شبه الجنون .
١١ ـ السموم : الريح الحارة . مفلق : يأتي بالعجب من شدته .
١٢ ـ ١٣ عنيزات : موضع . الخرنق : اسم حمة . ملزق : ملاصق .
١٤ ـ الكفاء : سترة أعلى البيت إلى أسفله من مؤخره . الرواق : سترة مقدم البيت من أعلاه إلى الأرض .

١٥ ـ الأزبة : الشدة . مغلق : مكره عليه في أمره ومضيق عليه في تصرفه .

[يقال لمن أُكره على أمر : « مُغْلَق » بفتح اللام ، وهو اسم المفعول من « أغلقه على كذا » إذا أكرهه عليه . والذي في البيت : « مغلِق » بكسر اللام ، وهو اسم الفاعل من « أغلق البعيرَ صاحبُه » إذا أثقل حمله حتى يدبر ، أي حتى يتقرّح ظهره] .

١٦ ـ السيذنوق : الصقر .

١٩ ـ السملق : الأرض المستوية .

[في نسبة الأبيات : ١٧ ـ ١٩ إلى سالم بن قحفان ووضعها في هذا الموضع نظر . فالبيت (١٧) جاء في اللسان (زنبق) أن ابن بري أنشده لعمارة بن طارق ، وكذلك قال الزبيدي في التاج (زنبق) أيضاً ، ثم ذكر ـ كما جاء في التخريج ـ أن الصغاني أنشده لأبي قحفان العنبري . ويؤنس بتصحيح نسبته إلى عمارة قوله : « ذو نمش » بالرفع ، ولو كان لسالم وكان هذا موضعه لكان من صفة قوله في البيت (١٦) : « وحاديا . . . » وكان الأشبه أن يتبعه موصوفه فينصبه . والبيت (١٩) لم ينسبه أحد إلى سالم ، وإنما جاء في اللسان والتاج (سملق) منسوبا إلى عمارة بن طارق ، فأدرجه صاحب المقال في هذه الأرجوزة ـ كما قال ـ استئناساً بما ذكره الزبيدي في البيت (١٧) ، ولا يلزم من ذلك أن يكون هذا البيت قد نسب إلى سالم أيضاً . وكذلك الأمر في البيت (١٨) فالظاهر من التخريج أن لم ينسبه أحد إلى سالم ، ولا مسوغ لإدراجه هنا إلا أنه جاء في اللسان والتاج (سذق) وقبله البيت (١٦) منسوبين لحميد الأرقط .

هذا ، والوجه في ترتيب أبيات الأرجوزة أن تقدّم الأبيات ١١ ـ ١٦ وتليها الأبيات ٤ ـ ١٠ ، فإن قوله في البيت (٤) : « تبعن . . . . » وقوله في البيت (١٠) : « بهن جنّ . . . . » يقتضي أن يكون قد تقدم ذلك صفة إبل تبعن الناقة التي يصفها في هذه الأبيات] .

٢٠ ـ الإبدال ٢ / ٣٥٨ . . عمير . . .

٢٣ ـ التكملة والعباب والتاج (رقع) و التاج (دفق) (قربق) وجمهرة اللغة ٢ / ٣٨٣ ومعجم البلدان (قربق) ٤ / ٣٢٠ ومعجم ما استعجم ١٠٦٠ والإبدال ٢ / ٣٥٨ . . قليب . . معجم ما استعجم ٤٩٥ . .الخربق . ويروى : الكربق . ـ وهي رواية أبي عبيد . الصحاح واللسان والتاج (قربق) ـ . الطوي : البئر المطوية بالحجارة . القربق : قليب معروفة بالبادية .

٢٤ ـ جمهرة اللغة ٢ / ٣٨٣ ومعجم ما استعجم ٦٦٨ ، ١٠٦٠ والمعرب ٧ . . شربة . . معجم ما استعجم ٤٩٥ : من بلل . . . التاج (دفق) والعباب والتاج (رقع) والإبدال ٢ / ٣٨٥ : بقطرة . . . ويروى النِّجاء بكسر النون ـ وهي رواية أبي علي . اللسان والتاج (قربق) ـ .
النجاء الأدفق : السير الشديد . والنجاء بالكسر : جمع نجوة وهي السحابة ، والمعنى ما شربت غير ماء النجاء ، فحذف المضاف الذي هو الماء لأن السحاب لا يشرب ، قال : والظاهر من البيت عندي أنه يريد بالنجاء الأدفق : السير الشديد لأن النجو هو السحاب الذي هراق الماء ، وهذا لا يصح أن يوصف بالغزر والدفق قاله أبو علي . اللسان والتاج (قربق) . قال أبو عبيدة : المراد البصرة بعينها ورواه أيضاً بالكاف . قال الصغاني : « وهذا مما يستثنى من غيره . يقول إنها لم تشرب ماء منذ خرجت من البصرة حتى وردت الرقيعي[10] بقطرة أي بقليل » . التاج (قربق) .

التخريج :

١ ، ٢ معجم البلدان ٣ / ٣٢٦ (الشجي) ـ ٣ ، ٢ معجم ما استعجم ٣٢٧ ـ ٤ ، ٥ اللسان (عهق)☆ والمحكم ١ / ٥٦☆ . ـ ٤ ، ٦ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ اللسان والتكملة (قربق) . التاج (قربق) وفيه : « لأبي قحفان عبد الله بن قحفان العنبري وأنشده الأصمعي لسالم بن قحفان وصوبه ابن بري » . معجم البلدان ٤ / ٣٢٠☆

(١٠) : الرقيعي : ماء بين مكة والبصرة منسوب إلى رجل من بني تميم يقال له ابن الرقيع . التكملة (رقع) وجمهرة اللغة ٢ / ٣٨٣ .

(قربق) والصحاح (قربق) ـ ٤ ، ٦ اللسان والصحاح☆ والتاج (عند) ـ ٤ ، ٧ ، ٨ الجيم ١ / ٢٣٤☆ ـ ٤ ، ١٠ ، ٦ التاج (عوهق) ـ لمعروف بن عبد الرحمن الأسدي . قال الزبيدي : وينسب أيضاً إلى سالم بن قحفان ـ ٤ ، ١٠ التكملة (غهق) والتاج (غيهق) ـ لمعروف بن عبد الرحمن ـ ٤ اللسان (خضر)☆ (غهق) (عهق) . وتهذيب اللغة ٥ / ٣٨٧☆ ، ٧ / ١٠٧☆ والمحكم ١ / ٥٦☆ ومبادئ اللغة ١٢٤☆ ـ ٥ اللسان (عهق)☆ والمحكم ١ / ٥٦☆ ـ ٧ ، ٩ شرح ديوان النابغة ١٩☆ ـ ٨ اللسان☆ والتاج☆ (خلف) ـ ١١ ـ ١٦ ، ٤ ، ٦ اللسان (غهق) ـ ١٢ معجم البلدان ٢ / ٣٦٢ (خرنق) واللسان☆ والتاج☆ (خرنق) وتهذيب اللغة ٧ / ٦٢٩☆ ـ ١٦ ، ١٨ اللسان والتاج (سذق) ـ لحميد الأرقط ـ ١٦ اللسان☆ والصحاح☆ (سوذق) ـ ١٧ اللسان (زنبق) ـ لعمارة بن طارق ـ . التاج (زنبق) وفيه : « وأنشده الصغاني لأبي قحفان العنبري » ـ ١٩ اللسان والتاج (سملق) ـ لعمارة بن طارق ـ[11] ـ ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ الإبدال ٢ / ٣٥٨☆ ـ ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ كتاب سيبويه ٢ / ٣٤٣☆ ـ العباب (رقع) وفيه : « وأنشد رجز سالم بن قحفان وقيل عبد الله بن قحفان بن أبي قحفان العنبري » . ونحوه في التاج (رقع) ـ ٢٠ ، ٢٣ التكملة (رقع) ـ ٢٠ الاشتقاق ٣٧٥☆ ـ ٢٢ اللسان والتاج (قربق) ـ ٢٣ ، ١٢ ، ٢٤ معجم ما استعجم ٤٩٥ ـ ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٠ جمهرة اللغة ٢ / ٣٨٣☆ ومعجم ما استعجم ٦٦٨ ، ١٠٦٠ ـ ٢٣ ، ٢٤ التاج (دفق) ـ لأبي قحفان العنبري ـ المعرب ٧ .

---

(١١) : لم ينسب هذا البيت إلى سالم بن قحفان وإنما أثبته في هذه الأرجوزة استئناسا بما ورد في التاج (زنبق) للبيت ١٧ ، وانظر القسم الثاني من هذا المقال .

[خِطام الرّيح المجاشعي[١٢]]

- ١ -

١ - يـــارُبّ بيضـــاءَ بـــوَعْسِ الأرمُـــلِ
٢ - شبيهـــــةِ العينِ بعيني مُغـــــزِلِ
٣ - فيهـــا طِماحٌ عن حَليـــلٍ حَنكَـــلِ
٤ - وهي تُـــداوي ذاكَ بـــالتجمُّـــلِ
٥ - قـــد شُغِفَتْ بنـــاشئٍ هَبَرْكَـــلِ
٦ - ينفض عِطفَيْ خَضِـــلٍ مُرَجَّـــلِ
٧ - يُحسَبُ مُختـــالاً وإن لم يَختَـــلِ
٨ - دسّ إليهـــا برســـول يُحمِـــلِ
٩ - عن : كيف بـــالـــوصـــل لكم أم كيف لي
١٠ - فلم تـــزل عن زوجهـــا المُخَتَّـــلِ[١٣]
١١ - ابعث فكن في الرائحين أو كُـــلِ
١٢ - وكُـــلَّ متـــا أكلت في مُحَلَّـــلِ
١٣ - و أوقِرَنَّ يـــا هُـــديت جَمَلي
١٤ - حتى إذا دبَّ الرِّضـــا في المِفصَـــلِ
١٥ - وكان في القلب تُحيتَ المَسعَـــلِ
١٦ - ثم غـــدا الشيـــخ لهـــا بـــأزفـــلِ
١٧ - رخـــو اليـــد اليمنى من التّرسُّـــلِ
١٨ - من الرِّضـــا جَنَعـــدَلِ التكتُّـــلِ

(١٢) : هو بشر بن عياض بن نصر بن رياح بن عياض بن يربوع ، من بني الأبيض بن مجاشع بن دارم . راجز إسلامي . المؤتلف والمختلف ١٦٠ والتكملة (مرت) وخزانة الأدب ٣ / ٣٧٥ . وفي أدب الكاتب ٣٥١ : عياض بن بشر . . - غلط - .

(١٣) : في خزانة الأدب ٣ / ٣١٥ : المختشل . تحريف مخل بالوزن .

١٩ ـ كأن خُصَيَيْـــــهِ من التـــــدلــــــدُلِ
٢٠ ـ ظرفُ عجــوزٍ فيــــه ثِنتــــا حَنظــلِ
٢١ ـ لمـــــا غـــــدا تَبَهّلت لا تـــــأتلي
٢٢ ـ عن ربّ يـــــاربّ عليـــــه عَجِّـــلِ
٢٣ ـ تقــول يـــــارِبــــاهُ يـــــاربّ هَــلِ
٢٤ ـ إن كنتَ من هــــــــذا مُنَجِّي أحبلي
٢٥ ـ إمّـــــا بتطليـــــقٍ وإمّـــــا بـــــارحلي
٢٦ ـ برهصــــــة تقتلـــــه أو دمــــــل
٢٧ ـ أو حيــــــة تعض فــــوق المفصـــــل

١ ـ التكملة والتاج (هبركل) وتهذيب اللغة ٦ / ٥٣٧ . . بوعث . . .
الوعس : الأرض اللينة ذات الرمل .
٢ ـ التكملة (هبركل) . . بعين المغزل .
مغزل : ظبية ذات غزال . شبه عينيها بعيني الظبية .
٣ ـ الحنكل : القصير . أي تبغض زوجها وتنظر إلى غيره .
٤ ـ التكملة (هبركل) وخزانة الأدب ٣ / ٣١٥ . . تداري . .
٥ ـ التكملة والتاج (هبركل) . . شعفت . . اللسان (جعدل) وتهذيب اللغة ٣ / ٣٦٩ : قد منيت . . جنعدل .
شغفت : أي وصل الحب إلى غشاء قلبها . الناشئ : الغلام الحسن الشاب . الهبركل : الحسن الجسم .
٦ ـ ينفض : يحرك . العطف : الجانب . الخضل : الرطب الناعم . المرجل : الموشى والمزين . أي هو مغتر بنفسه .
٧ ـ وإن لم يختل : أي وإن لم يعجب بنفسه .
١٠ ـ المخشل : الضعيف الذليل .
١١ ـ خزانة الأدب ٣ / ٣١٥ . . وكن . . .

١٣ ـ أو قرن : تحلّم وترزّن .

١٤ ـ ١٦ المفصل : اللسان . المسعل : محل السعال . الأزفل : الغضب والحدة .

١٧ ـ خزانة الأدب ٣ / ٣٦٨ . . يد . . .

التَرسل : الرفق والتؤدة .

١٨ ـ الجنعدل : الصلب الشديد . التكتل : الاكتناز .

١٩ ـ ٢٠ شرح الحماسة للتبريزي ٤ / ٢٣٨ وللمرزوقي ١٨٤٧ : سحق جراب . . فصيح ثعلب ٨٤ . . جراب . . اللسان والتاج (هدل) وتهذيب اللغة ٦ / ١٩٩ . . التهدل .

١٩ ـ ٢٠ : التدلدل : الاضطراب . شبه الخصيتين بحنظلين في جراب ، وأضاف ثنتا إلى الحنظل ، كأنه قال ثنتان من الحنظل .

٢٣ ـ ٢٤ خزانة الأدب ٣ / ٣٦٩ . . يارب ويارب . . ، هل أنت من هذا مُخلٌّ . . . اللسان (خصا) . . أجلي .

٢٣ ـ ٢٤ : هَل : أي هل يحسن إلي بتفريق ما بيني وبينه . الأحبل : ما بينهما من العقد . أي بقطع ما بيني وبينه من الوُصلة وعقد التزويج .

٢٥ ـ خزانة الأدب ٣ / ٣٦٩ . . وإلا فاقتل .

[الأبيات : ٢٣ ـ ٢٥ زادها صاحب المقال على رواية الغندجاني من روايتين لطائفة من الأبيات حكاهما البغدادي في الخزانة ، وقد نقل أولاهما ٣ / ٣١٧ عن ابن المستوفي ، ونقل الأخرى ٣ / ٣٦٩ عن اللبلي ، وهذا نقلها عن السيرافي ، وقد عزيت الأبيات فيها لشماء الهذلية . فنسبة الأبيات الثلاثة إلى خطام غيرِ ثابتة ، وإقحامها في هذا الموضع يخلخل بنية الأرجوزة ، ويعصف بما في رواية الغندجاني من اطراد وتماسك . ومن البين أن قوله في البيت (٢٦) : « برهصة . . . . » متعلق ـ على رواية الغندجاني ـ بقوله في البيت (٢٢) : « . . . . عجّل » وبإقحام الأبيات الثلاثة بينهما يبقى قوله : « برهصة » لا متعلق له .

هذا ، ورواية « هل أنت من هذا مخلّ أحبلي » في البيت (٢٤) هي الرواية التي يلتئم بها نظام الكلام ، و « هل » في أوله على هذه الرواية

تكرار لـ « هـل » في آخر البيت السـابـق ، وأمـا روايــة « إن كنت من هذا . . . . » التي آثر صاحب المقال إثباتها في المتن فلا يكاد يظهر لها وجه ، إذ ليس فيا يلي البيت ما يصلح أن يكون جواباً لـ « إن »] .

٢٦ ـ خزانة الأدب ٣ / ٣١٧ ، ٣٦٩ : أو ارم في وجعائه بدمل .

الرهصة : أن يذوي باطن حافر الدابة من حجر تطؤه . الوجعاء : الاست .

التخريج :

قال أبو محمد الأعرابي : هي لخطام الريح المجاشعي ، وقال الصغاني : « وأنشدت أم البهلول لغلام من تميم وهو لخطام الريح » . كما نسبت إلى جندل بن المثنى الطهوي وإلى دكين وإلى سلمى الهذلية ـ في بعض المصادر : شماء ، ولم أجد لها ذكرا في شعراء هذيل ـ والأرجح أنها لخطام الريح . فرحة الأديب ١٥٨ والتكملة (هبركل) وفصيح ثعلب ٨٥ وخزانة الأدب ٣ / ٣١٥ ، ٣٦٨ ـ ١ ـ ١٦ ، ١٨ ـ ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ فرحة الأديب ١٥٨ ـ ١٦٠ وخزانة الأدب ٣ / ٣١٥ ـ ٣١٦ ـ ١ ـ ٥ التكملة (هبركل) ـ ١ ، ٥ تهذيب اللغة ٦ / ٥٣٧☆ . التاج (هبركل) ـ لغلام من تميم ـ ٥ اللسان☆ (جعدل) وتهذيب اللغة ٣ / ٣٦٩☆ ـ ١٧ ـ ٢٠ فصيح ثعلب ٨٤ ـ ٨٥ ـ ١٧ ، ١٨ خزانة الأدب ٣ / ٣٦٨ ـ ١٩ ، ٢٠ اللسان☆ (ثني) (هدل) ـ التاج☆ (دلـل) (هـدل) . الصحـاح☆ والتـاج☆ (ثني) (خصي) . تهـذيب اللغـة ٦ / ١٩٩☆ ، ٧ / ٤٧٨☆ . المخصص ١٦ / ٩٨☆ ، ١٧ / ١٠٠☆ . إصـلاح المنطـق ١٦٨☆ . المنصف ٢ / ١٣١☆ . كتـاب سيبـويـه ٢ / ١٧٧☆ وفي ٢ / ٢٠٢ ـ لبعض السعـديين ـ أمـالي ابن الشجري ١ / ٢٠☆ . التنبيهـات ٢٩١☆ . خـزانـة الأدب ٣ / ٣٦٠☆ ، ٣٦٧☆ ، ٣٨٤ . شرح الحماسة للتبريزي ٤ / ٢٣٨☆ . شرح الحمـاسـة للمرزوقي ١٨٤٧ ، ١٨٤٨ ـ لبعض الأعراب ـ ١٩٠ اللســان☆ (دلـل) . المخصص ١٢ / ١١٠☆ . خـزانـة الأدب ٣ / ٣٦٨ وبعضـه في منهج السـالـك ٣ / ٣٦٤☆ ـ ٢٠ المخصص ١٣ / ١٩٦☆ ، ١٧ / ٨٩☆ ـ ٢٣ ـ ٢٦ ، ١٩ ، ٢٠ خـزانـة الأدب ٣ / ٣٦٩ ـ ٢٣ ـ ٢٦ خـزانـة الأدب ٣ / ٣١٧ ـ ٢٣ ـ ٢٥ ، ١٩ ، ٢٠ فرحـة الأديب ١٥٨ وشرح أبيات سيبويه ٢ / ٣٦١☆ واللسان☆ (خصا) .

- ٢ -

١ - حيِّ ديـــــــــارَ الحي بين الشَّهْبَيْنْ
٢ - وطَلحـــــةِ الـــــدَّومِ وقـــــد تَعَفَّيْنْ
٣ - لم يبـــــقَ من آيٍ بهـــــا يُحَلَّيْنْ
٤ - غيرُ حُطـــــامٍ ورمـــــادِ كَنفَيْنْ
٥ - وغيرُ نُـــــؤيٍ وحِجـــــاجي نُـــــؤيَيْنْ
٦ - وغيرُ وَدٍّ جـــــاذلٍ أو وَدَّيْنْ
٧ - وصـــــاليـــــاتٍ ككمـــــا يُـــــؤَثفَيْنْ

- - - - - - - - - - -

٨ - جَرّبهـــــا نـــــوءٌ من السِّماكَيْنْ

- - - - - - - - - - -

٩ - ومَـــهمـــهيـــن أغـــبريـــنِ مَـــرْتَـــيـــنْ(١٤)
١٠ - مُشتبهينِ قَـــــذَفينِ صَعبينْ

(١٤) : بعده في خزانة الأدب ٣ / ٣٧٥ وتفسير غريب القرآن ٤٣٩ واللسان (سمت) (بقق) وتهذيب اللغة ٨ / ٣٠٢ والتاج (سمت) والبيان والتبيين ١ / ١٥٦ :

قطعتـــــه بـــــالسَّمتِ لا بـــــالسَّمتينْ

قال البغدادي : « هو من رجز لشاعر اخر انشده الفارسي في تذكرته وذكر قبله :

ومهمـــــهٍ أعـــــورِ إحـــــدى العينينْ
بصيـــــرِ أخـــــرى وأَصَـــــمِّ الأذنيـــــنْ »

خزانة الأدب ٣ / ٣٧٦ . وهما في اللسان (عور) (صمم) والحيوان ٤ / ٣٨٧ دون نسبة . والأبيات الثلاثة في خزانة الأدب ١ / ٣٦٩ ومجالس ثعلب ٣٧٩ دون نسبة أيضا .

قال ثعلب : « هذا منهل كانت فيه عينان فعُوّرت إحداهما . وأصم الأذنين ، أي ليس فيه جبل يجيب الصدى . وقطعته بالسمت : أي قيل لي مرة واحدة .

كما رُوي قبل البيت الثالث :

أَهَـــــل عرفتَ الـــــدارَ بـــــالغَرِيَّيْنْ

اللسان (غرا) . وهو في الصحاح والتاج (غرا) قبل البيت السابع . قال الصغاني : « المشطور الثاني - البيت ٧ - لخطام الريح ، والمشطور الأول ليس في رجزه ، وإنما هو للكميت والرواية : هل تعرف المنزل . . » التكملة (غرا) . وهو في خزانة الأدب ٤ / ٥٠٩ لخطام الريح وذكر في ٤ / ٥٠٥ دون نسبة .

١١ ـ ظهراهمـــــا(١٥) مثـــلُ ظهـــورِ التّرسينْ
١٢ ـ جبتُهما بــــالنعتِ لا بـــالنّعتينْ(١٦)
١٣ ـ على مطـــارِ القلبِ ســـامي العينينْ

- - - - - - - - - - -

١٤ ـ كأنّ زحفـــا من وعـــول صَفّينْ
١٥ ـ على محـــاني صُلبِـــهِ تـــلاقينْ

١ ـ ٢ خزانة الأدب ١ / ٣٦٧ . . دار . . [وهو تحريف من النساخ أخلّ بوزن البيت ، وشرح البغدادي نفسه للأبيات يفيد أن ما أثبته هو « حي ديار . . »] شرح أدب الكاتب ٣٥١ وشرح الشافية ٤ / ٦٠ . . السهبين .

١ ـ ٢ الحي : القبيلة . الشهبان وطلحة الدوم : أسماء مواضع . تعفى : درس .

٣ ـ المؤتلف والمختلف ١٦٠ . . بهن تحلين . خزانة الأدب ١ / ٣٦٧ . . تحلين . شرح أدب الكاتب ٣٥١ . . . تبقين . الآية : العلامة . التحلية : الوصف .

٤ ـ المؤتلف والمختلف ١٦٠ . . رماد وحطام(١٧) الكنفين . شرح أدب الكاتب ٣٥١ وشرح الشافية ٤ / ٥٩ . . رماد وحطام . .

الحطام : ما تكسر من الحطب ، والمراد به دق الشجر الذي قطعوه وظللوا به . الخيام . الكِنف : وعاء يجعل الراعي فيه أداته ، والكَنف بالفتح : الناحية والجانب .

٥ ـ النؤي : حفيرة حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر ، يؤخذ ترابها ويجعل حاجزا للبيت . فجعل ذلك الحاجز كحجاح العين . وهو العظم الذي ينبت عليه الحاجب .

---

(١٥) : في البيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ٤٤٦ : ظهرا كما . تحريف .

(١٦) : قال العيني : « وذكر في بعض شروح أبيات كتاب الزمخشري : قطعته بالنعب والنعبين . . وهذا تخليط وتخبيط » .

المقاصد النحوية ٤ / ٩٠ .

(١٧) : في بعض المصادر : خطام ـ بالخاء ـ تصحيف .

٦ ـ الود : الوتد . الجاذل : المنتصب .

٧ ـ المؤتلف والمختلف ١٦٠ وشرح القصائد السبع ٢٤٢ وخزانة الأدب ١ / ٣٦٩ . . وما ثلاث[١٨] . . شرح أبيات سيبويه ١ / ١٤٠ وشرح الشافية ٤ / ٦١ وخزانة الأدب ١ / ٣٦٧ : ويروى : وغير سفع . .

الصاليات : أراد بها الأثافي ، وهي حجارة تجعل عليها القدر . يؤثفين : يجعلن في موضع الطبخ . ككما يؤثفين : يريد أنها كا نصبت وتركت القدر ، لم يتغير منها شيء ، ولم تنح أثفية منها عن موضعها .

٨ ـ جر : أدام المطر . السماكان : نجمان نيران أحدهما السماك الرامح والآخر السماك الأعزل .

٩ ـ هي رواية الصغاني ، وفي بقية المصادر : قذفين مرتين . خزانة الأدب ٣ / ٣٧٥ ويروى : وفدفدين . المرت : الأرض التي لا ماء بها ولا نبات .

١٠ ـ القذف : البعيد من الأرض .

١١ ـ الظهر : ما ارتفع من الأرض . شبهه بظهر ترس في ارتفاعه وتعريه من النبات .

١٢ ـ أي نُعتا لي مرة واحدة فلم أحتج إلى أن يُنعتا لي مرة ثانية . وصف نفسه بالحذق والمهارة .

١٣ ـ أراد على فرس جيد هذه صفته .

١٥ ـ المحاني : المعاطف .

التخريج :

١ ـ ٧ ، ٩ ، ١١ ـ ١٣ خزانة الأدب ١ / ٣٦٧ ـ ١ ـ ٤ ، ٧ المؤتلف والمختلف ١٦٠ ـ ١ ، ٢ شرح الشافية ٤ / ٦٠ ـ ١ ، ٣ ، ٤ ، ٧ شرح أدب الكاتب ٣٥١ ـ ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ اللسان (رنب) وشرح الشافية ٤ / ٥٩ ـ ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٦ المقاصد النحوية ٤ / ٥٩٢ ـ ٣ ـ ٧ شرح أبيات سيبويه ١ / ١٣٨ وشرح شواهد مغني اللبيب ٥٠٤ ـ

(١٨) : أشير إليها في خزانة الأدب ١ / ٣٦٧ . وشرح الشافية ٤ / ٦١ .

٣ ، ٤ ، ٧ تهذيب اللغة ١٥ / ١٤٩ واللسان (غرا) واللسان والتاج (ثفا) ـ ٣ ، ١٢ شرح الشافية ٤ / ٩٤☆ ـ ٧ اللسان (أثف)☆ (عصف)☆ . الصحاح (ثفا)☆ (رنب)☆ (غرا)☆ . جمهرة اللغة ٣ / ٢١٩☆ . المحكم ١ / ٢٧٨☆ . المخصص ٨ / ٧٦☆ ، ١٤ / ٤٦☆ ، ٦٤☆ ، ١٦ / ١٠٨☆ . مقاييس اللغة ١ / ٥٨☆ . الصاحبي ٢٧☆ . الخصائص ٢ / ٣٦٨☆ . المحتسب ١ / ١٨٦☆ . المنصف ١ / ١٩٢☆ ، ٢ / ١٨٤☆ ، ٣ / ٨٢☆ . مجالس ثعلب ٤٨☆ . مجالس العلماء ٧٢☆ . كتاب سيبويه ١ / ١٣☆ ، ٢٠٣☆ ، ٢ / ٣٣١ . خزانة الأدب ١ / ٣٦٧ ـ ٣٦٩ ، ٢ / ٣٥٣☆ ، ٤ / ٢٧٠☆ ، ٢٧٣☆ . أدب الكاتب ٥٣٥☆ ، ٦٣١☆ . شرح أدب الكاتب ٤٠٨☆ . الاقتضاب ٤٣٠ . شرح أبيات سيبويه ١ / ١٤٠ . سر صناعة الإعراب ١ / ٢٨٢☆ ، ٣٠٠☆ . سمط اللآلي ٧٥٩☆ . أسرار العربية ٢٥٧☆ . توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب ١٤٧☆ . المقتضب ٢ / ٩٧☆ . شرح القصائد السبع ٢٤٢☆ . ٨ اللسان والتاج (جرر) ـ ٩ ـ ١١ التكملة (مرت) ـ ٩ ، ١١ ـ ١٣ خزانة الأدب ٣ / ٣٧٥ ـ ٩ ، ١١ ، ١٢ اللسان (مرت)☆ . توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب ١٣٥☆ ـ ١٣٦☆ ـ ٩ ، ١١ الصحاح (مرت)☆ . أمالي ابن الشجري ١ / ١٢ ، ٢ / ٢٠٣ ـ لهميان بن قحافة ـ المقاصد النحوية ٤ / ٨٩ ـ لخطام الريح وقال أبو علي : هو لهميان بن قحافة ـ شرح الشافية ١ / ١٩٤☆ ، ٤ / ٩٤☆ . منهج السالك ٤ / ٣٥٣☆ . البيان والتبيين ١ / ١٥٦☆ . إعراب القرآن للزجاج ٧٨٧☆ : تلخيص البيان في مجازات القرآن ٣٧٧☆ . الجمل ٣٠٣☆ ٩ تهذيب اللغة ٨ / ٣٠٢☆ . اللسان (سمت)☆ (بقق)☆ التاج (سمت)☆ كتاب سيبويه ١ / ٢٤١ ـ ٢ / ٢٠٢ ـ لهميان ـ خزانة الأدب ٣ / ٣٧٥ . تفسير غريب القرآن ٤٣٩☆ ـ ١١ اللسان (رحل) . المخصص ٩ / ٧☆ . خزانة الأدب ٣ / ٣٧١☆ ، ٣٧٤ ـ لهميان ـ ٣٧٥☆ . البيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ٤٤٦☆ ـ ١٤ ، ١٥ سمط اللآلي ٦٧٨ . التبيان ٤ / ١٦٩☆ .

- ٣ -

١ - يـــا صـــاحبـــا ربّت إنســـانٍ حَسَنْ
٢ - يســـأل عنـــك اليـــوم أو يســـأل عَنْ
٣ - إنـــا على طـــولِ الكـــلال والتَّـــونْ
٤ - ممـــا نقيمُ الميـــلَ من ذاتِ الضَّغَنْ
٥ - إنـــا على التشـــواقِ منّـــا والحَـــزَنْ
٦ - ممـــا نَمُـــدُّ للمطيِّ المُستَفَن
٧ - نســـوقهـــا سَنّـــاً وبعضُ الســـوقِ سَنّ
٨ - حتى تراهـــا وكأن وكأن
٩ - أعنـــاقُهـــا مُلـــزَّزاتٌ في قَرَنْ
١٠ - حتى إذا قَضَّـــوا لبُنَـــانـــاتِ الشَّجَنْ
١١ - وكلَّ حـــاجٍ لفـــلانٍ أو لِهَنْ
١٢ - قـــامـــوا فشـــدّوهـــا لمـــا يُشقي الأَرِن
١٣ - ورَحَلُـــوهـــا رِحلـــةً فيهـــا رَعَنْ
١٤ - حتى أنخنـــاهـــا إلى مَنٍّ ومَنْ

٣ - ٤ التون : التواني . وهو التعب والفترة . الضغن[١٩] : الحقد .

٦ - الأمثال لأبي عكرمة ٩٦ . . نفن . .

المطية : الدابة . المستفن : الذي يحمل على ضروب السير .

٧ - ٨ النوادر ١٠٣ : يسوقها . . الأمثال لأبي عكرمة ٩٦ . . نراها .
السن : السير الشديد .

٩ - النوادر ١٠٣ . . مسربات . ورواية المازني وأبي حاتم : أعناقهن مُشربات . ويروى : مُشَرّبات . المصدر السابق . خزانة الأدب ٣ / ٣٢٤ . . مشربات . . منهج السالك ٤ / ٣٨٦ . . مشددات بقرن . ملززات : مشدودات . القرن : الحبل . المشربات : المدخلات . مسربات : أي أنها تسرب في الحبل ، أي تذهب وتجيء .

(١٩) : في النوادر ١٠٣ : الظعن - كذا - .

١٠ ـ الشجن : الحاجة .

١٢ ـ الأرن : النشاط .

١٣ ـ اللسان والتاج (منن) والأمثال لأبي عكرمة ٩٦ والفاخر ٥٥ وإعراب ٣٠ سورة من القرآن ١٩٧ : فرحلوها . . جمهرة اللغة ٢ / ٣٨٨ قد . .
رحله رحلة : شد عليه أداته . رعن : استرخاء . لأنهم لم يحكموا شدها من الخوف والعجلة .

١٤ ـ الفائق ٢ / ٤١ وإعراب ٣٠ سورة من القرآن ١٩٧ ثم أناخوها . . الفاخر ٥٥ .
من ثمّ من . أي أبركناها إلى رجل وأي رجل . يريد بذلك تعظيم شأنه .

التخريج :

قال ابن بري : « قال خطام الريح المجاشعي ورأيت بخط النيسابوري : قال الأغلب العجلي » اللسان (رعن) والمقاصد النحوية ٤ / ١٠٠ . والأرجح أنها لخطام الريح كما يتضح من التخريج .

١ ـ ٤ ، ٧ ـ ٩ النوادر ١٠٣☆ ـ وخزانة الأدب ٣ / ٣٢٣☆ ـ ٣٢٤☆ ـ ١ ، ٢ خزانة الأدب ٣ / ٣٢٣☆ ، ٤ / ١٠٥☆ ـ ١ خزانة الأدب ٣ / ٣٢٣☆ ـ ٣ ، ٧ اللسان☆ والتاج☆ (وني) .

٥ ـ ١٤ اللسان (رعن) والمقاصد النحوية ٤ / ١٠٠ ـ ٥ ـ ٩ ، ١٣ الأمثال لأبي عكرمة ٩٦☆ ـ ٨ ، ٩ منهج السالك ٤ / ٣٨٦☆ والمقاصد النحوية ٤ / ١٠٠ ـ ١٠ ، ١١ اللسان☆ والتاج☆ (شجن) ـ ١٣ ، ١٤ اللسان والتاج (منن) وجمهرة اللغة ٢ / ٣٨٨☆ والفاخر ٥٥☆ وإعراب ٣٠ سورة من القرآن ١٩٧☆ ـ ١٣ التاج (رعن) . اللسان☆ والتاج☆ (رحل) والصحاح☆ (رعن) والمحكم ٢ / ٧٦☆ ، ٣ / ٢٢٥☆ والمخصص ٣ / ٥٠☆ ، ٧ / ١٤٩☆ ومقاييس اللغة ٢ / ٤٠٨☆ وإصلاح المنطق ٥٧☆ ومجمع الأمثال ١ / ٣١٧☆ ـ ١٤ الصحاح☆ (منن) والفائق ٢ / ٤١☆ .

حلب

محمد يحيى زين الدين

مادام المصدرية الشرطية وشواهدها

الأستاذ صبحي البصام

تمهيد :

جاء في هذه المجلة الزهراء [ج ٢ مج ٥٢ / ١٩٧٧ م] قول في « مادام في بعض تعبيرات عصرية » ، وهو فرع على مقالة عنوانها « آراء وأنباء » . ويُستفاد منه أنّ جُمَيعة من أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة ومن أعضائه المراسلين تذاكروا تعبيراً يرون أنه عصري ، وهو تقدّم « مادام » في نحو قولهم : « مادام عليّ مجتهداً في دروسه فسيكتب له النجاح » . وقالوا إنّ النحاة قالوا في « مادام » بـ « وجوب تأخرها عمّا يكون مظروفاً أو جملة » . ثم أجازوا التعبير على أحد وجهين : أحدهما أن تكون جملة « مادام » مقدّمة من تأخير ، والآخر أن تكون (ما) زمانية شرطية ، كما في قوله تعالى : ﴿ فما آستَقاموا لكم فآستقيموا لهم ﴾ . ورأى بعضهم ، وهو الأستاذ الفاضل عباس حسن أن يُجاز التعبير على أنّ « دام » تامة بمعنى بقي فلم يؤخذ برأيه .

مادام المصدرية الشرطية :

١ ـ والحق الذي لاشوب فيه ، أنّ « مادام » هذه ليست عصرية ، بل هي قديمة صحيحة ، وردت في منطق الفصحاء ، وجرت في كلام علماء اللغة ولاسيّما الخليل الفراهيدي والفرّاء وابن السّكيّت والزجّاجي وابن سيدة والزمخشري ، وهم ممن عُرف بجلالة القدر ، واستنارة البصيرة ، والتوفرّ على حفظ اللغة ، وتقويم دَرْئها ، ورمّ ماآسترمّ منها . وأقدمُ من وجدته يستعملها نثراً طُوَيس ، وكان وُلد يوم توفي النبيّ صلى الله عليه وسلمّ .

جاء في فوات الوفيات [١ / ٤١٨ ت . عبد الحميد] أنه كان من شؤمه يقول : « ياأهل المدينة ، مادُمتُ بين أظهركم فتوقعوا خروج الدابّة والدجّال » . وأقدم من

وجدته يستعملها شعراً عبد الرحمن الداخل[١١٣ ـ ١٧١ هـ] ، وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، قال[نفح الطيب ٣ / ٤٣ ت . إحسان عبّاس] :

مـادام من نسلي إمـام قـائم فـالمُلك فيكم ثـابت متـواصـل

ونقل مؤلف النفح من المسهب أنّ عبد الرحمن هذا : « كان من البلاغة بالمكان العالي الذي يرتّد عنه أكثر بني مروان حسيراً » .

٢ ـ فـ « مادام » قديمة في تقدمها ، وهي مصدرية شرطية ، وإن شئت قلت ظرفية شرطية ، لأنها تقدّر بمصدر نائب عن ظرف الزمان محتملاً معنى الشرط . ففي قولك « مادام زيد مريضاً فأنا مهموم » تكون مدّة المرض شرطاً في الهمّ . و « ما » في « مادام » حقّها أن تعامل معاملة « ما » في « ماآستقام » في قوله تعالى : ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴾ لأنها تشبهها مبنى ومعنى . وقد قدّر النحاة الشرط للاسم الموصول ، ومنهم ابن جني في سرّ صناعة الإعراب [١ ـ ٢٦٠ ت . السقا . . .] ، ومن تمثيله لذلك قوله : « الذي يكرمني فله درهم[1] » ، وذلك لأن « الذي » بمعنى مَنْ الشرطية . فاذا عومل الموصول الذي لايشبه لفظُه لفظَ الشرط معاملته ، فما أشبه أداة الشرط باللفظ والمعنى كان أحقّ بتلك المعاملة .

---

(١) كأني بابن جني يوجب إدخال الفاء هاهنا لقوله في مَثَله : « ولو قلت الذي يكرمني له درهم ، لم يدل هذا القول على أن الدرهم إنما يستحق للإكرام ، بل هو حاصل على كلّ حال » . وأظنّ أن حذف الفاء جائز إذا عُرف المراد من سياق الكلام ، لأن وجه الشبه بين الذي والشرط ليس بالقدر الذي يقتضي هذا الوجوب ، ومن الحذف القريب من ذلك قول والد ابن العميد في رسالة له [يتيمة الدهر ٣ / ١٠] : « وكلّ ضِيقة إلى رخاء ، وكلّ غمرة فإلى انجلاء » فحذف الفاء أولاً وأثبتها آخراً . ومما قُدّر له الشرط النكرة الموصوفة ، كقول معاذة العدوية [البخلاء ص ١٤٨ ت . الحاجري] : « كُلّ مقدور عليه فمقلوّ محقور » ، والتقدير كُلّ شيء مقدور عليه .

٣ ـ وتقديم مادام قد تقتضيه حاجة بلاغية ، كأنْ تُؤْثر أن تقول : « مادام زيد غاضباً فلن أكلّمه » ، على أن تقول « لن أكلّم زيداً مادام غاضباً » ، كي لايتوهم السامع ، قبل أن تتم كلامك ، أنك تريد عدم تكليم زيد على أي حال . ألا ترى الى حسن تأتيّ الخليل الفراهيدي في تقديمه « مادام » في قوله لرسول سليمان بن علي ، عمّ السفاح والمنصور ، وهو يشير إلى خبز بيده : « مادُمتُ أجده فلا حاجة لي إلى سليمان » [نزهة الألباء ص ٤٤ ت . أبو الفضل] . ولو كان بدأ قوله بـ « لاحاجة لي إلى سليمان . . . » لاحتمل أن يرى راءٍ أنّ قوله يعوزه شيء من التحرّز والكَيْس .

٤ ـ ثم إننا قد نحتاج إلى تقديمها عند الاستدلال ، والأكثر أن تُقرن عندئذ بالفاء ، كأنْ يُكشف عن حال أمر من الأمور ، فيُقال استدلالاً : « فما دام الأمر على هذا الانكشاف والوضوح فقد بطلت إقامة الأدلة عليه » . ومنه قول أبي بشر الفارسي الحافظ (اليتيمة ٣ / ٨) :

شكى النقرسَ نقريسٌ أخو علم ونِطّيسٌ
فما دام لكم قوسٌ فنفسي لكُمُ جُوسُ

قال فيه الثعالبي : « وكان متقدّماً في علم العربية متأخراً في قول الشعر » وفسرّ شعره هذا ، فمن شاء وقف عليه في موضعه .

٥ ـ وقد تُقَدّم « مادام » لوزن الشعر . ومن له بصر في الشعر ، وتمهّر في عمله ، يعرفُ التحيّل في تأليف كلامه ، والتخيّر في رصف نظامه ، ويُدرك أنّ مايلتوي من هاهنا قد يستوي من هنالك .

٦ ـ ويصحّ أن يُعتدّ تقديمها تقديماً من تأخير ، لأن الأكثر في استعمالها أن

تُؤخرّ عن الكلام الذي يُتمّ معنى جملتها[٢] .

٧ ـ فإن دخل عليها شرط عند تقديمها زال شرطها ، كقول أعرابي وقد سئل : هل لك في البادية ؟ : « أمّا مادام السعدانُ مستلقياً فلا » [مجالس ثعلب ق ١ / ٣٤٥ ت . هارون] ، وكقول بعضهم للمنتصر : « أما مادُمت ياأمير المؤمنين في قلة ممن معك فلن أبرح » [تأريخ الطبري ٩ / ٢٣٥ ت . أبو الفضل] وكقول التوحيدي : « فأمّا مادُمنا نرتكض في ظلّة الهيولى فإنا نفقد كلّ حظ جسيم » [رسائل التوحيدي ص ٧٩ ت . الكيلاني] وهذه الشواهد الثلاثة المذكورة تدلّ على جواز تقدّم « مادام » بلا دلالة منها على شرط .

٨ ـ ويجوز فيها عند تقديمها أن تعرب « ما » شرطية ، و « دام » تامة ، على أن يصيّر خبرها حالاً . وهذا هو الذي قصد إليه الأستاذ الفاضل عباس حسن على أنّ فيه تكلّفاً بتصيير خبرها حالاً . ومن ورود « مادام » تامة شرطية من غير أن يتلوها منصوبها قول زياد بن سُميّة : « مادام سُلطاننا فالدنيا كلها لنا » [أنساب الأشراف ق ٤ / ٢٨٣ ت . إحسان عباس] ، وقول الشريف الرضي [الديوان ٢ / ٩٠٥ ت . اللبابيدي] :

فما دُمت فالملك واري الزنا ... دِ صافي الموارد عليّ المباني

و « عليّ » هكذا في الديوان ، ولاآمن أن تكونَ تحريف « عالي » .

---

(٢) من ذلك قوله تعالى حكاية عن المسيح عليه السلام : « وأوصاني بالصلاة والزكاة مادُمتُ حيّاً » ، وقول زهير [الديوان ص ٢٨٢ صنعة ثعلب] :

ماززال في سيبهم سجل يعمُّهُمْ ... مادام في الأرض من أوتادها وتِدُ

وقول مسكين الدارمي [الأشباه والنظائر للخالديين ص ٦٠ ت . محمد يوسف] :

وهبني امرأ راعيتُ مادُمتُ شاهداً ... فكيف إذا ماغبتُ عن بيتها شهرا

٩ ـ أمّا ماذكره الفضلاء من أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة من أنّ النحاة قالوا في مادام بـ « وجوب تأخرها عمّا يكون مظروفاً أو جملة » فلم أقف عليه فيا بين يديّ من كتب النحو ، فإن كان قال به بعض النحاة فأظن قوله يعوزه الاستقراء ، وينقصه النظر في وجوه البلاغة . على أني وجدتهم يمنعون أن يتقدم خبرها عليها . قال كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري في كتابه أسرار العربية [ص ٥٨ ليدن ١٨٨٦] : « وأجمعوا على أنه لايجوز تقديم خبر مادام عليها ، وذلك لأن (ما) فيها مع (الفعل) بمنزلة المصدر ، ومعمول المصدر لايتقدّم عليه » . قلتُ : أي أنّ المتنع عندهم أن يُقال « لا أكلم زيداً حيّاً مادمتُ » لأن الذي عليه كلامهم : « لا أكلّمُ زيداً مادُمتُ حيّاً » .

ب ـ وزاد ابن مُعطٍ على ذلك أن مَنَع من تقدّم خبرها على اسمها [الأشباه والنظائر للسيوطي ٣ / ٥] ، ودُفع منعه بشواهد منها قول الشاعر [أوضح المسالك ١ / ١٧٠ ت . عبد الحميد] :

لاطيبَ للعيش مادامت منغّصةً لذّاته بادّكار الموت والهرمِ

ج ـ ومنع ابن مالك أن يكون خبر مادام ماضياً . قال الرضي الاستراباذي في شرحه على الكافية [ج ١ /٢٥٢] بعد أن أيد رأي ابن مالك : « لأنّ (ما) المفيدة للمدة نحو مادرّ شارق ، تقلب الماضي في الأغلب الى معنى الاستقبال ، كما يجيء في قسم الأفعال ، فلهذا تقول : أجلس مادام زيدٌ جالساً » . قلتُ : ومن كُتّاب عصرنا من يأتي بخبر (مادام) ماضياً ، مضيفاً الى معناها التعليل ، كأنْ يقول : أجلس مادام زيد قد جلس . وهذا أيضاً فاش في لغة العامة منا في العراق .

شواهد مادام المصدرية الشرطية :

١ ـ ٤ ـ تقدّم ذكرُ شواهد لطُوَيس وعبد الرحمن الداخل والخليل الفراهيدي وأبي بشر الفارسي ، وهي تشهد بمصدرية مادام وشرطيتها ، وهي أربعة وأنا مُضيف

اليها هاهنا سائر ماتحصّل لديّ منها :

٥ ـ قال أبو عبيدة : « مادامت الوديقُ في وداقها فهي في قَرْئها وإقرائها » [تهذيب اللغة ٩ / ٢٧٤ قرأ . ت . هارون] .

٦ ـ وقال الفرّاء : « يعني الكُفُرّى ، مادام في أكامه فهو نضيد » [تهذيب اللغة ١٢ / ٤ نضد . ت . البردوني] .

٧ ـ وقال ابن السّكّيت : « يقول : مادام الندى فهو في سلوة من العيش » [إصلاح المنطق ص ٢٠٥ ط . الكاثوليكية ببيروت] .

٨ ـ وقال الجاحظ : « ومادام صاحبه فيه فإنه بلاء » [البخلاء ص ٥] ،وقال « فما دام عزيزاً قليلاً فهو نفيس جليل آخذ للثمن » [الدلائل والاعتبار[3]ص ١٥ حلب ١٩٢٨] وقال : « وهو مادام راكبه عليه فهو ألين من كلّ ذي أربع » [الحيوان ٧ / ٢٢٧ ت . هارون] .

٩ ـ وقال القاهر بعد عزله عن الخلافة وسمل عينيه [الفرج بعد الشدة ٣ / ٨٣ حاشية للمحقق عبود الشالچي] :

مادام تـوزون لـه إمرةٌ مُطاعةٌ فالمِيلُ في الجمرِ

١٠ ـ وقال السكري : « يقول : مادام الحمارُ مقيّداً فهو ذليل معترف بالهون » [الموازنة ١ / ٢٠٨ حاشية للمحقق سيد صقر] .

١١ ـ وقال الزجّاج : « أي ماداموا في الدنيا فالتوبة معرضة ولا توبة في الآخرة » [تهذيب اللغة ٤ / ٤٤٧ فتح . ت . العزباوي] .

١٢ ـ وقال التوحيدي : « والعلّة مادامت علّة فانها تقتضي شيئاً خاصاً ،

---

(٣) كتاب الدلائل هذا منسوب إلى الجاحظ ولاأحقه له .

والشيء مادام مقتضياً فإنه يتبع علّته الخاصة به » [المقابسات ص ٣٢٢ ت . السندوبي] .

١٣ ـ وقال مسكويه في النفس : « حكموا أنها مادامت في البدن ومتصلة بالطبيعة ونجاسات البدن . . . فليست سعيدة على الاطلاق » ، وقال : « إنّ الإنسان مادام في هذا العالم فهو محتاج إلى حسن الحال الخارجة عنه » [تهذيب الأخلاق ص ٨٥ ثم ص ٩٥ ط . بيروت] .

١٤ ـ وقال أبو الفتح ذو الكفايتين [اليتيمة ٣ / ٢٨] :

مادام في ليل الصبّا في فاحمٍ رجل الذرى فينان كالعنقودِ
قبل المشيب فطارقات جنوده يُبدلنه يققاً بسُحم سُودِ

١٥ ـ وقال أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطّابي [اليتيمة ٤ / ٢٣٢] :

مادمتَ حيّاً فدار الناس كلَّهُمُ فإنما أنت في دار المداراةِ

وقال فيه الثعالبي : « كان يُشبّه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلاّم في عصره علماً وأدباً . . . وتدريساً وتأليفاً »

١٦ ـ وقال الثعالبي في « ترتيب سنّ الغلام وتنقّل السنّ به » : « مادام في الرحم فهو جنين ، فاذا وُلد فهو وليد ، ومادام لم يستتم سبعة أيام فهو صديغ . . . ثم مادام يرضع فهو رضيع » [فقه اللغة ص ١٤١] .

١٧ ـ وقال الإمام عبد القادر الجيلي : « مادُمتَ ترى الخلق لاترى نفسك ، ومادمت ترى نفسك لاترى ربّك » [فوات الوفيات ٢ / ٥] .

١٨ ـ وقال ابن سيدة : « وقيل مادام رطباً فهو ضريع فإذا يبس فهو الشّبرق » [المحكم ١ / ٢٥٠ ض ر ع . ت . السقا ونصّار] .

١٩ ـ وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ واْعبد ربّك حتى يأتيك اليقين ﴾ من سورة الحجر : « أي مادمتَ حيّاً فلا تخلّ بالعبادة » ، وقال في قوله جلّ

ثناؤه : ﴿ كأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدَة ﴾ من سورة المنافقون : « ومادام متروكاً فارغاً غير مُنتَفعٍ به أُسند إلى الحائط » [الكشاف ١ / ٢٢٧ ثم ٢ / ١٤٨٦ ط . كلكتا ١٨٥٦ م] .

٢٠ ـ وقال الأعلم الشنتمري : « يقول : الإنسان مادام حيّاً فإنه لايدرك أواخر الأمور » [ديوان امرئ القيس ص ٣٩ ت . أبو الفضل] .

٢١ ـ وقال عبد الملك بن شُهيد [نفح الطيب ٣ / ٢٦٠] :

مادام من أرملاط مشربنا دع دير عَمّى وطيزنا باذا

٢٢ ـ وقال بعضهم [أوضح المسالك ١ / ١٧٠ حاشية للمحقق] :

مادام حافظَ سرّي من وثقتُ به فهو الذي لست عنه راغباً أبدا

٢٣ ـ وقال أبو اسحاق إبراهيم المعروف بالرقيق العديم : « واحتجوا أنّ عصير العنب مادام حُلواً فهو حلال مطلق . » [قطب السرور ص ٤٦٤ ت . الجندي] .

٢٤ ـ وقال ماجد بن هاشم الحسيني البحراني ، وهو من المئة الحادية عشرة [سلافة العصر ص ٥٠٣ مصر ١٣٢٤ هـ] :

مادام طرفك لايصحّ فإنما قلبي على الحَدَق المراض مريضُ

فعدّة هذه الشواهد أربعة وعشرون ، عاش أصحابُها في عصور شتى تبتدىء بالمئة الهجرية الأولى وتنتهي بالمئة الحادية عشرة .

ختام :

لّما قرأت قول الفضلاء من أعضاء المجمع اللغوي في القاهرة بعصريّة تقدّم « مادام » أنكرته ، لتذكري شواهد ممّا قدّمته تشهد لقدمها وصحتها . وهممتُ أن أنبّه على ذلك ، فقعد بي عن التنبيه اشتغال بالي ، ببعض أحوالي ، ثم قلت في

نفسي : إنهم أجازوه على وجه وجيه ، فما الحاجة إلى التنبيه ؟ ثم إني وجدتُ بأَخَرَة الدكتور إبراهيم السامرائي يخطّىء اللغويّ الشيخ محمداً العدناني في استعماله « مادام » هذه ، وذلك في أثناء مقالة له في هذه المجلة (ج ٢ مج ٥٦ / ١٩٨١) ، فأيقظ راقد عزمي ، وحرّك ساكن نيتي . إنه بتخطئته قد أوجد السبيل على نفسه ، فأُتي من حيث لم يحتسب ، لأن عبارة الخليل الفراهيدي المقدّم ذكرها وهي : « مادُمتُ أجده فلاحاجة لي إلى سليمان » قد مرّت به في ترجمة الخليل إبّان تحقيقه كتاب « نزهة الألبّاء[٤] . . . » ، فلم يرتسم في ذهنه موضع « مادام » منها . وكان قبل سُنيّات استعمل « مادام » هذه في كتاب له مطبوع فما الذي جعله من بعدُ يقول بخطئها وهي صحيحة ؟ أظنّ أنه لم يكن له رأي خاص في تقدمها إلى أن نجم له قول الفضلاء من أعضاء المجمع بعصريتها ، وحصحص ركونهم إلى إجازتها ، فظنّ أنه وقف منها على شيء جديد ، فبدا كَمَن يرفض إجازتها ، ويرفضّ عنها ، وذلك بتخطئته اللغويّ العدناني في استعمالها . وأنّى يفعل ذلك وهو ذو صَغْو إلى التسمّح في لغتنا ، وإلى التفسّح في إدخال التعابير العصرية فيها ؟ وهل يصحّ أن يجتمع الصَّغو إلى الشيء والمخالفة إلى ضده ؟ وقد رأيتُ أنّ تخطئته هذه قد يُغَرّ منها جماعة من المعنيين باللغة ، وأنها قد تفرّخ وتبيض بين أهل الأدب ، فأمللتُ هذه المقالة ، قاصداً فيها إلى إقامة الحجّة ، وإيضاح المحجّة ، وتوليّ القَرْنَ بالقَصْم ، والداءَ بالحَسْم ، فإن بلغتُ بها المقصود ، وإلاّ فليُفدني مُفيد من علمه ، وعسى أن تكون فائدته صباحاً مغنيا عن مصباحي[٥] .

لندن **صبحي البصام**

---

(٤) هو ممن حقق هذا الكتاب . وعبارة الخليل في النسخة التي حققها هي (ومادمتُ أجده فلا حاجة لي في سليمان) (ص ٤٦ ط ٢ / ١٩٧٠) باستعمال (في) بدل (إلى) التي في النسخة المحققة من قبل أبي الفضل إبراهيم .

(٥) المراجع التي رجعت إليها في هذه المقالة وعدّتها تسعة وثلاثون كنت استعرتها من مكتبة SOAS من جامعة لندن ، وكلّ مقالة لى من لندن فمراجعها كلّها أوجلّها من هذه المكتبة .

مقدمات في الاستعراب الجديد
(١)
نحن والاستشراق :

ملاحظات نحو مواجهة إيجابية

القسم الأول

عبد النبي اصطيف

ربما كان أخشى ما يخشاه صاحب هذه السطور من أن يؤدي ظهور كتاب **الاستشراق**[١] للأستاذ الدكتور ادوار سعيد بترجمة[٢] الدكتور كمال أبو ديب إلى غير ما أريد له من اطلاع للقارئ العربي على هذا الكتاب الهام الذي يكاد يكون فريداً في نوعه في معالجة تأثير تراث أو تقليد ثقافي معين هو « الاستشراق » على تكوين ما ينتجه عقل معين يمارس فعاليته ضمن هذه البنية الثقافية هو « المستشرق » ، وفي تقديم نموذج يحتذى في دراسة العلاقة **بين هذا التراث الثقافي برمته كبنية عميقة محددة (بكسر الدال المشددة) وبين ما ينتجه العقل الفردي من إنشاء ، أو بعبارة أخرى من بنية فوقية .**

إن الاستشراق كتقليد ثقافي هو ـ فيما يبدو بالنسبة لسعيد ـ **نظام يشبه في تأثيره وقوته النظام اللغوي Langue** ، وما **ينتجه المستشرق من إنشاء يشبه الكلام parole في خضوعه لهذا النظام .**

أقول أخشى ما يخشاه المرء هو أن تؤدي هذه الخدمة الجليلة (والشيقة في حد ذاتها كتجربة جريئة في ميدان الترجمة من الانكليزية إلى العربية ينبغي أن تدرس

من هذه الوجهة) التي قام بها الدكتور أبو ديب إلى مجرد تزويد بعض المعادين للاستشراق ـ وما أكثرهم ـ بذخيرة حديثة جداً على غاية ما تكون من التطور والفعالية في هجومهم على هذا التقليد الثقافي ، بدل الإفادة من تضمنات هذا الكتاب الذي سيكون له تأثير حاسم على الطريقة التي تدرس بها الظواهر الثقافية المعاصرة وخاصة ما اتصل بقضية التأثر المتبادل بين المعرفة من جانب والقوة / السلطة من جانب آخر . **فالاستشراق هو نموذج متطور جداً في التحليل الأيديولوجي القائم على افتراض فحواه أن أي إنشاء يخبرنا عن منتجه والبنية الثقافية التي يعمل من خلالها أكثر مما يخبرنا عن موضوعه الذي يفترض فيه أن يعالجه ويحلله ويصل إلى نتائج معينة تتصل به .**

ولهذا فإنني سأحاول فيما يلي من سطور أن أقدم جملة من الملاحظات التي تتصل بعلاقتنا نحن العرب ـ الداخليين Insiders ـ بهذا التقليد الثقافي القوي وبما ينتجه المستشرقون أو الخارجيون Outsiders ، لأصل إلى ما يبدو له أنه الطريق الأجدى في التعامل مع هذا التقليد ، أو ما أود أن أسميه بالمواجهة الإيجابية له .

تنبغي الإشارة بادئ ذي بدء إلى أنه مهما اختلفت آراؤنا في الاستشراق ، فإننا لا نستطيع أن ننكر حقيقة كونه تقليداً يتمتع بعراقة نسبية ، ويستطيع أن يمارس تأثيرات بعيدة المدى على كل من يتصل به بسبب ، من خلال كونه مؤسسة ثقافية وطيدة الأركان . أو بمعنى آخر إن كون الاستشراق بنية ثقافية تتمتع بقسط معقول من التماسك يجعل من الصعب على من يتحرك من خلالها أن يهرب من ساحة تأثيراتها السلبية أو الإيجابية على حد سواء . فالنصوص التي تشكل هذا التقليد مثلها أي نصوص توجد في سياقات معينة ، وثمة ما يشبه الإجماع الآن إلى أن هذه النصوص هي حصيلة تراكمات جمعية ، أو هي بعبارة أخرى حصيلة نظام من الاقتباس من أعمال ومؤلفين[٣] سابقين ومعاصرين ، وان لنصية أي تقليد ثقافي

ضغطاً يمارس من خلاله المساهمون فيه على اختلافهم تأثيرات معتبرة تحاول أن تقمع الصوت الفردي لصاحب الإنشاء الجديد . وبالطبع فإن ذلك لايعني إهمال أثر الكتاب الأفراد في هذا الجسد الجمعي للنصوص التي تشكل التقليد ، رغم أن هذا الأثر يقتصر على فئة قليلة جداً .

إن أي متتبع للاستشراق يستطيع أن يتلمس أن هذا التقليد الثقافي الذي بدأ في منتصف القرن الثامن عشر على وجه التقريب استطاع ـ ومن خلال جملة من التطورات التي مرّ بها ـ أن يتحول إلى مؤسسة ثقافية بالغة القوة لاتستطيع فقط أن تمارس تأثيرها على العاملين في دوائرها ، أو من يتصلون بها من قريب أو بعيد ، بل أن تمتد بتأثيرها هذا إلى موضوع بحثها ـ الشرقيين أنفسهم ـ . ورغم كل مايمكن للمرء أن يجده في هذا التقليد من مثالب وعيوب ونواقص وما يستشفه في قراءاته له من أهواء ونزعات مغرضة ، ورغم كل مايقال عنه من أنه كان شريكاً للأنظمة السياسية في الغرب المستعمر في السيطرة على الشرق والتحكم بمقدراته ومصائر أهله وشعوبه ، وفي سماحه بتوظيف مالديه من معرفة لخدمة نزعة السيطرة ، وتسويغ استخدام القوة ضد الآخر الضعيف الذي لا يملكها ، فإنه لا يمكن له إلا أن يعترف ـ وربما بأسف شديد حقاً ـ بأن دارس العرب خاصة والشرق عامة ـ سواء أكان من الشرق أم من الغرب ـ يظل يتحرك ضمن بنية ثقافية خلقها الخارجيون عن هذا الشرق ، ومن منطلق التمحور حول الذات . فقد نجح هؤلاء رغم كل شيء في خلق تقليد ثقافي متماسك أصبح له تاريخ يمتد على أكثر من قرنين من الزمان ، ويستطيع بالاضافة إلى ذلك لا أن يشكل عقلية الدارسين الغربيين من المستشرقين فحسب ، بل وعقلية الدارسين الداخليين من الشرقيين أنفسهم في أحايين كثيرة سواء أدرسوا في الغرب أم لا . وأكثر من هذا فإننا كما يقول ادوارد سعيد فإننا :

« إذا اتخذنا من أواخر القرن الثامن عشر نقطة للانطلاق محددة تحديداً تقريباً » . . . نستطيع أن نناقش الاستشراق ونحلله « بوصفه

المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق ـ التعامل معه بإصدار تقريرات حوله ، وإجازة الآراء فيه وإقرارها ، وبوصفه ، وتدريسه ، والاستقرار فيه ، وحكمه ، وبإيجاز : الاستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق ، وإعادة بنائه ، وامتلاك السيادة عليه[٤] »

وبالطبع فإنه ليس ثمة حاجة إلى القول ان هذه المؤسسة ما كان لها أن تقوم ، وان هذا التقليد الثقافي ما كان له أن يغدو بهذه الفاعلية مالم يقدم حصيلة ثقافية على قدر معقول من الموضوعية ، وعلى حد أدنى من مقتضيات البحث لم يكد يصلها إلا عدد محدود جداً من دراسات الداخليين ممن يدعون الغيرة الشديدة على تراثهم وثقافتهم ، بل إن هذا التقليد غدا فرعاً على غاية من التنظيم استطاعت من خلاله الثقافة الغربية « أن تتدبر الشرق ـ بل حتى أن تنتجه ـ سياسياً واجتماعياً ، وعسكرياً ، وعقائدياً ، وعلمياً ، وتخيلياً في مرحلة ما بعد عصر التنوير »[٥] . والحقيقة التي تبعث على الأسى حقاً هو أن هذا التقليد لايكاد يفر من تأثيره حتى الشرقيون أنفسهم . ودع عنك المستشرقين الذين يُؤسسون في دوائره . وعلى الرغم من أن الاستشراق قد بدأ بعملية نقد داخلية منذ بداية العقد السابع ، وأن ثمة أصوات جديدة متعاطفة مع موضوع الدراسة أخذت تتردد أصداؤها في رحابه ، فإن المستشرق الذي يبدأ بدراسة الشرق ومن خلال جملة المكونات الثقافية التي تحكم انتاجه في النهاية ـ كالقوالب الثقافية الجاهزة التي تراكمت من خلال أجهزة الإعلام والتي يعتبر عالم ألف ليلة وليلة والحروب الصليبية وسواها من موادها الأساسية ، ومن خلال التغطية الإعلامية للشؤون الشرقية وخاصة ما اتصل منها بحياته اليومية ؛ وبعد ذلك من خلال الكتب التي يقرؤها في دراسته الجامعية الأولى ، ومن خلال المراجع المختلفة التي كتبت بمختلف اللغات الأوربية والتي أنتجها الأوربيون ، الخارجيون ، الآخرون ؛ وأخيراً من خلال التفاعل بين هذا الجانب الأكاديمي من هذا التقليد والجانب الإعلامي منه ـ يتقولب بفعل هذا التقليد الثقافي ورغم محاولته دائماً البحث عن صوته الخاص به ، ورغم محاولته أن

يكسر هذه الدائرة المغناطيسية التي تحدد حركته وتقييده ، فإنه يظل أسير هذا النمط من النظام الفكري الذي يقوم عليه الاستشراق ، هذا التراث النقابي / المهني كما يسميه ادوارد سعيد ، إنه بمعنى آخر يغدو منتجاً ـ بفتح التاء ـ ثقافياً له .

والغريب أن الاستشراق ، رغم إخفاقاته التي تحدث عنها أنور عبد الملك[٦] ، وعبد اللطيف الطيباوي[٧] ، وادوارد سعيد وآخرون[٨] ، « ورغم مصطلحه المعاظل الذي يثير الشفقة ، وعرقيته التي لاتكاد تحجب ، وجهازه الفكري الرقيق رقة الورقة ، يزدهر اليوم[٩] » ازدهاراً لايمكن للمرء أن يغضي طرفه عنه . ولكن من المثير للقلق حقاً هو أن تأثيره قد انتشر إلى الشرق نفسه ، « فصفحات الكتب والمجلات باللغة العربية . . . . تمتلئ بتحليلات من الدرجة الثانية لـ « العقل العربي » ، والإسلام ، وأساطير أخرى ، يقوم بها كتاب عرب »[٩] . ورغم أن المرء لا يمكن أن يأخذ ـ وعلى النحو نفسه من التطرف ـ برأي ادوارد سعيد في تغلغل هذا التأثير عندما يقول :

« إن الوطن العربي اليوم كوكب تابع فكرياً وسياسياً وثقافياً للولايات المتحدة ، وليس هذا في ذاته بشيء يدعو إلى الرثاء ، غير أن الشكل المحدد بعلاقته الكوكبية نفسه يدعو إلى ذلك »

إلا أنه من جهة أخرى لايسعه إلا أن يعترف بأن رأي سعيد فيما يتعلق بظروف انتاج الثقافة العربية المعاصرة صحيح في مجمله وياللأسف ، يقول سعيد :

« خذ بعين الاعتبار أولاً أن الجامعات العربية في الوطن العربي تدار بشكل عام تبعاً لنسق ما موروث عن ، أو مفروض مباشرة من قبل ، قوة مستعمرة سابقة ، وتجعل الظروف الجديدة واقعيات المنهج الدراسي قبيحة حتى الرعب تقريباً : صفوف يحتشد فيها مئات الطلبة ، جهاز تدريس مدرب تدريباً سيئاً ، ومرهق بالعمل ، ويتلقى رواتب سيئة ، تعيينات سياسية ، الغياب المطلق للأبحاث المتقدمة ولوسائل

البحث العلمي ، وأهم من ذلك ، الافتقار إلى مكتبة واحدة لائقة في المنطقة بأسرها »[٩]

والحقيقة أن هذا الوضع المزري لظروف الانتاج الثقافي ، وسائله ، وعلاقاته ، وعناصره في المؤسسات الثقافية العربية ـ وخاصة الجامعات منها والتي يفترض منها أن تكون حصن القيم الثقافية في الوطن العربي ـ يقود بشكل أو بآخر إلى شيئين أولهما طفيلية المثقف العربي ، وثانيهما موقفه المتكافئ الضدين من هذا التقليد الثقافي المعني بمنطقته وتاريخه وثقافته وأدبه وحضارته . وحتى لا يكون هذان الحكمان دون أساس فإني سوف أتوقف عند كل منهما وأناقشه بشيء من الإجمال .

الاستشراق وتطفل المثقف العربي

ربما كان من غير المبالغة القول إن الدارسين العرب المحدثين ـ إن لم نقل العرب جميعهم ـ كانوا وما زالوا (وربما سيتابعون ذلك إن لم يستطيعوا تغيير الظروف الموضوعية للانتاج الثقافي في مجتمعهم) عالة على الغرب ، ليس في مجال التقنية والعلوم النظرية والتطبيقية أو في ميادين الفلسفة والعلوم الإنسانية وحدها ، وإنما في ميادين الدراسات المتعلقة بتاريخهم وأدبهم وثقافتهم وحضارتهم بشكل عام . فنحن نستورد هذه الدراسات المكتوبة بالانكليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الروسية أو الإيطالية أو الاسبانية أو غيرها من اللغات مثلما نستورد كتب الطب والهندسة والفيزياء والرياضيات وغيرها ، وأنا بالطبع أعنيها وأعني حصيلتها معاً هنا ، وبالطريقة التي نستورد فيها الطائرة والسيارة والآلة الحاسبة والمدفع والدبابة والحاسب الآلي وغير ذلك . إن الوطن العربي يبقى كما يقول سعيد قوة من الدرجة الثانية أو الثالثة على صعيد انتاج الثقافة والمعرفة والبحث المتعلق بأقرب الشؤون التي تتصل بهويته ، أي ثقافته وتراثه وأدبه وتاريخه . ومن ناحية أخرى ، فإنه ليس ثمة من باحث عربي أو إسلامي ـ جدير بلقب باحث ـ يستطيع المخاطرة بتجاهل ما يحدث في المجلات البحثية ، والمعاهد

والجامعات في الولايات المتحدة وأوربا ، غير أن العكس ليس بصحيح ، فليس « ثمة من مؤسسة تعليمية عربية واحدة قادرة على مضاهاة أماكن مثل أوكسفورد وهارفرد ، وجامعة كالفورنيا ، لوس أنجلوس ، في دراسة الوطن العربي ، ودع عنك أي موضوع غير شرقي »[١٠] . لأن العرب فيما يتصل بهذا الأخير - وأنا هنا أتحدث عن الغرب الحدثين - لم يسهموا إلا بقسط لايكاد يذكر في دراسة حضارات الآخرين وثقافاتهم ، بل ربما شعر البعض أن الحديث عن مساهمة كهذه للعرب في العصر الحديث شيء من العبث ، لأن المقصر بحق نفسه لايمكن أن يلام إذا ما قصّر بحق الآخرين . ولكن رغم ذلك تبقى النقطة قابلة للإثارة . صحيح أن ثمة أسماء معينة قد ساهمت - من خلال كتابات جادة وقيمة عن الثقافات الأخرى - بقسط لايمكن انكاره ، إلا أن من الإنصاف أن نشير إلى جملة حقائق في هذا السياق :

١) إن هذه الإسهامات محدودة جداً ، ولايمكن مقارنتها في أي وجه بإسهامات الخارجيين في دراسة ثقافة الشرق ، وربما كان من أهم ما يميزها فيما يتصل بموضوع هذه الدراسة ، كونها تخلو إلى حد كبير من أية نزعة عنصرية أو أيديولوجية تتصل بهذا الفرق الوجودي بين الشرق والغرب (والذي يكمن وراء أغلب الآراء الاستشراقية المغرضة) . ويستطيع المرء أن يشير في هذا الموضع إلى أسماء كمحمد مصطفى بدوي[١١] ، وإيهاب حسن[١٢] ، وادوارد سعيد[١٣] ، وعادل سلامة[١٤] وسمر عطار[١٥] وآخرين . وهذا يقودنا إلى الحقيقة الثانية وهي :

٢) أنها نتاج غربي مائة بالمائة لأنها حصيلة ممارسة وتدريب ونشاط تم في الغرب ، ولأنها كتبت بلغة أجنبية . والحقيقة أنه إذا ماتم تغيير أسماء مؤلفين هذه الكتب ووضع أسماء أجنبية مكانها ، فإن المرء لايمكن أن يدرك أنها كتبت من قبل باحثين عرب ، لأنها حصيلة ثقافية أجنبية .

٣) أما فيما يتعلق بتلك المؤلفات التي كتبت باللغة العربية فهي متفاوتة في حديثها وقيمتها وتوثيقها ، إلا أنها يمكن أن تندرج تحت الفئات التالية :

☆ مؤلفات تمت عن طريق معرفة واسعة ومتعمقة وواثقة واحتكاك مباشرين بالثقافات الأخرى ، وهذه قليلة ومحدودة جداً وانتشارها يقتصر على فئة محدودة من الطلبة والدارسين .

☆ ☆ مؤلفات تمت عن طريق معرفة واحتكاك غير مباشرين ، ويغلب عليها السطحية والتردد أحياناً وشيء غير يسير من الانتحال أحياناً أخرى .

☆ ☆ ☆ مؤلفات تعتمد على الترجمة وهي في مجملها تتخبط في مسخها ونسخها عما تنقل عنه ، إضافة إلى مساهمتها الغريبة حقاً في نشر الكثير من سوء الفهم فيما يتعلق بهذه الثقافات .

ومن الغريب أننا بعد هذا التقصير في حق ثقافة الآخرين ـ (والذي ربما اغتفره البعض) وفي حق ثقافتنا (والذي لا أظن أن أحداً يمكن أن يغفره لنا) لانرضى وفي كثير من الأحايين عما تنتجه المؤسسات الثقافية الخارجية من آراء ونظريات وننعتها باستمرار بأنها متعسفة مغرضة وغير موضوعية ومتحيزة وعنصرية . وغير مستقصية أو غير شاملة أو سواها من الصفات ، دون أن نستطيع أن نقدم البديل عنها . وإذا ماكان عجزنا عن انتاج سيارة أو طائرة أو دبابة أو حاسب آلي مسوغ بسبب طبيعة الظروف التي مرت بها الأمة العربية خلال القرون الماضية ، فإنه من غير المسوغ على الإطلاق أن نظل عاجزين عن تقديم دراسات جادة وموثقة ورصينة عن أدبنا وثقافتنا وتاريخنا وحضارتنا يمكن أن تنهض للمقارنة مع ما ينتجه الآخرون من أشياء تتعلق بنا ، ونحن أولى بها منهم ، والأغرب من هذا أننا نتأثر بشكل أو بآخر بحصيلة ما تقدمه هذه المؤسسة الثقافية الخارجية .

فنحن نباشر دراستنا من خلال مناهج وطرائق ومداخل ابتكرها الغربيون في دراستهم لثقافتنا وحضارتنا وأدبنا وتاريخنا ، وليس ثمة من حاجة إلى الإشارة إلى أن هذه المناهج والطرائق والمداخل متخلفة بالقياس إلى نظائرها المستخدمة في

المعارف الأخرى . والسبب في ذلك عائد لوظيفة الاستشراق في المجتمع الغربي وللأعباء الكثيرة التي حمّلها المستشرقون ـ تلك الأعباء التي كان من الصعب عليهم أن ينهضوا بها وهم على ماهم عليه من التأهيل الذي يقتصر في كثير من الأحيان على اللغة وفقهها فقط . يقول ألبرت حوراني :

« ولما كان المستشرقون من الجيل القديم الباحثين الوحيدين المهتمين بحق بالعالم الإسلامي ، والذين يملكون مفتاحاً أساسياً لكشف أسراره ـ وهو معرفة لغاته ـ فإنهم كانوا يدعون للقيام بأشياء عديدة دون أن يكونوا مستعدين تمام الاستعداد للقيام بها جميعاً : أن يعلموا اللغات ، ويتذوقوا الأدب ، ويدرسوا التاريخ ، ويشرحوا النظم الدينية والقضائية ، بل أن يشيروا على الحكومات ويوعوا الرأي العام حول القضايا السياسية ، لقد كتب أعظمهم وعلم في حقل واسع سعة عجيبة وأظهر سعة معرفة وفهماً لايستطيع أن يطمح إلى بلوغها إلا القليل من الباحثين المحدثين ، **ولكنهم قاموا بكل هذا بثمن** »[١٦]

وما ذلك إلا لأن عدتهم الوحيدة كانت معرفة اللغة فقط (وشيء عن الاسلام وتاريخه) ، وهل هذه تكفي لسبر أغوار ثقافة الشرق أو في ارتياد آفاقها الرحبة الواسعة . وهكذا فإن معظمهم كان على اطلاع كاف عندما يتعلق الأمر بفقه اللغة أو الدراسات الدينية ، ودون ذلك اطلاعاً عندما يتعلق الأمر بالأدب الصرف ـ بل إنهم في رأي سعيد لم يدرسوا الأدب لأنهم لم يكونوا ليتقنوا اللغة[١٧] ـ وربما أقل من ذلك في التاريخ والعلوم الاجتماعية . ونأتي بعد ذلك لنتخذ مما يقولون حجة نوثق بها كتاباتنا ، ولنقلدهم فيما ننتجه عن هذا الأدب وذاك التاريخ وتلك الثقافة رغم اعترافهم هم بقصوره منهجياً عن مضارعة ما ينتجه معاصروهم في ضروب المعارف الإنسانية الأخرى .

وهكذا فإن أكثر ما تنتجه مؤسسات الثقافة العربية هو نسخه ممسوخة ومنسوخة وربما من الدرجة الثانية أو الثالثة مما ينتجه الآخرون ، وما ذلك إلا

لأننا لم نستطع خلق تقليد ثقافي متين ومتماسك في دراستنا لثقافتنا وحضارتنا وتاريخنا ، تقليد يكون في جانب منه تطويراً للتقاليد العربية الكلاسية من جهة ، واستجابة لما جدّ من مناهج ومداخل ونظم معرفية من جهة أخرى . تقليد يضارع هذا التقليد الثقافي المتماسك والقوي والفعال الذي نسميه بالاستشراق .

موقف متكافئ الضدين تجاه الاستشراق

لاأظن أن ثمة من يماري في أن المثقف العربي كعامل من عوامل الانتاج / أو الاستهلاك الثقافي في الوطن العربي يقف موقفاً متكافىء الضدين في تعامله مع هذا التقليد الثقافي المدعو بالاستشراق . فهو من جهة يعرف ـ أو ربما لايعرف ـ أن هذا التقليد يشكل بنية ثقافية شديدة الوطأة في تأثيرها عليه ، ومن الصعب عليه تجاهلها أو الخروج منها دون إرادة قوية وهيهات أن يتم ذلك دون خلق بنية ثقافية مكافئة في القوة والمستوى تكون بديلاً عنها . وهو يشعر إضافة إلى ذلك أنها بعيدة عن أن تقارب واقعه الذي يعيشه وتظل تختلط فيها بقايا سياسية وأيديولوجية مغرضة ، إلا أنه من جهة أخرى يعرف أنه لايملك انتاج البديل الذي يتيح له أن يستغني عنها بسبب طبيعة ظروفه المحيطة والتي سبق أن أشرت إليها . لذلك نجد أن كثيراً من المثقفين العرب يتخبطون في طريقة تعاملهم مع هذا التقليد ، فهم يرفضونه لما فيه رغم أنهم في انتاجهم الثقافي يتأثرون بشكل أو بآخر بهذا التقليد سواء أكانوا على وعي بهذا أم لم يكونوا . ويكفي أن يشير المرء إلى بعض مظاهر هذاالتأثر :

أ) هنالك أولاً أولئك الذين يدرسون في الغرب ، وهؤلاء يخضعون لما يخضع له أي دارس يتحرك ضمن البنية الثقافية الغربية ، ويتأثرون بنحو أو بآخر بالبنى الثقافية الغربية . وبالطبع فإن هؤلاء (إذا ماشاء المرء أن يؤكد على النواحي الإيجابية في مشروعهم) يبقون في موقع متميز ـ على أي حال ـ لأنهم يبقون على اطلاع مباشر ليس على هذا التقليد فقط بل وعلى ظروف خلقه ومعطيات إنتاجه ، وعلى النقد الداخلي الذي يمارس في داخله أيضاً . وهذه المعرفة المباشرة

يمكن لها أن توظف توظيفاً إيجابياً سأشير إليه بتفصيل أكبر فيما بعد . وربما كان من الضروري هنا أن نشير إلى خطر تبني آراء كآراء ادوارد سعيد في هذه الفئة (عندما يدعو أصحابها بالمخبرين الأصليين[١٨]) لأنها تعني بشكل أو بآخر سلب هؤلاء من حس انتائهم دونما سبب موضوعي مسوغ من ناحية ، ولأنها من ناحية أخرى تعني التخلي عن عامل هام في تحويل مجرى الاستشراق ، هو بالقوة في صالح المواجهة الإيجابية لتقليد الاستشراق ، ويمكن إذا ما أحسن استخدامه أن يساهم مساهمة لها شأنها في خلق مستويات جديدة داخل هذا التقليد تخلخل القيم السائدة فيه وتستطيع في النهاية أن تدخل قيماً وآراء ورؤى داخلية نافذة يصعب معها للمستشرق أن يتمسك بهذا التقليد ، لأنه لن يستطيع مقاومة رياح التغيير الداخلية .

٢ً) هنالك ثانياً هؤلاء الذين أتيح لهم أن يطلعوا على نحو غير مباشر على هذا التقليد وتعرضوا لتأثيره . وهؤلاء ـ سواء في تحقيقهم لكتب التراث القديم وإعدادها للنشر أو في دراستهم لضروب الثقافة العربية الكلاسية والحديثة والمعاصرة ، أو في كتابتهم عن التاريخ العربي ، أو المجتمع الغربي ، أو السياسة ، أو الفلسفة وما إلى ذلك ـ يحاكون المستشرقين ربما في كل خطوة يخطونها . فلست أظن أن طرق تحقيقنا لتراثنا هي تطوير للطرق التي استخدمها العرب القدماء في تدوينه وتوثيقه وحفظه ونقله ؛ ولست أظن أن دراستنا للأدب العربي في عصوره المختلفة أو في دراستنا لبيئاته أو مذاهبه تفيد الفائدة التي يفترضها المرء من طرق دراستنا الكلاسية لهذا الأمر بعد تطويرها التطوير المناسب ؛ ولست أظن أن مناهج البحث التاريخي والاجتماعي والسياسي وغيرها مأخوذة عن أسلافنا القدماء مثلما هي مأخوذة ـ وإلى حد كبير ـ عن الغرب . وبمعنى آخر إننا في دراساتنا الإنسانية المعاصرة نتابع التقليد الغربي تقريباً ، وأننا إلى حد بعيد ننظر إلى تراثنا وثقافتنا وأدبنا بعيون غربية ، مصدرها تكويننا الثقافي الذي تنعدم فيه المشاركة العربية الفعالة التي تستند إلى تقليد يكون استمراراً لما ساهم فيه أسلافنا العرب .

٣) وهنالك أخيراً هذه الفئة الثالثة التي ترفض الاستشراق رفضاً كاملاً ، ولا تدع أية فرصة تفوتها دون أن تحاول النيل من هذا التقليد أو تفنيد ما ينتجه من آراء . وهي ترى فيه على وجه الإجمال تقليداً مغرضاً مافتئ منذ بداياته الأولى المرتبطة بالعهود الاستعمارية يحاول الانتقاص من ثقافة الشرق وأدبه وحضارته ، ويسعى جهده لتشويه تاريخه وإعطائه شتى التفسيرات البعيدة عن مدارك الشرقيين وآفاق تخيلاتهم .

والمفارقة في موقف هذه الفئة تتبدى في أنها في محاولتها نقد الاستشراق وتفكيك بناه تلجأ إلى الأطر الثقافية نفسها ، وتنتهي إلى تبني منطقة واعتقاداته وافتراضاته ومسلماته وأنظاره . وإذا ماشاء المرء أن يدلل على هذا فحسبه أن يشير مثلاً إلى أن الكثير من الباحثين العرب شغل إلى وقت طويل بتفنيد جوانب من التراث الاستشراقي المتصل بفلسطين وهو بالتحديد الجانب المعني بتسويغ الحق التاريخي للصهاينة في الاستيطان في هذه الأرض العربية ، وهم في محاولتهم هذه تبنوا المنطق نفسه ، والأطر النظرية نفسها التي استخدمها المنظرون الصهاينة في تسويغ مايرتكبونه من اضطهاد وظلم ضد العرب من سكان فلسطين المحتلة . وكذلك فإن الكثيرين من أفراد هذه الفئة وجدوا أنفسهم في معرض الرد على الاتهامات التي يلصقها بعض المستشرقين بالعرق السامي والتي تنبع من الاعتقاد بتفوق العرق الآري ـ يلجؤون إلى المنطق نفسه ، ويحاولون أن يثبتوا أن العكس هو الصحيح وأن العرق السامي عرق متفوق ، وأن الشرق الذي يسكنه هؤلاء الساميون هو مهد الديانات السماوية وموطن الأمن والسكينة الروحيين ومنبع الحضارات الكبرى في تاريخ الإنسانية وما إلى ذلك من بيانات تعتمد أساساً على الإطار النظري نفسه الذي يستخدمه المستشرقون . وهكذا فإنهم يقعون في الشرك نفسه الذي أرادوا أن يخرجوا الآخرين منه ، لأنهم ينطلقون من المسلمات نفسها التي ينطلق منها الآخرون ، وبالتالي فإنهم وعلى نحو سلبي يثبتون صحة هذه المسلمات عن غير وعي منهم . وهناك أمر آخر ، وهو أنه نتيجة الموقف الرافض

الذي تتخذه هذه الفئات من الاستشراق جملة وتفصيلاً تغضي طرفها عن كثير من الإنجازات الإيجابية فيه وهي لذلك تحرم نفسها دونما سبب من الإفادة مما يمكن - لو مُحّص - أن يكشف عن سمين فيه . فالاستشراق - كما لايستطيع أن ينكر ذلك أي باحث منصف - فيه الغث والسمين ورغم أنه يوجد فيه الكثير من الأساطير والأوهام ، إلا أنه يستند إلى شيء ما ، استطاع أن يحفظ عليه وجوده حتى يومنا هذا . ويكفي أن يشير المرء هنا إلى أن التسهيلات المتاحة للباحث الغربي والتي تتراوح بين المكتبة المستوعبة للكتب والدوريات والنشرات والوثائق والأوراق الخاصة والمخطوطات وبين الحاسب الآلي مروراً بخدمات رجال سلك الأمن وأجهزته المختلفة ومعلوماتهم - المصنفة - والتي تقدم له على أساس المنفعة المتبادلة ، إضافة إلى الأموال الطائلة التي ترصدها المؤسسات الثقافية ومعاهد البحث والدراسة والخدمات ، أو التي توقفها عليه المؤسسات الاقتصادية والتجارية المهتمة بالمنطقة ، ودع عنك بعد ذلك الظروف المعيشية للباحثين أنفسهم والتي لاتكاد تفكر فيها المؤسسات الثقافية أو التعليمية أو التربوية العربية . **إن الثقافة انتاج في مجملها ، وليست إبداعاً مطلقاً ، وما لم يتم توفير وسائل هذا الإنتاج وتنظيم علاقاته ، وتعبئة موارده من أجل دفع الحصيلة النهائية كماً وكيفاً ، فإنه لاسبيل إلى تعليق آمال كبيرة على مستقبلها . ولذلك فإن القائمين على أسباب إنتاج الثقافة العربية ينبغي أن يتنبهوا إلى ضرورة القيام بشيء ما ، من أجل تغيير ظروف هذا الإنتاج ، حتى يكفلوا انتاجاً ثقافياً يمكن أن يعتبر إسهاماً عربياً من ناحية ، وأن ينتمي إلى العصر الذي نعيش فيه من ناحية أخرى .**

أعود فأقول إن حصيلة هذه التسهيلات الخارجية (التي تُمنح للمستشرق) والمتمثلة بما يكتبه المستشرقون لابد وأن تكون على حدّ أدنى من الجدية والرصانة ، وبل والاطراد والاتساق الداخليين[١٩] . ولربما كان من المفيد هنا أن نشير إلى رأي أكثر نقاد الاستشراق فاعلية وأهمية في تماسك هذا التقليد ، وما يتمتع به من قوة داخلية ، يقول إدوارد سعيد :

« ينبغي على المرء ألا يفترض أبداً أن بنية الاستشراق ليست سوى بنية من الأكاذيب أو الأساطير التي ستذهب أدراج الرياح ، إذا كان للحقيقة المتعلقة بها أن تجلى . وأنا نفسي أؤمن بأن الاستشراق أكثر قيمة بشكل خاص كعلامة على القوة الأوربية ـ الأطلسية بإزاء الشرق منه كإنشاء حقيقي عن الشرق (وهو مايدّعي الاستشراق ، في شكله الجامعي أو البحثي ، كونه) . على أي حال ، إن ماعلينا أن نحترمه ونحاول أن ندركه هو القوة المتلاحمة للإنشاء الاستشراقي ، وعلاقاته الوثيقة بالمؤسسات الاجتماعية والسياسية المعززة ، وقدرته المهيبة على البقاء . فأي نظام من الأفكار قادر ، بعد كل حساب ، على أن يبقى دون تغيير كحكمة قابلة للتدريس (في الجامع ، والكتب ، والمؤتمرات والجامعات ، ومعاهد السلك الخارجي) من زمن إرنست رينان في أواخر ١٨٤٠ (١ ت) إلى الوقت الحاضر في الولايات المتحدة ، لابد أن يكون شيئاً أكثر صلابة ومتانة من مجرد مجموعة من الأكاذيب[١٩] »

ويكتب في موضع آخر :

« إن لتاريخ الاستشراق ـ في آن واحد ـ اتساقاً داخلياً ، وجملة من العلاقات ، على درجة عالية من الفصاحة والوضوح ، مع الثقافة المسيطرة المحيطة به[٢٠] » .

وبالطبع فإن **الحديث عن تماسك الاستشراق وقوته الداخلية واتساقه لايعني بحال من الأحوال إنكار وجود أبعاد أيديولوجية وسياسية واقتصادية وثقافية لهذه الحصيلة . فالمعرفة المتعلقة بالمجتمع الإنساني معرفة تاريخية ومحكومة بالضرورة بظروف إنتاجها ، وهي لذلك قائمة على المحاكمة والتفسير . ولا يعني هذا أن الحقائق والمعطيات غير موجودة ، ولكنه يعني أن الحقائق تستحوذ على أهميتها مما يصنع بها في التفسير**[٢١] . إلا أنه من الأهمية بمكان أن يكون العرب المعاصرون على وعي

بوجود هذه الحصيلة الثقافية ويفيدوا منها . وليس ثمة من حاجة إلى أن يؤكد المرء من جديد على أن هذا الموقف السلبي الرافض الذي تتخذه هذه الفئة الثالثة من هذا التقليد يحرمها ـ دونما مسوغ معقول ـ من فرصة الاحتكاك به ، وبالتالي الإفادة منه : هذه الإفادة الموجودة **بالقوة** فيه بالتأكيد .

☆ ☆ ☆

على ضوء ما تقدّم عن واقع العلاقة بين الاستشراق كتقليد ثقافي وبين العرب ، هذه العلاقة المحكومة بالثنائية والتي تمت مناقشتها فيما سبق من سطور ، كيف يمكن لنا نحن العرب ـ الداخليين ـ أن نتعامل مع هذه التقليد ، وما هي الخيارات المتاحة أمامنا ، وكيف السبيل إلى مواجهته مواجهة إيجابية ؟ هذا ما آمل أن أتحدث عنه في القسم الثاني من هذه المقالة .

عبد النبي اصطيف

كلية سانت أنتوني ـ جامعة أكسفورد

كانون الأول / ١٩٨١

هوامش

☆ أنا مدين بكتابة هذه الدراسة للدكتور عدنان درويش (مدير التراث في وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق) . فعلى الرغم من أن نواتها تعود إلى جملة من ملاحظات سجلتها هنا وهناك خلال السنوات الثلاث الماضية (أي إلى الفترة التي تلت ظهور كتاب « الاستشراق » في عام ١٩٧٨) ، إلا أن الحافز على تدوينها في صورتها هذه إنما جاء إثر نقاش مطوّل معه عن وضع الدراسات العربية باللغة الانكليزية ، أثناء زيارتي الأخيرة لدمشق في صيف ١٩٨١ .

(١) أنظر Edward W. Said,

Orientalism, Routledge & Kegan Paul, London, 1980.

(٢) أنظر : ادوارد سعيد ،

الاستشراق : المعرفة ، السلطة ، الإنشاء

نقله إلى العربية كال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ١٩٨١

(٣) أنظر ، ادوارد سعيد ،

الاستشراق : المعرفة ، السلطة ، الإنشاء

ص ٥٦ (ومما تنبغي الإشارة إليه هو أن جميع الإشارات اللاحقة ستكون للترجمة العربية المذكورة أعلاه رغبة في التسهيل على القارئ)

(٤) ادوارد سعيد ، الاستشراق . . . ، ص ٣٨ - ٣٩

(٥) ادوارد سعيد ، نفسه ، ص ٣٩

(٦) Anouar Abdel-Malek,

Orientalism in Crisis , In his Social Dialectics , Vol.I,

Civilization & Social Theory, State University of New York, 1981, P P. 73-96.

(٧) A. L Tibawi,English Speaking Orientalists, London, 1964.

Second Critique Of English-Speaking Orientalists and

Thier Approach to Islam and the Arabs, The Islamic Qurterly,

Vol.XXIII, no.I, 1979.

«On the Orientalists Again» The Muslim World,

Vol. LXX, no.l, January 1980, pp.56-61.

(٨)د. عزيز العظمة ، « افصاح الاستشراق » ، في :

المستقبل العربي (بيروت) ، العدد ٣٢ ، تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨١

ص ص ٤٣ ـ ٦٢ .

وانظر أيضاً كتابه :

A. Al-Azmeh, Ibn Khaldun in Modern Soholarship: A Study in Orientalism, Third World Centre for Researoh and publishing, London, 1981.

(٩) ادوارد سعيد ، الاستشراق . . . ، ص (٣١٩)

(١٠) ادوارد سعيد ، الاستشراق. . . ، ص (٣٢٠)

(١١) M. M. Badawi, Coleridge : Critic of Shakespeare,

Cambridge University press, 1973.

Background to Shakespeare,

Macmillan, London ,1981.

(١٢) Ihab Hassan, Radical Innocence: Studies in the Contemporary American novel, princeton University press, 1961.

The Dismemberment of Orpheus : Towards a postmodern Literature,

Oxford University press, 1971.

Paracriticism: Seven Speculations of the Times,

Urbana, University of Illinois press, 1975.

وغيرها بالفرنسية أيضاً

(١٣) Edward W. Said, Joseph Conrad and the Fiction of Autobiography,

Harvard University press, 1966.

Beginning: Intention and Method,

Johns Hopkins University press, 1978.

Literature and Society,

Johns Hopkins University press, 1980.

Criticism between Culture and System,

Harvard University press, Forthcoming.

إضافة إلى عدد كبير من المقالات .

(١٤) للدكتور عادل سلامة كتاب عن « قصائد شيلي الطويلة » نشر في سلسلة « دراسات سالزبورغ في الأدب الانكليزي » ، لم يكن قريب المتناول عند كتابة هذه المقالة

(١٥) Samar Attar, The Intruder in Moden Drama,

Peter Lang, Frankfurt, West Germany, 1981

(١٦) Albert Hourani,

Europe and the Middle East, Macmillan & St. Antony' s College

Series, 1980, p.180.

(١٧) أنظرمقابلة مجلة دياكريكتيس معه Interview/ Edward Said in:

Diacritics, Fall, 1967, p.47.

(١٨) ادوارد سعيد ، الاستشراق . . . ص (٣٢٠)

(١٩) ادوارد سعيد ، الاستشراق . . . ص (٤١)

(٢٠) ادوارد سعيد ، الاستشراق . . . ص (٥٥)

(٢١) أنظر ، Edward W. Said,

Covering Islam: How the Media and the Experts Determine

How we See the Rest of the World, pantheon Books, new york,

1981, p.154.

الأقرع بن حابِس التَّميْمِيّ

فاتح الجُوْزَجان[1]

اللواء الركن محمود شيت خطاب

نسبه وأيامه الأولى

هو : الأقرع بن حابِس بن عقال بن محمَّد بن سُفْيان بن مُجَاشِع بن دارِم[2] بن حَنْظَلَة بن مالِك بن زَيْد مَناة بن تَمِيْم التَّمِيْمِي[3] المُجاشِعِيّ الدَّارِميّ . وأُمّه : فطيمة بنت حوى بن سفيان بن مجاشع[4] .

واسم الأقرع : فِراس ، ولقِّب : الأقرع بقرع كان برأسه[5] ، وكان أعرج فهو من ذوي العاهات[6] .

---

(١) الجوزجان : اسم للناحية ، وهي كورة واسعة من كور (بَلْخ) بخُرسان تقع بين (مرْو الروذ) و (بَلْخ) ، وفيها عدّة مدن ، منها مدينة (الجوزجان) التي أطلق اسمها على الكورة ، وبين مدينة (بلخ) ، والجوزجان تسعة عشر فرسخاً ، وهي ناحية كثيرة الخصب ، انظر التفاصيل في المسالك والمهالك (١٥٣) ومعجم البلدان (٣ / ١٦٧) وتقويم البلدان (٤٤٤ و٤٤٧) .

(٢) جمهرة أنساب العرب (٢٣٠) وطبقات خليفة بن خياط (١٧٨) .

(٣) الإستيعاب (١ / ١٠٣) وأسد الغابة (١ / ١٠٧) .

(٤) الاصابة (١ / ٥٨) وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٢٤) ، وانظر طبقات خليفة بن خياط(١٧٨) حول أمّه .

(٥) أسد الغابة (١ / ١٠٩) وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٢٤) والمعارف (٥٧٩) والبداية والنهاية (٧ / ١٤١) .

(٦) المعارف (٥٧٩) .

كان شريفاً في الجاهليّة[٧] رئيساً على قومه ، مجوسياً[٨] ، وكان حكَماً في الجاهلية[٩] : يقضي بين الناس ، ويفصل بين المتخاصمين ، ويحكم بالعدل مااستطاع إلى ذلك سبيلا .

وقد مارس الأقرع في جاهليته الغزو لغرض السّلب والنهب ، إذخرج وأخوه في بنى مُجاشِع من تميم وهما يريدان الغارة على بَكر بن وائل ، فلقيهم بِسْطَام بن قَيس الشَّيْبَانِي[١٠] وعِمْران بن مُرَّة[١١] في بنى وائل (بزُبالة)[١٢] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ظفرت فيه بَكْر وانهزَمت تميم ، وأُسر الأقرع وأخوه وهما : الأقرعان ، وناس كثير . وافتدى الأقرعان نفسيهما من بسطام وعاهداه على إرسال الفداء ، فأطلقهما ، فَبعُدا ولم يرسلا شيئا[١٣] .

هكذا كان الأقرع في الجاهلية مثالاً حيّاً لرئيس القبيلة العربي : انحراف في الدين ، وممارسة للغارات ، ومقارعة للأخصام ، ومنازلة للشجعان ، ومصاولة للأقران ، وغدر إذا سمحت الظروف .

وفي غياب العقيدة السليمة ، ذهبت مزايا الأقرع وأمثاله أدراج الرياح ، وطفت على الماء السيئات وبرزت وسادت ، كأنّ المزايا لا وجود لها ، ولا تأثير لها

(٧) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٢٤) والاستيعاب (١ / ٥٨) .

(٨) المعارف (٦٢١) والإصابة (١ / ٥٨) وابن الأثير (١ / ٥٨٧) .

(٩) سيرة ابن هشام (١ / ٨١) والإصابة (١ / ٥٨) والمحبّر (١٨٣) و (١٣٤) .

(١٠) هو بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني ، انظر تفاصيل نسبه في جمهرة انساب العرب (٣٢٦) .

(١١) هو عمران بن مرّة بن الحارث بن مرّة ، كان رئيساً ، انظر تفاصيل نسبه في جمهرة أنساب العرب (٣٢٥) .

(١٢) زبالة : قرية عامرة بطريق مكة من الكوفة بين واقصة والثعلبية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤ / ٣٧٣) .

(١٣) ابن الأثير (١ / ٦٠١) .

في المجتمع الجاهلي إلاّ في حدود ضيّقة للغاية ، فالعقيدة السليمة هي التي تشيع الانسجام الفكري بين الأفراد والجماعات وتؤدي إلى التعاون المثمر والضبط والنظام .

ولكن كما كان الأقرع وأمثاله يعانونه من مثالب الجاهلية ، فقد كان بحق شخصية لامعة في محيطه ومجتمعه ، ولم يكن رجلاً مغموراً بلا غد ، بل سيّداً مطاعا[١٤] ، وأحد الرؤساء[١٥] .

الصحابيّ

خرج رسول الله ﷺ من المدينة على رأس جيش المسلمين يريد فتح مكّة ، فلحقه الأقرع بـ (السُّقْيا)[١٦] ، وسار مع الجيش فشهد فتح مكّة وحُنَيْناً وحصار الطائف، تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام[١٧] .

وانصرف النبيّ ﷺ من الطّائف إلى (الجِعْرانة)[١٨] ، وأتاه هناك وفد هوازن مُسْلِمِيْن راغبين ، فخيّرهم رسول الله ﷺ بين عيالهم وأبنائهم وبين أموالهم ، فاختاروا عيالهم وأبناءهم ، فأمر رسول الله ﷺ أن يَكَلِّموا المسلمين في ذلك . وقال النبيّ ﷺ : « ما كان لي ولبني عبد المطّلب فهو لكم » ، وقال المهاجرون والأنصار : أما ما كان لنا ، فهو لرسول الله ﷺ . وامتنع عُيَيْنة بن حِصن[١٩]

(١٤) البداية والنهاية (٧ / ١٤٢) .

(١٥) البداية والنهاية (٧ / ١٤١) .

(١٦) السُّقيا : قرية جامعة من عمل (الفُرْع) بينهما تسعة عشر ميلاً ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥ / ٩٤) ، وهي قرية على طريق المدينة المنورة ـ مكّة المكرّمة ، وانظر الطبري (٣ /٥٢) حول التحاق الأقرع بالنبيّ ﷺ بالسُّقيا ، وانظر ابن الأثير (٢ / ٢٤٢) أيضاً .

(١٧) الاستيعاب (١ / ١٠٣) وأسد الغابة (١ / ١٠٩) والإصابة (١ / ٥٨) .

(١٨) الجعْرانة : هي ماء بين الطّائف ومكة وهي إلى مكة أقرب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ١٠٩) .

(١٩) انظر سيرته في : أسد الغابة (٤ / ١٦٦ ـ ١٦٧) .

والأقرع عن أن يردّا عليهم ما وقع لهما من الفَيْء ، وساعدهما قومهما ، وامتنع العبَّاس بن مِرْداس السُّلَمِي[٢٠] ، فطمع أن يساعده قومه ، فأبوا وقالوا : بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فردّ على (هوازن) نساءهم وأبناءهم ، وعوّض مَنْ لم تَطِبْ نفسه بترك نصيبه أعواضاً رضوا بها ، وكان عدد سبي (هوازن) ستة آلاف إنسان[٢١] .

لقد كان احجام الأقرع وغيره عن ردّ السبي لهوازن بعد تنازل النبي ﷺ عن حصّته وحصّة ذوي قرباه ورغبته في أن يفعل المسلمون ما فعله ، دليلاً على أنّ نعرة الجاهلية كانت لاتزال هي السائدة على الأقرع وقومه الذين معه ، فلم يكن حينذاك منضبطاً ولا ملتزما .

ومن الأدلة على عدم انضباطه والتزامه حينذاك ، أنّ النبيّ ﷺ قَسَمَ الأموال بين المسلمين ، ثم أعطى نصيبه من الخمس المؤلّفة قلوبهم ومنهم الأقرع مائة بعير[٢٢] ، فتألّف المؤلفة قلوبهم بهذا العطاء ووكل المؤمنين حقاً إلى إيمانهم[٢٣] ، وكان الأقرع يومئذ من المؤلفة قلوبهم[٢٤] ، وهم جماعة من قادة العرب والأعراب ومن رؤسائهم لهم كلمة مسموعة وأثر في أتباعهم ، إذا أسلموا انقاد إليهم أتباعهم ، وإن أحجموا أحجم أتباعهم .

وقد أسلم الأقرع في شهر رمضان من سنة ثمان الهجرية (٦٢٩ م) ، سنة فتح مكّة ، وكان تقسيم الغنائم في شوال سنة ثمان الهجرية ، ويبدو أنّ مضيّ

(٢٠) انظر سيرته في : أسد الغابة (٣ / ١١٢ ـ ١١٤) .

(٢١) جوامع السيرة (٢٤٤ ـ ٢٤٥) وانظر سيرة ابن هشام (٤ / ١٣٥) والطبري (٣ / ٨٧) .

(٢٢) جوامع السيرة (٢٤٦) والبدء والتاريخ (٤ / ٢٣٨) وسيرة ابن هشام (٤ / ١٤٣) وعيون الأثر (٢ / ١٩٤) .

(٢٣) جوامع السيرة (٢٤٨) وسيرة ابن هشام (٤ / ١٤٤) .

(٢٤) الإصابة (١ / ٥٨) وتنظر أسماء المؤلفة قلوبهم في المعارف (٣٤٢) وانظر تاريخ ابن خياط (١ / ٥٣) .

شهرين على إسلام الأقرع وأمثاله لم يؤثر فيهما التأثير المطلوب ، فالتفاصيل في الإسلام بالتقوى وحدها لا بالنسب والحسب والنشب كما كان التفاضل في الجاهليّة .

وبمرور الوقت ، حسن إسلام الأقرع[٢٥] ، كما حسن إسلام المؤلفة قلوبهم من أمثاله .

وفي سنة تسع الهجرية (٦٣٠ م) ، قدم وفد بني تَمِيْم ومعهم الأقرع وعُيَينَة بن حِصْن الفزاري[٢٦] في وفد عظيم ، وكان الأقرع وعُيَيْنَة قد شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكّة وحُنَيْناً وحضرا الطّائف ، فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم . ودخل وفد بني تميم المسجد ، فنادوا رسولَ الله ﷺ من وراء الحُجُرات : أنْ اخرج إلينا يا محّمد ! فاذى ذلك رسول الله ﷺ ، وخرج إليهم[٢٧] .

وفي رواية : أنّ الأقرع هو الذي نادى رسول الله ﷺ من وراء الحُجُرات . وقال أيضاً : « يا محّمد ! إنّ حمدي زَيْن ، وإنّ ذمي شَيْن » ، فقال رسول الله ﷺ : « ذلكم الله سبحانه »[٢٨] .

وخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فقالوا : نحن ناس من تميم ، جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك ! فقال النبي ﷺ : « ما بالشِّعر بُعِثْنا ، ولا بالفخار أُمرنا ، ولكن هاتوا ! »[٢٩] .

وقال الأقرع لشاب من تميم[٣٠] : « قم يا فلان ، فاذكر فضلك وفضل قومك[٣١] »

---

(٢٥) الإصابة (١ / ٥٨) .

(٢٦) انظر تفاصيل أسماء الوفد في : الطبري (٣ / ١١٥) وابن الأثير(k ٢٨٧) وابن خلدون (٢ / ٨٢٤ ـ ٨٢٥) .

(٢٧) الطبري (٣ / ١١٥) وابن الأثير (٢ / ٢٨٧) وسيرة ابن هشام (٤ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤) .

(٢٨) أسد الغابة (١ / ١٠٧) والإصابة (١ / ٥٨) .

(٢٩) أسد الغابة (١ / ١٠٧) .

(٣٠) في الطبري (٣ / ١١٦) : ان اسمه عطارد بن حاجب بن زُراده بن عُدَس التميمي .

(٣١) أسد الغابة (١ / ١٠٧) .

وقام خطيب وفد بني تَميم ، فقال : « الحمد لله الذي له علينا الفَضْل وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً ، ووهبَ لنا أموالاً عظاما نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عَدَداً ، وأيسره عُدَّةً ، فَمَن مثلُنا في الناس ! ألسنا برؤوس الناس وأُلي فضلهم ! فمن يفاخرنا فليعدِّد مثل ما عدّدنا ، وإنّا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعْرَف . أقول هذا لتأتونا بمثلِ قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا » ، ثم جلس[٣٢] .

وقال النبيّ ﷺ لخطيبه ثابت بن قيس الخزرجيّ الأنصاري[٣٣] : « قُم فأجِبهُ » ، فقام ثابت وقال : « الحمد لله الذي السمواتُ والأرضُ خَلْقَهُ ، قضى فيهنّ أمره ، وَوَسِع كُرْسيّه علمه ، ولم يك شيء قط إلاّ من فضله . ثمّ كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً ، أكرمهم نسباً ، وأصْدَقهم حديثاً ، وأفضلهم حَسَباً ، فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خَلْقِه ، فكان خِيرَةَ الله في العالمين . ثمّ دعا الناس إلى الإيمان ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رَحِمِهِ ، أكرم الناس أنساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعالاً . ثمّ كان أوّل الخلق إجابة ـ واستجاب لله حين دعا رسول الله ﷺ ـ نحن ، فنحن أنصار الله وَوُزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فَمَن آمنَ بالله ورسوله منع ماله ودَمَه ، ومَن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتلُه علينا يسيراً . أقول قولي هذا ، واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ، والسّلام عليكم »[٣٤] .

---

(٣٢) نص الخطاب من : الطبري (٣ /١١٦) ، وانظر ماجاء في : أسد الغابة (١ / ١٠٦) ، وبين الخطابين اختلاف يسير .

(٣٣) انظر سيرته في : أسد الغابة (١ / ٢٢٩ ـ ٢٣٠) والإصابة (١ / ٢٠٣) .

(٣٤) نص الخطاب من : الطبري (٣ / ١١٦) ، وانظر ماجاء في : أسد الغابة (١ / ١٠٨) ، وبين الخطابين اختلاف يسير .

وقال بنو تميم : يا محمد ! ائذَنْ لشاعرنا ، فقال : « نعم » ، فقام الزّبْرِقان☆ بن بَدْر[٣٥]

فقال :

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يُعادِلُنا ... منّا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ[٣٦]

وكم قَسَرْنا من الأحياء كلّهمُ ... عند النِّهاب ، وفَضْلُ العزِّ يُتَّبَعُ

ونحن نُطْعِمُ عند القَحْطِ مُطعِمُنا ... من الشِّواء إذا لم يُؤْنَس القَزَعُ[٣٧]

بما تَرَى الناسَ تأتينا سَراتُهمُ ... من كل أرضٍ هُوِيّاً ثم نَصْطَنِعُ[٣٨]

فَنَنْحَرُ الكومَ عَبْطاً في أرومتِنَا ... للنّازلين إذا ما أنزلوا شَبِعوا[٣٩]

فلا ترانا إلى حَيٍّ نُفاخِرُهم ... إلاّ استَقادوا وكادَ الرّأسَ يُقْتَطَعُ

إنّا أبيْنا ولن يأبى لنا أحَدٌ ... إنّا كذلك عند الفخْرِ نَرْتَفِعُ

فمن يُقادِرنا في ذاك يعرفنا ... فيرجعُ القول والأخبار تُسْتَمَعُ

وكان حسّان بن ثابت الأنصارى شاعر النبيّ ﷺ غائباً ، فبعث إليه رسول الله ﷺ . قال حسّان : « فلما جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم ، خرجت إلى رسول الله وأنا أقول :

مَنَعْنا رسولَ اللهِ إذْ حَلَّ وسْطَنا ... على كلِّ باغٍ من مَعَدٍّ وَراغِمِ

مَنَعْناهُ لَمّا حَلَّ بين بُيُوتنا ... بأسيافنا من كلِّ عادٍ وظالِمِ

---

(٣٥) انظر سيرته في : أسد الغابة (٢ / ١٩٤) وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٩٣) ، وفي : أسد الغابة (١ / ١٠٨) الزربرقان قال لرجل منهم : « قم فقل أبياتاً تذكر فيها فضلك وفضل قومك » .

(٣٦) البيع : مواضع الصلوات والعبادات ، واحدها بيعة .

(٣٧) القزع : السحاب الرقيق .

(٣٨) هوياً : سراعاً .

(٣٩) الكوم : جمع كوماء ، وهي العظيمة السنام من الإبل . وعبط : من غير علّة . أرومتنا : أي هذا الكرم متأصل فينا .

ببَيْتِ حَرِيْـــــدٍ عِـــزّه وثَراؤه   بجابِيَـة الجَـوْلان وَسْـطَ الأعـاجِم[٤٠]
هـل المَجْدُ إلاّ السُّؤْدَد العـوْدُ والنَّدى   وجـــاهُ الملـوكِ واحتمالُ العظـــائم

قـال حسّـان : فلما انتهيت إلى رسـول الله ﷺ ، وقـام شـاعر القـوم فقـال ماقال ، عرضتُ في قوله وقلت على نحوٍ مما قال » .

إنّ الـــذّوائب من فِهْرٍ وإخْـــوَتِهمْ   قــد بيَّنُـوا سُنَّــةً للنَّـــاس تُتَّبَـعُ[٤١]
يَرْضى بهـــا كلُّ مَن كانت سَرِيْرَتُـــهُ   تَقْـوَى الإلـــهِ وكلُّ الخير يُصْطَنَـعُ
قــومٌ إذا حــاربـوا ضَرُّوا عــدوَّهمُ   أو حــاولـوا النَّفْـعَ في أشيـاعهم نَفعُـوا
سَجِيَّـــةٌ تلـك منهم غيرُ مُحْـدثَـةٍ   إنّ الخـلائـقَ فـاعلم شَرُّهـا البِـدَعُ
إنْ كان في النّـاس سَبَّـاقون بَعْـدَهُمُ   فكلُّ سَبْـــقٍ لأدنى سَبْقِهِمْ تَبَـــعُ
لايَرْقَـعُ النــاسُ مـــاأوْهَتْ أكُفُّهُمُ   عنـد الـدِّفـاعِ ولا يُوْهُـونَ مـارَقَعُـوا
إنْ سابقوا النـاس يـومـاً فـازَ سَبْقُهُمُ   أو وازنوا أهلَ مَجْدٍ بـالنّـدى مَتَعُوا[٤٢]
أعِفَّـــةٌ ذُكِرَتْ في الـــوحْي عِفّتُهُمْ   لايَطْبَعـــونَ ولا يُرْدِيْهِمُ طَمَـــعُ[٤٣]
لايَبْخَلـــونَ على جَـــارٍ بفَضْلِهِمُ   ولا يَمَسُّهُمُ من مَطْمَـــعٍ طَبَـــعُ[٤٤]
إذا نَصَبْنَـــا لِحَيّ لم نَـــدِبَّ لهم   كما يَـدِبُّ إلى الـوَحْشيَّـةِ الـذَّرَع[٤٥]
نَسْمـو إذا الحربُ نـالَتْنـا مَخَـالِبُهـا   إذا الزَّعـانِفُ من أظفـارِهـا خَشَعـوا[٤٦]
لافخرَ إنْ هُمْ أصـابـوا من عـدوِّهِمُ   وإن أُصيبوا فـلا خُـورٌ ولا هُلُـعُ[٤٧]

---

(٤٠) البيت الخريد : الفريد .

(٤١) الذوائب : السادة ، انظر ديوان حسّان (٢٤٨) .

(٤٢) متعوا : زادوا .

(٤٣) الطبع : الدنس . ولايطبعون : لايدنسون .

(٤٤) الطبع : الدّنس .

(٤٥) نصبنا : أظهرنا العداوة ولم نسرها . والذرع : ولد البقرة الوحشيّة .

(٤٦) الزعانف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : تذللوا .

(٤٧) الخور : الضعفاء . والهلع : جمع هلوع ، وهم الجازعون .

كأنهم في الوغى والموتُ مُكْتَنِعٌ أُسدٌ بِحَلْيَةَ في أرساغِها فَدَعُ[٤٨]
خُذْ منهمُ ماأتوا عَفْواً إذا غضبوا ولا يكن همُّك الأمرَ الذي مَنَعوا[٤٩]
فإنَّ في حربهم - فاتْرُكْ عداوتَهم شَراً يُخاضُ عليه السُّمُّ والسَّلَعُ[٥٠]
أكْرِمْ بقومٍ رسولُ اللهِ شِيْعَتُهم إذا تَفَرَّقَتِ الأهواءُ والشِّيَعُ
أهدى لهم مِدْحَتِي قَلْبٌ يُوازِرُهُ فيما أحَبَّ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ[٥١]
فإنهم أفْضَلُ الأحياءِ كلّهم إن جدَّ بالنّاس جِدُّ القَوْلِ أو شَمَعوا[٥٢]

فلما فرغ حسّان من قوله ، قال الأقرع : « إنّ هذا الرّجل لمؤتى له[٥٣] ! لخطيبُه أخطب من خطيبنا ، ولشاعرُه أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا »[٥٤] .

وفي رواية ، أنّ الأقرع قام فقال : « إني والله يا محمد ! لقد جئت لأمرٍ ما جاء له هؤلاء ! قد قلت شعراً ، فاسمعه » فقال : « هاتِ » ، فقال[٥٥] :

---

(٤٨) مكتنع : دان . وحلية : مأسدة باليمن . والأرساغ : جمع رسغ ، وهو موضع القيد من الرجل . فدع : اعوجاج الى ناحية .

(٤٩) عفواً : من غير مشقّة .

(٥٠) يخاض : يخلط . والسلع : نبات مسموم .

(٥١) صنع : يحسن القول ويجيده .

(٥٢) شمعوا : هزلوا . وأصل الشمع : اللّهو والطرب .

(٥٣) مؤتى له : موفّق .

(٥٤) الطبري (٣ / ١١٧ - ١١٩) ، وانظر ماجاء في سيرة ابن هشام (٤ / ٢٢٢ -٢٢٩) وابن الأثير (٢ / ٢٨٦ - ٢٨٩) أسد الغابة (١ / ١٠٧ - ١٠٨) مع اختلاف في السياق والشعر غير يسير ، وماجاء في المتن نقلاً عن الطبري .

(٥٥) أسد الغابة (١ / ١٠٨) ، وفي سيرة ابن هشام (٤ / ٢٣٠) : أنّ الزبرقان بن بدر هو قائل هذا الشعر .

أَتَيْنَـاكَ كَيا يَعْلَمَ النّـاسُ فضلنـا ... إذا احتفلوا عند احْتِضَـار المواسِمِ[٥٦]
بـأنـا فروع النّـاس في كلِّ مـوطن ... وأن ليس في أرض الحجازِ كَـدارمِ[٥٧]
وأنـا نـذودُ المُعْلَمِيْنَ إذا انتخـوا ... ونضرب رأس الأصيـد المتفـاقمِ[٥٨]
وإنّ لنـا المِرْبـاعَ من كلِّ غـارةٍ ... نُغِيْرُ بِنَجْـدٍ أو بـأرضِ الأعـاجمِ[٥٩]

وقام حسّان بن ثابت فأجابه قائلاً :

هـل المَجْـدُ إلاّ السـؤدد العَـوْدُ والنـدّى ... وجـاهُ الملـوكِ واحتمال العظـائمِ[٦٠]
نَصَرْنـا وآوَيْنَـا النبيَّ محمـداً ... على أنفِ راضٍ من مَعَـدٍّ وراغِمِ
بِحَيٍّ حَرِيْـدٍ أصلُـهُ وثَراؤُه ... بجـابيـةِ الجَـوْلانِ وسـط الأعـاجِمِ[٦١]
نَصَرْنـاهُ لّمـا حَـلَّ وَسْـطَ ديـارِنـا ... بـأسيـافنـا من كلِّ بـاغٍ وظـالِمِ
جَعَلْنـا بَنِيْنَـا دونـه وبنـاتِنـا ... وطِبْنـا لـه نَفْسـاً بِفَيء المغـانِمِ

---

(٥٦) المواسم : جمع موسم ، وهو المكان الذي يجتمع الناس فيه كلّ سنة ، مثل موسم الحج ، وموسم عكاظ .

(٥٧) دارم : من بني تميم .

(٥٨) المعلمين : الذين يعلمون أنفسهم بعلامة يعرفون بها ، ليطلع الناس على بلائهم في الحرب . انتخوا : تكبّروا وأعجبوا بأنفسهم . والأصيد : المتكبّر . والمتفاقم : المتعاظم .

(٥٩) المرباع : ربع الغنيمة .

(٦٠) العود : القديم ، والذي يتكرّر على الزمان . والندى : الكرم والعطاء . والعظائم : جمع عظيمة .

(٦١) حريد : منفرد لايختلط بغيره لعزّته . وجابية الجولان . موضع بالشّام ، وأصل الجابية : الحوض الكبير .

ونحن ضَرَبْنَا الناس حتى تتابعوا على دينه بالمُرْهَفَاتِ الصَّوارِم[٦٢]
ونحن وَلَدْنا من قُرَيشٍ عظيمَها ولدنا نبيَّ الخير من آل هاشِم[٦٣]
بَنِيْ دارمٍ لاتفخروا ، إنّ فخرَكُمْ يعود وَبالاً عند ذكر المكارم
هَبِلْتُمْ علينا تفخرون وأنتمُ لنا خَوَلٌ مابين ظِئْرٍ وخادِم[٦٤]
فإن كنتمُ جئتم لحقنِ دمائِكم وأموالكم أن تُقْسَموا في المقاسِمِ
فلا تجعلوا لله نِدّاً وأسْلِموا ولا تَلْبَسوا زِيّاً كَزِيِّ الأعاجم

فلما فرغ حسّان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع : « إنّ هذا الرّجل لَمُؤتّىً : لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا » فأسلم القوم ، وجوّزهم رسول الله ﷺ ، فأحسنَ جوائزهم ،[٦٥] وكان الأقرع هو الذى بادر بإعلان إسلامه ، فقال : « أشهد ألاّ إله إلاّ الله ، وأنك رسول الله » ، فقال رسول الله ﷺ : « لايضرّك ما كان قبل هذا »[٦٦] .

ولا شكّ في قدوم وفد بنى تميم على النبيّ ﷺ في عام الوفود ، أي في سنة تسع الهجرية كما سبق ذكره ، وقد نزل في هذا الوفد قرآن هو قوله تعالى : (إنّ الذين يُنادونَكَ من وراء الحُجُرات أكثرهم لايعقلون)[٦٧] ، كما أنّ المصادر المعتمدة تجمع على قدومه ، كما تجمع على قدوم الأقرع مع الوفد .

(٦٢) المرهفات الصوارم : السيوف المحددة القاطعة .

(٦٣) ولدنا نبيَّ الخير : ذلك لأن أم عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ كانت من بني النجّار من الأنصار .

(٦٤) هبلتم : فقدتم . والظئر : التي ترضع ولد غيرها وهي تأخذ على ذلك أجراً ، وأصله : الناقة التي تعطف على ولد غيرها . والخادم : يقال للذكر والأنثى .

(٦٥) سيرة ابن هشام (٤ / ٢٣٠ ـ ٢٣٢) ، وانظر أسد الغابة (١ / ١٠٨ ـ ١٠٩) مع اختلاف في عدد أبيات الشعر .

(٦٦) أسد الغابة (١/ ١٠٩) .

(٦٧) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ٤) ، انظر سيرة ابن هشام (١ / ٢٣٣) والاستيعاب (١ / ١٠٣) وأسد الغابة (١ / ١٠٩) والطبرى (٣ / ١٢٠) وابن الأثير (٢ / ٢٩٠) .

ولكن الشك في نصوص القصائد والخطب التي قيلت في أثناء اجتماع النبيّ ﷺ بالوفد ، فهناك اختلاف في كلمات الشّعر والخطب وفي قائليها إذ تنسب قسم من المصادر المعتمدة الشعر إلى الزبرقان تارة وإلى الأقرع تارة وإلى قيس بن عاصم[٦٨] تارة أخرى .

ومن تدقيق ما قيل من الشعر والنثر ، يظهر أثر التنميق الذي يحتاج إلى الروية ولا يستقيم مع الارتجال ، فما قيل أشبه بالأعمال الأدبية المدبّرة لا بحوادث التاريخ التصادفيّة .

ويبدو أثر الأقرع في الوفد ، فهو الذي استحثه على القدوم ، وهو الذي حبّب إليه الإسلام ، وهو الذي بايع النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم قبل أعضاء الوفد ليقتدوا به ويقتفوا أثره ، فنجح في ريادته أعظم النجاح .

لقد كان الأقرع رئيساً من رؤساء قبائل الأعراب ، يحبّ هذا الفخر كما يحبه غيره من الرؤساء .

وكان النبيّ ﷺ يتألّفه بإكرام وفادته وقبول رجائه ، وبالهدايا والمال ، كما يتألّف أمثاله من المؤلفة قلوبهم .

فقد بعث النبيّ ﷺ عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزارى على رأس سرية إلى بنى تميم فيما بين (السقْيا) وأرض بنى تميم ، وذلك في المحرّم من سنة تسع الهجرية (٦٣٠ م) ، فأسر أحد عشر رجلاً وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً ، فجاءه الأقرع مع قسم من رؤساء بنى تميم ، ورجوه أن يطلق سراح الأسرى ، فردّ عليهم رسول الله ﷺ الأسرى والسّبي[٦٩] .

وأرسل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بذُهَيْبة من اليمن ،

(٦٨) انظر سيرته في أسد الغابة (٤ / ٢١٩ - ٢٢٠) .

(٦٩) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢ / ١٦٠ - ١٦١) ومغازي الواقدي (٣ / ٩٧٤ - ٩٧٥) .

فقسمها بين أربعة أحدهم الأقرع(٧٠)، وكانت سرية عليّ بن أبي طالب إلى اليمن سنة عشر الهجرية(٧١) (٦٣١ م) .

والتحق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى ، بعد أن حظي الأقرع برعايته ، ونال شرف صحبته ، والجهاد تحت رايته .

المجاهد

شهد الأقرع تحت لواء الرسول القائد فتح مكّة وغزوة (حُنَيْن) وحصار الطائف ، كما ذكرنا .

وشهد تحت لواء خالد بن الوليد (اليمامة)(٧٢) وهي المعركة التي بين المسلمين من جهة بقيادة خالد بن الوليد وبين المرتدين من بني حَنِيْفَة بقيادة مسيلمة الكذّاب ، وذلك سنة إحدى عشرة الهجرية(٧٣) (٦٣٢) ، كما شهد مع خالد غيرها(٧٤) من حروب الردّة .

وسار مع خالد إلى العراق ، وشهد معه المشاهد كلّها ، وفي فتح (الأنبار)(٧٥) كان وعلى مقدمته الأقرع ، فلما بلغها خالد طوّق المدينة وأنشب القتال ، وكان قليل الصّبر عنه . وأمر خالد رماته أن يصوّبوا على عيون أعدائهم ، فرموا رشقاً واحداً ، ثم تابعوا فأصابوا ألف عين ، فسميت تلك الوقعة : (ذات العيون) ، وأخيراً استسلم الفُرْس فصالحهم خالد(٧٦) .

---

(٧٠) الإصابة (١ / ٥٨) .

(٧١) طبقات ابن سعد (٢ / ١٧٠) ومغازي الواقدي (٣ / ١٠٧٩) .

(٧٢) الإصابة (١ / ٥٩) .

(٧٣) انظر التفاصيل في ابن الأثير (٢ / ٣٦٠ ـ ٣٦٧) .

(٧٤) الإصابة (١ / ٥٩) وابن خلدون (٢ / ٨٧٥) .

(٧٥) الأنبار : مدينة على الفرات غربي بغداد ، بينهما عشرة فراسخ ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ٣٤٠) وهي مدينة الفلوجة .

(٧٦) أنظر التفاصيل في الطبري (٣ / ٣٧٣ ـ ٣٧٦) وابن الأثير (٢ / ٣٩٤ ـ ٣٩٥) وابن خلدون (٢ / ٨٩٤ ـ ٨٩٥) .

وسار خالد إلى (عَيْن التمر)[٧٧] وفيها قوّات فارسيّة وعربية تدافع عنها ، فاكتسحها خالد عَنْوَة[٧٨] .

وكان عِيَاض بن غَنْم الفهريّ القرشي[٧٩] قد سار إلى (دُوْمة الجَنْدَل)[٨٠] ليخضع أهلها المتمردين ، ثم يسير منها شرقاً إلى هدفه في فتح العراق بالتعاون مع خالد بن الوليد[٨١] .

ولكن عِياضاً لم يستطع فتح (دُوْمَة الجَنْدَل) ، فكتب إلى خالد بعد أن عجز عن فتحها يستمده على مَنْ بإزائه من العدو ، وكان خالد قد فرغ حينذاك من فتح (عين التمر) ، فسار سيراً حثيثاً نحو عياض ، فلما وصل (دُوْمَة الجندل) وجد عياضاً قد حاصر أهلها وحاصروه ، وقد أخذوا عليه الطريق وأشجوه وشُجوا به ، فجعل خالد (دُوْمَة الجندل) بين عسكره وعسكر عياض .

وخرج أهلها لقتال المسلمين ، ولكنهم لم يلبثوا أن انهزموا إلى الحصن ، فلما امتلأ بالناس ، أغلق مَن فيه أبوابه دون أصحابهم وتركوهم عرضة للقتل والأسر .

وأطاف خالد بباب (الحصن) ، ثم أمر به فاقتلع . واقتحم المسلمون على مَن فيه وقتلوا المقاتلة كافة إلا أسرى بني كلب الذين أمّنهم بنو تميم وعلى رأسهم الأقرع[٨٢] بعد أن قتل أحد قادة (دومة الجندل)[٨٣] .

(٧٧) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة ، بقربها موضع يقال له (شفاثا) ، التفاصيل في : معجم البلدان (٦ / ٢٥٣) ، ولا تزال آثار الحصن باقية حتى اليوم ، ويسمى : قصر الأخيضر ، وقد اطلق عليه هذا الإسم بعد الإسلام ، بينما كان الحصن قبل الإسلام .

(٧٨) انظر التفاصيل في الطبرى (٣ / ٣٧٦ - ٣٧٧) وابن الأثير (٢ / ٣٩٤ - ٣٩٥) .

(٧٩) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٦٩ - ٤٧٩) .

(٨٠) دومة الجندل : حصن على سبع مراحل من دمشق ، تقع بين دمشق والمدينة المنوّرة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤ / ١٠٦) .

(٨١) ابن الأثير (٢ / ٣٨٤) .

(٨٢) الطبري (٣ / ٣٧٩) .

(٨٣) الطبري (٣ / ٣٧٨) .

وفي روايــة : أنّ الأقرع كان مـع شُرَحْبِيْـل بن حَسَنَـة[٨٤] في (دومـة الجنـدل)[٨٥] ، ولم يكن شُرَحْبِيْل في (دومـة الجنـدل) بعـد حروب الردّة ، بل قصدها عياض بن غنم ، لذلك لاصحة لهذه الرواية .

وعاد خالد على رأس قوّات المسلمين بعد استعادة فتح (دومة الجنـدل) إلى العراق ، وكان معه الأقرع الذي شهد مع خالد معـارك حرب العراق ، وكان ذلك سنة اثنتي عشرة الهجرية (٦٣٣ م) .

وفي سنـة ثلاث عشرة الهجريـة (٦٣٤ م) ، أمر أبو بكر الصـديـق رضي الله عنه خالداً بالمسير إلى الشام من العراق ، وأن يـأخـذ نصف النـاس ويستخلف على النصف الآخر المُثَنّى بن حارثة الشيباني[٨٦] ، ولا يأخذنّ مَنْ فيـه نجـدة إلاّ ويترك عند المُثَنّى مثله . ولكن خالداً استأثر أصحاب النبيّ ﷺ على المثنى ، وترك للمثنى عدادهم من أهل القناعة مَنْ ليس له صحبـة ، ثمّ قسم الجنـد قسمين ، فقـال المثنى : والله لا أُقيم إلاّ على إنفاذ أمر أبي بكر ، وبـالله مـا أرجو النصر إلاّ بـأصحـاب النبيّ ﷺ ، فلما رأى خالد ذلك أرضاه[٨٧] .

وليس لدينا نص صريح يصرّح بأنّ خالـداً أخـذ معـه الأقرع من العراق إلى الشّام ، ولكن هناك دلائل تـدلّ بوضوح على أنّ الأقرع كان مع خـالـد في رحلتـه العسكريـة من العراق إلى الشـام ، فقـد كان الأقرع مـوضـع ثقـة خـالـد ، يـوليـه المقدمات في حروبه كما رأينا في معركة فتح الأنبار ، ويحقن دمـاء بني كلب لرجـاء الأقرع ، ويـوليـه قيـادة المقـدمـة بعـد عـودتـه من (دومـة الجنـدل) إلى العراق ثانية[٨٨] .

---

(٨٤) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح الشّام ومصر (١١٣ - ١١٩) .

(٨٥) ابن خلدون (٢ / ٨٧٥) والإصابة (١ / ٥٩) .

(٨٦) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٧ - ٥٠) .

(٨٧) ابن الأثير (٢ / ٤٠٧) .

(٨٨) الطبري (٢ / ٣٨٠) .

كما أنّ الأقرع صحابيّ جليل يحبّ أن يستأثر به خالد ، وكان الأقرع مع خالد في حروب الردّة وفي معارك العراق ، وقد عرف كلّ واحد منهما مزايا صاحبه وأساليبه القتالية نتيجة لرفقة السّلاح أمداً طويلا .

فمن المتوقع أن يستأثر به خالد ، وأن يُقِر الأقرع هذا الاستئثار طائعاً مختارا .

ولعلّ مما يؤيّد هذا التوقُّع ما ورد في بعض المصادر المعتمدة ، أنّ الأقرع استشهد في معركة (اليرموك)[٨٩] الحاسمة ، تلك المعركة التي فتحت أبواب أرض الشّام على مصراعيها للفاتحين المسلمين ، ومعنى ذلك أنّ الأقرع شهد تلك المعركة ، فأخطأ مَن ذكر استشهاده فيها أوعدّه بين شهدائها ، ولكنه لو لم يشهد تلك المعركة لما جاء ذكره بين أسماء الشهداء .

وعاد أهل العراق الذين شهدوا معركة (اليرموك) في أرض الشام إلى العراق ، فوصلوا في اليوم الثاني من أيام معركة (القادسيّة) المشهورة ، أي يوم (أغْواث) ، فشهدوا هذه المعركة الحاسمة التي كانت بقيادة سعد بن أبي وقاص[٩٠] ، وأبلوا فيها أعظم البلاء[٩١] ، وكان ذلك سنة أربع عشرة الهجرية (٦٣٥ م) .

ولم يرد للأقرع ذكر في (القادسيّة) ، فما كلّ مَن شهدها ورد ذكره .

وسكت المؤرخون عن أخبار الأقرع وبخاصة جهاده ، ولكنّ قوم الأقرع بني تميم كان لهم جهاد مشهود في أرض فارس ، بقيادة الأحنف بن قيس التّميمي[٩٢] وغيره من بني تميم ، فليس من المعقول أن يبقى الأقرع بعيداً عن ميدان الجهاد .

---

(٨٩) الإصابة (١ / ٥٩) ، فقد ورد فيه : « وقرأت بخط الرضى الشاطبيّ : قُتِل الأقرع بن حابس باليرموك في عشرة من بنيه » .

(٩٠) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٤٨ ـ ٢٩٦) .

(٩١) الطبري (٣ / ٥٤٣) وابن الأثير (٢ / ٤٧٣) .

(٩٢) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (٢١٥ ـ ٢٤٦) .

وفجأة برز اسم الأقرع قائداً فاتحاً ، فقد عاد الأحنف بن قيس التّميمي إلى مدينة (مَرْو الرُّوذ) ، بعد أن انتصر على أعدائه انتصاراً ساحقاً ، فلحق قسم من أعدائه بـ (الجُوْزَجان) ، فوجّه إليهم الأحنفُ الأقرعَ على خيل وقال : « يابني تميم ! تحابّوا وتباذلوا تَعْدِلْ أموركم ، وابدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلُّوا يسلم لكم جهادكم »[٩٣] .

وسار الأحنف ، فلقي العدو بالجُوْزَجان ، فكانت بالمسلمين جولة ، ثمّ عادوا وفتحوا الجوزجان عَنْوَة[٩٤] ، فقال كُثَيِّر النهشلِيّ :

سَقَى مُزَن السَّحابِ إذا اسْتَهَلَّتْ
مصارعَ فِتْيَةٍ بالجُوْزَجانِ
إلى القصْرين من رُسْتَاق خُوْطٍ[٩٥]
أقادَهُمُ هناك الأقرعان[٩٦]

وكان فتح الجوزجان سنة إحدى وثلاثين الهجرية[٩٧] (٦٥١ م) ، أو سنة اثنتين وثلاثين الهجرية[٩٨] (٦٥٢ م) .

ويبدو أنّ الجوزجان انتقضت ، فسيّره عبد الله بن عامر[٩٩] على رأس جيش إلى الجوزجان ، فأصيب بالجوزجان هو والجيش[١٠٠] وذلك في زمن عثمان بن عفّان

---

(٩٣) لاتغلوا : لاتخونوا في المغنم وغيره .

(٩٤) ابن الأثير (٣ / ١٢٦) وابن خلدون (٢ / ١٠١٣) والبلاذري (٥٧٣) .

(٩٥) خوط : قرية من قرى بلخ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٤٩٠) .

(٩٦) الطبري (٤ / ٣١٣) .

(٩٧) ورد ذلك في حوادث إحدى وثلاثين الهجرية في ابن الأثير (٣ / ١١٧ - ١٣٠) وانظر البداية والنهاية (٧ / ١٦٠) .

(٩٨) ورد ذلك في حوادث اثنتين وثلاثين الهجرية في الطبري (٤ / ٣٠٤ - ٣١٦) .

(٩٩) انظر سيرته المفصّلة في هذا الكتاب .

(١٠٠) أسد الغابة (١ / ١٠٩ - ١١٠) .

رضي الله عنه[١٠١] . وقد استشهد عثمان سنة خمسٍ وثلاثين الهجرية[١٠٢] (٦٥٥ م) ، ومعنى ذلك أنّ استشهاد الأقرع كان سنة ثلاث وثلاثين الهجرية أو أربع وثلاثين الهجرية أو خمس وثلاثين الهجرية ، فانتهت باستشهاده صفحة من صفحات البطولة العربية الإسلاميّة .

الإنسان

كان الأقرع في الجاهلية رئيس دارم من بني تميم ، وكان من رؤساء بني تميم ومن المقدّمين فيهم ، وبقي على منزلته في الرئاسة والشرف في الإسلام ، فكان شريفاً في الجاهلية والإسلام[١٠٣] .

وكان في الجاهلية مجوسياً ، وكان بنو تميم قضاة موسم الحج وعكاظ ، وقد اجتمع للأقرع قضاء الموسم وعكاظ ، وكان آخر القضاة في الجاهلية ثم أدرك الإسلام[١٠٤] .

وتوليه منصب القضاء في الموسم وفي عكاظ دليل على رئاسته وشرفه ، كما أنّ إعطاءه مائة من الإبل مع المؤلفة قلوبهم[١٠٥] دليل آخر على منزلته العالية في الجاهلية والإسلام .

وقد أسلم وحسن إسلامه[١٠٦] ، ووفد على النبيّ ﷺ مع وفد تميم عام الوفود ، ونال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه الصّلاة والسّلام ، ولم يرتد[١٠٧] بعد أن التحق النبيّ ﷺ بالرفيق الأعلى .

---

(١٠١) الإصابة (١ / ٥٩) .

(١٠٢) الطبري (٤ / ٤١٥) والبداية والنهاية (٧ / ١٩٠) .

(١٠٣) أسد الغابة (١ / ١٠٩) والإصابة (١ / ٥٨) وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٢٤) .

(١٠٤) المحبّر (١٨٢ - ١٨٣) .

(١٠٥) الشعر والشعراء (٢١٨و ٦٣٤) .

(١٠٦) الإصابة (١ / ٥٨) .

(١٠٧) البداية والنهاية (٧ / ١٤٢) .

وكان في زيارة النبيّ ﷺ في يوم من الأيام ، فأبصر النبيّ ﷺ يُقبِّل الحسن(١٠٨) وفي رواية أو الحسين ، فقال الأقرع : « إنّ لي من الولد عشرة ، ما قبَّلْتُ واحداً منهم » ، فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ لا يرحَم لا يُرْحم(١٠٩) » ، وفي رواية أنّ النبيّ ﷺ قال للأقرع : « ما أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك !(١١٠) » .

وقسوته البالغة دليل على بداوته المتطرِّفة ، فهو مثال للأعرابيّ في شدّته وتطرفه اللّتين جعلتا قلبه يجف من الشفقة والحنان .

وحين ارتدّ الناس في أول عهد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، وفد الأقرع إلى أبي بكر الصدّيق ومعه الزِّبْرقان بن بَدْر التَّميميّ وقالا له : « اجعل لنا خراج (البحرين) ونضمن لك ألاّ يرجع من قومنا أحدٌ » ففعل وكتب الكتاب ، وكان الذي يختلف بينهم طَلْحة بن عبيد الله رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأشهدوا شهوداً على ما جاء في الكتاب أحدهم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . وحُمِل الكتاب إلى عمر ليشهد ، فنظر فيه ولم يشهد قائلاً : « لا والله ولا كَرامَة ! » ، ثم مزّق الكتاب ومحاه . وغضب طلحة ، فأتى أبا بكر وقال : « أأنت الأمير أم عمر ؟ ! » ، فقال : « عمر ! غير أنّ الطّاعة لي » ، فسكت طلحة(١١١) .

وقد استقطع عُيَيْنَة بن حِصْن والأقرع أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه أرضاً ، فقال لهما عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : « إنما كان النبيّ ﷺ يتألفكما على الإسلام ، فأما الآن فاجهدا جهدكما(١١٢) » . ذلك لأنّ الإسلام أصبح قوياً وأصبح المسلمون كثيرين ، فلم تبق حاجة لدفع الأموال للمؤلفة قلوبهم .

---

(١٠٨) الحسن بن عليّ بن طالب رضي الله عنه .

(١٠٩) أسد الغابة (١ / ١٠٩) والإصابة (١ / ٥٨) .

(١١٠) البداية والنهاية (٧ / ١٤١) .

(١١١) الطبري (٣ / ٢٧٥) .

(١١٢) الإصابة (١ / ٥٩) .

وكان بليغاً في حديثه ، فقد أخذ عُيَيْنَة بن حِصْن عجوزاً من سبي هوازِن في غزوة (حُنَيْن) وقال حين أخذها : « أرى عجوزاً وأرى لها في الحي نسباً ، وعسى أن يعظُمَ فداؤها » ، فلما ردّ رسول الله ﷺ السبايا لستِّ فرائض[١١٣] ، أبى عُيَيْنَة أن يرد عجوزه ، فقال له زُهير أبو صُرَد[١١٤] : « خُذْها عنك ، فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثَديُها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا درّها بماكد[١١٥] ، ولا زوجها بواجد[١١٦] » ، فردّها عُيَيْنَة بست فرائض حين قال له زهير ما قال . ولقي عُيَيْنَةُ الأقرعَ ، فشكا له ذلك ، فقال الأقرع : « والله إنك ما أخذتها بكراً غريرة[١١٧] ، ولا نَصَفاً وثِيْرة[١١٨] » ، وقد كان شاعراً ، وذكرنا شيئاً من شعره سابقا .

لقد كان الأقرع من خير مسلمي رؤساء وشيوخ وسادة الأعراب ، شجاعاً مقداماً ، شهماً غيوراً ، كريماً سخياً ، يحب هذا الفخر ويهواه ، ويحب هذا المال ويريده ، يدافع عن رجاله ويحرص على حقوقهم ، فلا عجب أن يفخر الشاعر الفرزدق بعمه الأقرع ، فيقول :

وعند رسول الله قام ابن حابسٍ ... بخطّة أسوار إلى المجد حازم
له أطلق الأسرى التي في قيودها ... مُغلّلة أعناقها في الشّكائم[١١٩]

وكانت هُنَيْدَة بنت صَعْصَعَة عمّة الفَرَزدق تقول : « مَن جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعتي ، يَحِلُّ لها أن تَضَعَ خِمَارَها عندهم ، فصِرْمَتي[١٢٠] لها : أبي

(١١٣) الفرائض : جمع فريضة ، والفريضة : المُسِنَّة من الإبل .

(١١٤) انظر سيرته في : أسد الغابة (٢ / ٢٠٨) .

(١١٥) الماكد : الغزير .

(١١٦) واجد : حزين .

(١١٧) غريره : الصغيرة السنّ من النساء .

(١١٨) الطبرى (٣ / ٨٨) ، والوثيرة : السمينة .

(١١٩) الإصابة (١ / ٥٨) .

(١٢٠) الصرمة : القطعة من الإبل مابين العشرين إلى الثلاثين ، وقيل غير ذلك .

صَعْصَعَة ، وأخي غالب ، وخالي الأقرع بن حابس ، وزوجي الزِّبْرِقان بن بَدْر » ، فسميّت : ذاتُ الخِمار(١٢١) .

ولا أحد يعرف متى ولد الأقرع ، فقد ولد في الجاهلية ، وولد أمثاله كثيرون وماتوا دون أن يعرف بسنة قدومهم ولا سنة رحيلهم شيئاً ، فلم يكن لهم في جاهليتهم وزن ولا قيمة ، فلما أسلم منهم من بقي على قيد الحياة ، أصبح لهم بالإسلام وزن وقيمة في مجالات الحياة الجديدة : عسكرية في الفتح والجهاد ، ومدنية في العلم والإدارة ، فعُرف موت الأقرع في ساحات الوغى شهيداً سنة ثلاث وثلاثين أو أربع وثلاثين أو خمس وثلاثين الهجرية .

لقد أكرمه الله بالشهادة ، فنال درجة الشهداء الأبرار ، وبقي اسمه في التاريخ وسيبقى مابقي التاريخ .

ومن حقّ أهل بيته وغير أهل بيته أن يفخروا به رجلا ، لأنه تمسّك بأهداب الشّرف في الجاهلية والإسلام ولم يتهاون بما يتطلّبه الشرف من المتمسّك بأهدابه من تكاليف جسام ، فنال ثناء الناس حياً وميتاً ، ونال ثواب الآخرة باستحقاق .

لقد كان الأقرع رجلاً . . . . . وكفى . .

القائد

لايستطيع المتتبّع لجهاد الأقرع أن يتبيّن سماته القيادية إلاّ في نطاق ضيّق محدود ، لأنّ المؤرخين والذين تطرّقوا إلى نواحٍ معينة من حياته ، لم يسلّطوا الاضواء الكافية على حياته قائداً وإنسانا .

وقد كان الأقرع رئيساً من رؤساء بني تميم ، وهي من القبائل العربيّة الكثيرة ذات التاريخ العريق في المجال العسكري قبل الإسلام وبعده ، وكانت القبائل تقاتل بقيادة رئيسها في الجاهليّة وفي أيام الإسلام ، فلا بدّ من أنّ الأقرع

(١٢١) العقد الفريد (٢ / ١٩٦) .

مارس القيادة العملية في ميادين القتال أيام الجاهلية ، وفي ميادين الجهاد أيام الإسلام ، ولكنّ الذين كتبوا عنه أهملوا تفاصيل المعارك التي خاضها وأثره القياديّ فيها وتأثيره في نتائج القتال ، ولم يذكروا له غير موقعين قياديين : الأول قيادة المقدَّمَة لجيش خالد بن الوليد في فتح (الأنبار) ، والثاني مطاردة فلول القوّات الفارسيّة إلى (الجوزجان) وفتح هذه المنطقة الواسعة الغنيّة ، تلك القوّات التي كبدّها الأحنف بن قيس التميمي خسائر فادحة بالأرواح والمواد ، فتركت ميدان المعركة وانسحبت إلى (الجوزجان) .

وقد يغمز في قناة الأحنف بسبب تولية الأقرع منصباً قيادياً ، لأنّ الأحنف من بني تميم والأقرع من بني تميم أيضاً ، ولكن هذا الغمز لا يصدر إلاّ من أعداء العرب والمسلمين أو من الذين ينقلون إلى العربية ما يكتبه أولئك الأعداء بدون تدقيق ولا تمحيص ، ولا يصدر عن مُنْصِف يعتمد الحق ولا يحيد عنه . أما العسكريون المختصون فلا يقعون في مثل هذا الخطأ ، لأنهم يعلمون علم اليقين أنّ القريب قد يُؤْثر قريبه بالمناصب المدنية المريحة في أيام السلام ، وقد يؤثره بالمناصب العسكرية في أيام السّلام أيضاً ، ولكنه لايؤثره بالمناصب العسكرية في أيام الحرب ، لخطورة هذه المناصب على الذي يتولى القيادة ، لأنه قد يقتل أو يصاب بأذى ، وعلى الذي ولاّه القيادة ، لأنّ إخفاق مَن ولاّه يؤثر في سمعته ومصيره ، وعلى الجيش الذي يقوده ، لأنه يقوده إلى الهزيمة ويكبّده خسائر مادية ومعنوية ، لذلك ليس هناك مسئول يولي منصب القيادة في أيام الحرب مَن لا يستحقه من ذوي قرباه .

فإذا غمز الأحنف في هذا المجال من الأعداء والمغرّر بهم والجهلاء ، فإنّ خالداً لايمكن غمزه ، لأنه من بني مخزوم والأقرع من بني تميم ، ولأن خالداً لايولي غير أصحاب الكفايات العالية والماضي المجيد .

إنّ الأقرع تولىّ القيادة لكفايته العالية ، مافي ذلك أدنى شك ، فليس كلّ

قائد يستطيع العمل بإمرة خالد بن الوليد ، ولا كلّ قائد يقدر على العمل بإمرته ، ولا يولي خالد كلّ مَن هبّ ودب منصباً قيادياً .

ومن المعلوم أنّ واجبات المقدَّمَة هي : الحصول على المعلومات المفصّلة عن العدو ، وحرمان العدو من الحصول على المعلومات المفصّلة عن قواتنا ، وحماية قواتنا في تقدمها وفي معسكرها ، وإدخال الجيش في المعركة بأمان .

وهذه الواجبات المعلومة ، بحاجة إلى قائد ماهر ، يتميز بالذكاء ، والشجاعة والاقدام ، وحضور البديهة ، وبمعرفة مبادئ الحرب ، وبالاندفاع ، وسرعة الحركة ، والقابلية على تحمل أعباء القتال ، وبإتقان الفروسية إتقاناً متفوقاً ، وبتحمل المسئولية كاملة بلا تردّد .

هذا بالإضافة إلى قوّة الشخصية ، والإرادة القوية ، والقابلية على إصدار القرارات السريعة السليمة ، وتبادل الثقة بينه وبين رجاله ، وتبادل المحبة ، والماضي القياديّ النّاصع المجيد .

أما واجبات قوّات المطاردة ، فتحتاج إلى قائد قدير على قلب الانسحاب إلى هزيمة ، وتحطيم قوّة العدو مادياً ومعنوياً لإجباره على الاستسلام والرضوخ إلى شروط المنتصر ، وإلى قائد يتميز بحبّ المغامرة والاندفاع بسرعة فائقة عمقاً ، بالإضافة إلى صفات القائد الأخرى بصورة عامة وإلى قائد المقدَّمة بصورة خاصة .

ونستطيع أن نستنتج أنّ الأقرع كان قائداً قديراً على إصدار القرارات الصّائبة السريعة ، قادراً على وضعها في حيّز التنفيذ ، ذكياً ألمعيّ الذكاء ، شجاعاً مقداماً جسوراً ، حاضر البديهة ، عارفاً بمبادئ الحرب ، مندفعاً سريع الحركة ، مغامراً من غير تهوّر ، يثق برجاله ويثقون به ويحبّهم ويحبّونه ، له قابلية بدنية متميزة ، فارساً لامعاً ، قوي الشخصية ، صلب الإرادة ، له ماض ناصع مجيد .

وهو فوق ذلك يتحمل المسئولية كما يتحمّلها الرجال .

وأخيراً ، توّج الأقرع حياته بالشهادة ، فسقط مضرّجاً بدمائه ، ولم يسقط من يمينه السّيف .

الأقرع في التاريخ

يذكر التاريخ للأقرع أنه كان رئيساً من رؤساء بني تميم البارزين في الجاهليّة والإسلام .

ويذكر له ، أنه كان قاضياً يقضى بين الناس في مواسم الحج وعكاظ في الجاهلية ليس بين تميم حسب ، بل للحجيج جميعاً وللوافدين على عكاظ .

ويذكر له ، أنه كان من أوائل مَن أسلم من رؤساء بني تميم ، فنال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ ﷺ .

ويذكر له ، أنه كان من أبرز المؤلّفة قلوبهم ومن بين الطبقة الأولى منهم ، وكان لأثره الحاسم في بني تميم إقبالهم على الإسلام ودخولهم في دين الله أفواجا .

ويذكر له ، أنه أسلم وحسن إسلامه ، فلم يرتد كما فعل كثير من رؤساء القبائل الأخرى ، وقاتل المرتدين قتالاً لا هوادة فيه .

ويذكر له ، أنه وهب نفسه للجهاد في حروب الردّة وفتح العراق والشّام وفارس وخُراسان ، فشرّق بجهاده وغرّب ، ورفع رايات الإسلام خفاقة عالية شرقاً وغرباً .

ويذكر له ، أنه فتح (الجوزجان) ونشر العربية لغة والإسلام ديناً في أرجائها الواسعة الفسيحة .

ويذكر له ، أنه نال شرف الشهادة ، فضحّى بروحه من أجل عقيدته ، ولم يضح بعقيدته من أجل روحه .

ويذكر له ، أنه كان مثالاً حيّاً لرؤساء قبائل الأعراب في الجاهلية والإسلام بما فيهم من مزايا وهنات .

رضي الله عن الفارس المغوار ، القائد الفاتح ، الشهيد البطل ، الأقرع بن حابِس التّميميّ .

الحصبة من الرازي إلى ابن سينا

بقلم

الدكتور فيصل دبدوب

إن بحثي هذا يحتوي على ماقاله ثلاثة من أعلام الطب العربي عن « الحصبة » وهم : الرازي والمجوسي وابن سينا . وسوف أبدأ بالرازي بناءً على التسلسل التاريخي .

١ ـ الحصبة عند الرازي :

الرازي هو ابو بكر محمد بن زكريا ، ولد في الري ، (وهي مدينة قديمة تقع قرب طهران الحديثة) نحو عام (٢٣٦ هـ = ٨٥٠ م) ولذلك سمي بالرازي وكانت وفاته عام (٣٢٠ هـ = ٩٣٢ م) .

وقد اعتمدت في بحثي عن الحصبة عند الرازي على الجزء السابع عشر من الحاوي (طبعة الدكن بالهند) وعلى كتاب الجدري والحصبة (طبعة الكليةِ السورية الانجيلية في بيروت عام ١٨٧٢ م) .

أ ـ مايحدث في الدم عند الاصابة بالحصبة : تصوّر الرازي أن مايحدث في الدم عند الاصابة بالحصبة هو نفسُ مايحدثُ عند الاصابةِ بالجُدري إذ لم يظهر له فرق بينهما في هذا الخصوص ؛ وتصور مايحدث في الدم عند الاصابة ـ بواحد من هذين المرضين ـ من تغيير ، أشبه مايكون بما يحدث من تحول العصير (عصيرِ الفواكه) إلى خمر وتحول الخمر إلى خل ، أي يحدثُ مايشبه التخمر نتيجة لتعفن الدم . ومعلوم أن بين فعل الجراثيم ، وفعل الخمائر (فيما يحدثانه من تغيير) من التشابه الشيء الكثير . فالرازي بالاستنادِ إلى ماسبق كان له قَصَبُ السبقِ في

التفكير بالعامل المسبب لبعض الأمراض أي المكروب = الجرثوم MICROBE وذلك عن طريق البصيرةِ والفكرِ وليس عن طريقِ البَصرِ والمجهرِ والمختبرِ، إذ كان اختراع المجهرِ بعدهُ بقرون عديدةٍ .

قال الرازي في كتابه الجدري والحصبة (ص ١٤) : « ويكون الجدري عند عفونة الدم وغليانه لتنفشّ عنه فضولُ الابخرةِ وينقلبَ من دم الطفولةِ المُشْبه العصاراتِ الرطبةِ الى دمِ الشباب المُشْبه الشراب النضج . وأما دماءُ المشايخ فتُشْبهُ الشرابَ الذي قد انفَشّتَ عنه قوته وقرب أن يبرد ويصير خلاً » .

ب ـ أعراض الحصبة : قال الرازي في الحاوي (جـ ١٧ / ص ٢ و ص ٣) :

« علاماتُ الحصبةِ أن يغلظَ الصوتُ ، وتحمرَ العينان والوجنتانِ ، ويحدثُ الوجعُ في الحنجرةِ والصدرِ ، ويجف اللسانُ ، وتنفتح الاصداغُ[1] ، ويحمر الجسدُ ، وتدمع العينان ،ويهيج التهوعُ ، فان رأيت هذه فانه ستظهرُ الحصبة ، والحصبة تخرجُ بمرةٍ والجدريُ شيئاً بعد شيء . والحصبةُ الخضراءُ والبنفسجيةُ رديئةٌ ، وخاصةً إذا جاءت بغتةً فانه يُغشى عليه ، ويقتل سريعاً » .

وقال :« من علامات الجدري والحصبةِ ، الحمى الحادة من أولِ الابتداءِ ، مع صداعٍ وحمرةٍ في العين ، وأكثر مايظهر في اليوم الثالثِ من ابتداء الحمى وربما كان من أولِ يومٍ أو من الثاني » . (الحاوي / جـ ١٧ / ص ٥) .

وقال كذلك : « فاذا رأيت الحمى الدائمةَ بكرْبٍ وقَلَقٍ وغمٍ شديدٍ دائمٍ ، فاعلم بأنه أخصُ العلامات بالحصبةِ » (الحاوي / جـ ١٧ / ص ٢٢) .

جـ ـ الانذار :Prognosis قال الرازي : « إذا رأيت الحصبةَ البنفسجيةَ والخضراءَ قد غابت بغتةً الى داخلِ البدنِ فاعلم بانه سيُغشى على المريض فيموت »

---

١ ـ الصدغ : TEMQLE . TEMPORA

(الحاوي / جـ ١٧ / ص ٣٣ » .

وقال : « أفضل العلامات وأدلُّها على السلامة أن يثورَ في الثالثِ أو في وقتِ تكون الحمى قد لانت ؛ وبالضدِ لو ثارت في أول يوم » . وقال كذلك « إذا رأيتَ قد ثار الجدريُ والحصبةُ وقد لانت الحمى ، فانها علاماتُ السلامة ، واذا ثار (الجدريُ والحصبةُ) في عنفوان الحمى فانه مهلك » (الحاوي / جـ ١٧ / ص ٣٤) .

وذكر الرازي في كتابه الجدري والحصبة (ص ٧٢ ـ ص ٧٣) أن أسلم الحصبةِ التي ليست شديدةَ الحمرةِ ، وأما الكمدةُ فرديئةٌ ، وأما الأخضرُ والبنفسجيُ فمهلكان »

وقال كذلك : « ومتى غابا الجدري والحصبة بغتةً بعد أن كانا قد برزا وأحدثا تعباً وكرباً وغشياً ، فانه سيتبع ذلك غشيٌ مهلك بسرعة إلا ان يعود بارزاً »

وقال أيضاً : « إذا كان الجدريُ أو الحصبةُ يظهر مرةً ويُبطئ أُخرى ، ويعرض معهما كَرْبٌ وهذيانٌ فانه مهلكٌ ، كيفما كان لونُه ، وقلما يعرضُ ذلك مع الأبيضِ الذي ينضجُ ويحملُ الماءَ سريعاً » (كتاب الجدري والحصبة ص ٧٣) .

د ـ التشخيص التفريقي DIFFERENTIAL DIAGNOSIS

(١) من حيثُ الإندفاعاتُ : فرّق الرازيُ بين الحصبةِ والجدري فقال : « وجدتُ الفرق بين الجدري والحصبةِ أن الحصبةَ إنما تكونُ حمرةً فقط في سطح الجلدِ ، وليس لها عمقٌ البتة ، أعني نتوءاً وعلواً . والجدريُ يكونُ كما يبدو مستديراً ، وله نتوءٌ ، فأجد التفرسَ في ذلك ، ومتى اشتبهَ عليك فلا تتحكمْ إلا بعد هذه الحالةِ بيومٍ أو بيومينِ ، فانه إن لم يظهر نتوءٌ فليس يجبُ أن تتحكمَ بأنه جدري » (الحاوي / جـ ١٧ / ص ١٤ ـ ص ١٥) .

(٢) من حيثُ العلاماتُ الأخرى : قال الرازيُ : « غير أنه لايكون في الحصبةِ من وجع الظهرِ ما يكونُ مع الجدري ولا في الجدري من الكربِ والغشي ما يكون مع الحصبةِ إلا أن يكونَ جُدرياً رديئاً » كتاب الجدري والحصبة (ص ١٩ ـ ص ٢٠)

وقال : « لاشيٌ أخصُ بالجدري من وجع الظهرِ مع الحمى ، فان رأيتَ ذلك في

الخريف فثقْ بانه سيخرجُ جدريٌّ دون حصبةٍ ، والحصبةُ لايكون معها وجعُ الظهر » (الحاوي / جـ ١٧ / ص ٢٣ ـ ص ٢٤)

وقال ابن زكريا كذلك : « اذا رأيتَ الحمى الدائمةَ بكَرْبٍ وغمٍ شديدٍ دائمٍ فاعلم بأنه أخصُ العلاماتِ بالحصبة » (الحاوي / جـ ١٧ / ص ٢٢) .

هـ ـ العلاج : قال محمد بن زكريا : « تجارب المارستان في الجدري والحصبة : يفصدُ قبل اليوم الرابع وبعده بالجملة قبل أن يثور جُلّه ، فاذا ثار كُلُّه فلا يحتاجُ إلى الفصدِ ، لكنه دَعه لتُبقي على القوةِ ، اللّهم إلا ان تُقَدِّرَ أن المادةَ كثيرةٌ جداً فتفصدَ ليجفَ على الطبيعةِ قليلاً » ، (الحاوي / جـ ١٧ / ص ٣ ـ ص ٤)

وقال أيضاً : « المري متى أُكتحل به يومَ ظهورِ الجُدري والحصبةِ ، قوّى الحدقةَ وحَفِظَها وأزال غِلَظَها » ، (الحاوي / جـ ١٧ / ص ٣ ـ ص ٤) .

التعليق والنقد :

١ ـ إن من الملاحظات الجيدة في التشخيص التفريقي بين الحصبة والجدري قوله : « إن طفحَ الحصبةِ يظهرُ دفعةً واحدةً في حين أن طفحَ الجدري يظهر في مجموعات يتلو بعضُها بعضاً » .

٢ ـ ومن ملاحظاته الجيدةِ كذلك في التشخيص التفريقي قولُه : « لاشيء أخصُ بالجدري من وجعِ الظهرِ مع الحمى ، فان رأيتَ ذلكَ في الخريفِ فثِقْ بأنه سيخرجُ جُدَريٌ دون حصبةٍ ، والحصبةُ لايكونُ معها وجعُ ظهرٍ » .

أقول : لايزالُ وجعُ الظهرِ من العلاماتِ الحاسمةِ في التشخيصِ التفريقي بين الجُدري والحصبة في الطب المعاصر لنا .

٣ ـ ومن ملاحظاتهِ الجيدة التي تتفقُ والطبِ الحديثِ قولُهُ : « إن الحصبةَ الخضراءَ والبنفسجيةَ رديئةٌ وخاصةً إذا جاءت بغتةً ، وإذا غابت بغتةً ، فانها مميتةٌ » .

٤ ـ إن في سردِ الرازي علاماتِ (أعراضِ) الحصبةِ من صدقِ الملاحظةِ والدقةِ العلميةِ الشيء الكثير .

٥ ـ وقد أصاب أبو بكر في تفريقهِ بين طفحِ الجدري وطفح الحصبة بقوله : « الطفحُ ناتئٌ عن الجلدِ في الجُدري كالثآليل وإن منه مايغورُ في الجلد (وهو المعروف الآن بالطفح السري UNBILICATED) أما الحصبةُ فطفحُها ليسَ له نتوءٌ في الجلدِ وقد يصحبها طفحٌ داخلَ الجوفِ يؤدي إلى نزفٍ معوي » (الحاوي / جـ ١٧ / ص ١٤ ـ ص ١٥) .

٦ ـ ان في تشبيه محمد بن زكريا العاملَ المرضَ في الحصبةِ (الجرثوم MICROBE) وما يحدثهُ في دم المصاب من تغيير ، أقول إن تشبيهه إياه بالتخمر الحاصل بالخمائر في تحويلها العصير الى خمرٍ والخمر الى خلٍ قد سبقَ غيره في هذا المجال أي بالتفكير بما نسميه اليوم بالجراثيم . فاستحق علينا اذاً أن نرفعه الى مصافِ الخالدينَ من عباقرة العلوم .

٧ ـ اشار الرازيُ الى علاج الحصبة في أيامها الأُول بالفصد وهو مالانُقره عليه الآن وهذا الرأيُ يتماشى مع ماكان سائداً عند أطباءِ عصرهِ وما قبلَه ، فلم يستطع الخروج من الاراء اليونانية في هذا الخصوص كما خرج على نظرية الاخلاط اليونانية في تصوره لما نسميه اليوم بالجرثوم وما يحدثه في الدم من تغيير عند الاصابة بالحصبة والجدري معاً .

٢ ـ الحصبة عند علي بن عباس المجوسي ـ ويعرف بابن المجوسي كذلك ـ ولد علي بن العباس في الأهواز (الاحواز) واعتنق الاسلام وعاش في حاشية بني بويه زمناً ، وصنف لعضد الدولة البويهي كتابه « كامل الصناعة » المشهور « بالملكي » وهو الذي اعتمدناه في بحثنا هذا عن الحصبةِ ، وقد طبع بمصر عام ١٢٩٤ هـ .

توفي علي بن العباس عام (٣٧٢ هـ = ٩٨٣ م) أما تاريخُ ولادته فمجهولٌ .

أ ـ **أسباب وأعراض الحصبة** : قال علي بن العباس في كامل الصناعة (جـ ١ / ص ٣٠٩ ـ ص ٣١٠) « وفي الجدري نوعٌ يقال له الحصبةُ ، وحدوثهُ عن دم حارٍ رقيقٍ ليس بالقوي الرّداءةِ ، وهذا النوعُ إذا انتهى منتهاه كان شبيهاً بحب الجاورس[٢] أو أكبرَ منه قليلاً ، وكان لونُهُ أحمرَ ، ولا ينفتحُ بل يصيرُ له خشكريشه[٣] » .

ب ـ **علاج الحصبة** : قال المجوسيُ في كتابهِ كامل الصناعةِ (جـ ٢ / ص ٩٣ ـ ص ٩٤) : « ينبغي أولَ ماتظهرُ علاماتُ الجدري والحصبةِ من يوم الى ثلاثة أيامٍ المبادرةُ الى فصدِ صاحبهِ وأن يُخْرجَ له من الدمِ مايُغشى عليه إذا ساعدتِ القوةُ والمزاجُ والسنُ والوقتُ الحاضر من أوقات السنةِ ، وان كان العليل صبياً يحجمُ من الكاهل »
وقال : « الاسهال في آخر الحصبةِ خطرٌ ووصفَ له أقراص الطباشير[٤] الحابسةِ » .

---

٢ ـ الجاورس : ورد في مفردات ابن البيطار (جـ ١ / ص ١٥٦) :قال بعضهم انه صنف من الدخن صغير الحب شديد القبض أغبر اللون وعند جميع الرواة انه الدخن نفسه . قال أبو حنيفة الدينوري الجاورس لفظ فارسي ويقابله في العربية الدخن . أقول ومن مرادفاته أيضاً الشُام ؛ جنس نباتات عشبية زراعية حبية من الفصيلة النجيلية .

الجاورس = PANICUM : MILLET . PANIC .

٣ ـ الخشكريشة : SLOUGH .

٤ ـ الطباشير : ذكره ابن البيطار في مفرداته فقال (جـ ٣ / ص ٩٦) : هو شيء يوجد في جوف القنا الهندي وأجوده أشده بياضاً ، وقال ابن سينا عنه انه فيه قبض ودبغ وقال الرازي إنه جيد للحمىّ الحادة والعطش . والطباشير لفظ فارسي ومعناه مَنْ الخيزران وهو بالانكليزية CHALKوبالفرنسية CRAIE .
ويقول العالم LAUFER إن اللفظ ليس من الفارسية بل الفارسية أخذته من السانسكريتية .

وقال كذلك : « ينبغي أن يُعنى بالعين في الحصبةِ والجدري وأوصى بتقطيرِ ماءِ الوردِ قد نُقع فيه سمّاق[٥] » .

التعليق والنقد :

أ - لم يفرقْ علي بن العباس بين الحصبة والجدري إلا ببعضِ الأعراضِ اذكان يعتقد أن الحصبةَ من أنوعِ الجدري فقد قال في « الملكي » (جـ ١ / ص ٣١٠) « وفي الجدري نوع يقال له الحصبة » . وقوله يتماشى مع ماكان شائعاً بين الاطباء آنذاك وقبلئذ ، اذ كان القدماء يعتقدون ويعدون كلَّ حمى يتبعها طفحٌ جلديٌ مرضاً واحداً على اختلاف هذه الحالات ، على خلاف ماكان قد قاله الرازي من قبله ، فيظهر أنه لم يطلع على ماقاله أبو بكر أو أنه لم يعتقد به .

ب - كان علي بن العباس كالرازي في وصفه الفصدَ لعلاج الحصبة في أيامها الاول ، وهذا كما قلنا لايتفق مع الطب الحديث .

ج - وفي بحثه عن الحصبة الشيءُ الكثيرُ من الايجاز مع إغفال الأعراضِ والتشخيصِ ، وهذا مما يقللُ من قيمةِ بحثه نسبةً للرازي الذي سبقه في الزمن وفي تكامل البحث نسبة لذلك العصر ؛ وقد فاقه ابن سينا من بعده في التنسيق والتبويب والتنظيم كما سنرى في النصوص المختارة من قانونه .

٣ - ابن سينا : هو أبو علي الحسين بن عبد الله بنِ الحسن بن علي بن سينا الملّقب « بالشيخ الرئيس » ؛ ولد بالقرب من بخارى عام (٣٧١ هـ = ٩٨٠ م) وسيرته طويلة ومسطورة في كتب التاريخ وغيرها ، وتوفي عام (٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م) اشتهر ابن سينا في الطب بكتابه « القانون » وقد اعتمدته في بحثي عن الحصبةِ واستقيتَ مادونتهُ من نصوص من الجزء الثالث منه من (ص ٦٨ - ص ٦٩)

---

٥ - السمّاق (RHUS) = SUMMAC : جنس اشجار أو جنبات من الفصيلة البطمية وهذا الذي يستعمل بزره تابلاً وأوراقه للدباغة يسمى = . HIDE SUMAC TANNINC SUMAC

ومن مرادفات اسم السماق تُمْتُم، وعبرب وعَرَبْرَب وعَنْزَب .

(طبعة جديدة بالأفست عن طبعة بولاق / مكتبة المثنى ببغداد) .

أ ـ الاعراض : قال الشيخُ الرئيسُ « إن الحصبةَ كأنها جدريٌ صفراويٌ لافرق بينهما في أكثر الأحوال » .

ب ـ الانذار : قال ابن سينا : « علامات سلامةِ الحصبةِ مثلُ علامةِ سلامةِ الجدري ، فان السريعَ البروزَ والظهورَ والنضجَ سليمٌ ، والصُلبَ والأخضرَ والبنفسجيَ ردئٌ ، وما كان بطيء النضجِ متواتر الغشيِ والكربِ ثقيلٌ ، وماغاب دفعةً فهو رديءٌ » . وقال : « وأما الرئة فربما عرض فيها من بثور الجدري والحصبة ضيق نفس شديد وربما أوقعت في السل اذا تقرحت واما الأمعاء فربما عرض فيها سحج[٦] يعسر تلافيه .

جـ ـ التشخيص التفريقي :

١ ـ الفرقُ بين الحصبةِ والجدري أنّ الحصبةَ صفراوية وأنّها أصغرُ حجماً وكأنها لاتجاوزُ الجلدَ .

٢ ـ والحصبةُ لايكون لها سَمكٌ يُعتدُّ به وخصوصاً في أوائلها . والجدري يكون له في أولِ ظهورهِ نتوءٌ وسَمكٌ وهي (أي الحصبةُ) أقلُ من الجدري .

٣ ـ الحصبةُ أقلُّ تعرضاً للعين من الجُدري .

٤ ـ علامات ظهور الحصبةِ قريبةٌ من علامات ظهور الجدري .

٥ ـ التهوعُ في الحصبةِ والكَرْبُ والاشتعالُ أشدُ مما في الجدري .

٦ ـ وجعُ الظهرِ في الحصبةِ أقلُ مما في الجدري .

٧ ـ يتولدُ الجدريُ من الدمِ الفاسدِ والحصبةُ أشد رداءةً للدم الفاسد .

٨ ـ الحصبةُ تخرجُ دفعةً واحدةً في الأكثرِ والجدريُ شيئاً بعد شيء .

د ـ العلاج : أوصى ابن سينا بالفصد ـ في علاج الحصبة ـ في الأيام الثلاثة الأُول ، وأوصى كذلك بان يُعطى المريضُ ربَّ الاجاصِ[٧] ، والترَ الهندي[٨] لتليين

---

٦ ـ السحج = PARATRIMMA .

٧ ـ الأجاص هو البرقوق وهو في المصطلح العلمي PRUNUS .

الطبيعةِ وبالبطيخ الرقي لادرار البول . ولم يسمحْ بالفصدِ من بعد الأيام الأوْل لظهور الاعراض . وأوصى كذلك باطلاء المحصوب ماءَ الحصرم[٨] وعصيرَ الفواكه الباردة .

هـ ـ وصايا صحية : أوصى ابن سينا بما يلي لحفظ صحةِ بعضِ الأجهزة من العقابيل والآفات الجانبية التي تحدثُ عند الاصابة بالحصبة .

أ ـ أوصى بحفظ صحةِ العين بالكحل بالمري أو ماءِ الكزبرةِ وقد جُعل فيه سماقٌ وكافورٌ وخصوصاً أولَ يوم ،والمري[٩] أيضاً وحدَه ، وكذلك تكحلُ العينَ بكحلٍ مُربّى بماء[١٠] الكزبرةِ وماءِ السُّماقِ مجعول فيه كافورٌ[١١] ، وعصارةُ شحم

٨ ـ الحصرم : جاء في مفردات ابن البيطار : قال ابو حنيفة هو غض العنب مادام أخضر وهو في الكرم بمنزلة البلح في النخل وكان يستعمل هاضماً وقاطعاً للنزف والاسهال (المفردات / جـ ٢ / ص ٢٢ ـ ص ٢٣) .

والتمر الهندي ومن مرادفاته صُبار (TAMARINDUS INDICA) : شجر مثمر اثماره ملينة .

٩ ـ المرّي : في مفردات ابن البيطار (جـ ٤ / ص ١٤٩) يكتحل به في الجدري فيمنع أن يخرج الجدري في العين وان خرج منه شيء أذابه ويعمل من السمكِ المالح واللحوم المالحة . قال الرازي اجود انواعه النبطي .

١٠ ـ الكزبرة : ومن مرادفاتها كسبرة وهما من الآرامية وفي العربية تَقِدة وتَقِدْ وتِقْدَة والثلاثة الاخيرة من المخصص . بقلة حولية من الفصيلة النجمية تضاف أوراقها لبعض المآكل وتستعمل بزورها في الصيدلة .

واسمها العلمي (CORIANDER , CORIANDRUM SATIVUM) .

١١ ـ الكافور : مادة عطرية بيضاء متبلورة تستخرج من شجر الكافور وتستعمل دواء للتشنج والباه والآلام الموضعية .

واسم الكافور في الانكليزية (CAMPHOR) وبالفرنسية (CAMPHRE) وشجر الكافور الذي يستخرج الكافور من ورقه هو (CAMPHOR TREE) أو -CINNA) MUM CAMPHORA)

الرمانِ جيدٌ أيضاً في الأول .

٢ً ـ وأما حفظُ الفمِ والحلقِ فيمثلُ بمصِ الرمانِ ومضغِ حبه في الابتداءِ ومص[١٢] التوتِ الشامي والغرغرةِ بربهِ خصوصاً إذا أخذ يشتكي وجعاً فيهما .

٣ً ـ وأما حفظ صحة الأنف فباستنشاقِ الخلّ .

٤ً ـ وأما الامعاءُ فيعطى بالابتداءِ القوابضَ ، واذا حدث الاستطلاقُ في آخر العلّةِ عولج بأقراص الطباشير[١٣] ورب الريباس[١٤] وأقراصِ بزرِ الحماض .

التعليق والنقد : أُعلق على ماجاء عن الحصبة عند ابن سينا وأنقده فيما يوجب النقد فاقول :

١ً ـ اعتبر ابن سينا الحصبة كأنها جدري صفراوي وهذا ما لانوافقه عليه بالقياس الى الطب الحديث .

٢ً ـ وأوصى بالفصد في الأيام الثلاثة الاول وهذا الرأي يتفق فيه ابن سينا مع المجوسي والرازي ولكنه لايتفق والطب الحديث .

---

١٢ ـ التوت الشامي : (MORUS NIGRA) ويسمى كذلك التوت الاسود :

والتوت : شجر من الفصيلة القراصية والقبيلة التوتية ، تزرع لثمرها يأكله الانسان ، أو لورقها يطعمه دود قزّية التوت . ومن أنواع التوت التوت الأبيض M . ALBA والتوت الأحمر M . RUBRA .

من اسماء التوت التوث بالثاء والفِرصاد .

ومن فوائد التوت الشامي حسب ماجاء في مفردات ابن البيطار (جـ ١ / ص ١٤٣) انه يقمع الصفراء ويطفئ حدة الدم .

١٣ ـ الريباس : ذكر الريباس ابن البيطار في مفرداته (جـ ٢ / ص ١٤٣)فقال إنه يقوي المعدة .

أقول وكلمة ريباس من أصل فارسي . وهو نبات معمر ينبت في جبال الشام وتؤكل ضلوعه وتربب ويصنع من عصيره شراب الريباس (RIBES RHUM) .

١٤ ـ البثرةPOCK .

٣ً ـ أجاد ابن سينا في وصفه تغذيةَ المريض بـالفواكـه البـاردةِ(أعني الفواكـه وعصيرها) وبماء الحصرم واعطاء البطيخ الرقي لادرار البول .

٤ً ـ أشـار ابن سينـا الى احتمال حـدوث السـل في المحصـوب كنتيجـة لظهـور الاندفاعات (البثور) في الداخل ؛ والى حدوث ضيق في النفس شديـد وقـال ربمـا انـدفعت البثـور في الامعـاءِ فسببت السحـج فيهـا الـذي ربمـا لايمكن تـلافيـه ، وفي جميع هذه الملاحظات كانت الجودة والاصابة من نصيب أبي علي .

٥ً ـ اهتم بصحةِ العينِ وهـذا جيـد وكـذلـك بصحـة الفم والأنف والحلق (أي الحنجرة) وفي هذا الاهتمام بهذه العوارض يحمد الشيخ الرئيس .

وبعد : فهذا ماأردت بيانَـه عن الحصبـة في الطب العربي من الرازي الى ابن سينـا مروراً بـالمجـوسي ، ذكرتُـه بـاقتضـاب على مـاأرى ، وربمـا بتـوسـع على رأي بعضهم ، ولابـد لي من المقـارنـة بين أقوال هـؤلاء الاعـلام عن هـذا الـداء ليسـتوفي البحثُ نصيبه من التمحيصِ فأقول :

١ ـ خرج الرازي على نظريةِ الاخلاط في تصوره مايحـدثُ في الـدمِ عنـد الاصـابـة بالجدري والحصبةِوربما كان يعتقدُ انّه مازال ينضوي تحت لواء هذه النظـريـة ، وفي هـذا من صـدقِ البصيرةِ ونفودِ الفكرِ ومطـابقـةِ الحـدسِ للواقـع مـايـدعـونـا للفخرِ والاعتزازِ بالرازي لسبقـه العلمي ، والعبـاقرة في بعض الاحيـان لايـدرون قيمـة مـا يخترعون أومايكتشفون والرازي من هؤلاء .

٢ ـ كان الرازي في بحثه عن الحصبة أغزرَ مادةً وأكثر دقةً من علي بن العبـاس ومن ابن سينا ، معاً . خاصة في التشخيص التفريقي والاسباب والعلاماتِ .

٣ ـ امتاز ابن سينا في بحثه عن الحصبةِ بالتبويب والتنسيقِ والتنظيمِ وليس كذلـك الرازي والمجـوسي وسببُ ذلـكَ أن الرازي كان عـالمـاً سريريـاً فهـو يقـدمُ آراءه ومعلوماته عن هذا المرضِ كما يقدمُ الأستاذُ السريريُّ معلوماتهِ لتلامذتـه أمـامَ سريرِ المريضِ وليسَ كالمحـاضِر أو المؤلفِ ، الـذي قـد نَسَّـق بحثـه وسلسـلَ آراءَه بشكلٍ منطقي ذلك لان الرازي أبرزُ في الطب منه بـالفلسفـة وابن سينـا أبرزُ بـالفلسفـة

والتنسيقِ الفلسفي منه في الطب ، وهذا ماجعلَ كتابةَ القانونَ إنجيلَ الاطباءِ في القرونِ الوسطى ؛ وأما المجوسي فلا يقاس بها في هذا المجال إذ هو ليس بفيلسوف طبيب ولا بطبيب سريري عظيم .

٤ ـ دفع أطباءَ العربِ بالطبِ العالمي الى الأمام والأعلى ، هذا مانلاحظه في هذا البحث ، بخلاف ماقالهُ خصومُ العربِ من أن العرَب كانوا في علومهم يقلدون اليونان وغيرهم ويسيرون على خُطاهم ؛ وهنا تتجلى فوائد المؤتمراتِ التي تقامُ للطب والعلوم عند العربِ ؛ حيث يُنفض فيها الغبارُ عن كنوز الأجدادِ فتعرضُ للباحثينَ حَسْب أصول العِلم الحديثِ فنفخرُ ـ من بينهم ـ بالمبتكرين ، فنضعهم في مكانهم اللائق بهم في صفوف الخالدين من أفذاذ العالم .

الدكتور فيصل دبدوب

العراق . الموصل



(التعريف والنقد)

دليل السماء والنجوم

للدكتور عبد الرحيم بدر

الأستاذ المهندس وجيه السمان

هذا كتاب جديد في الفلك صدر باللغة العربية عام ١٩٨١ ، وما أقل ما ينشر عن الفلك بالعربية في هذه الأيام .

يقع هذا الكتاب في ٢٥٠ صفحة ويتكلم عن القبة السماوية وعن المجرات عامة وعن مجرتنا (مجرة درب التبان) خاصة ويستعرض الشمس والنظام الشمسي بكواكبه وأقماره وكويكباته ومذنباته . ويذكر باختصار آلات الرصد وأقدار النجوم ولمعانها وتصنيفها وكيفية قياس أبعادها (باختصار شديد) ويذكر شيئاً يسيراً عن تصنيفها وعن النجوم الثنائية .

ثم يستعرض النجوم المرئية في السماء بشيء من التفصيل متتبعاً إياها حسب مجموعاتها التي تسمى بالكوكبات (وتسميها العرب بالصور النجمية) كالدب الأكبر والدب الأصغر وذات الكرسي والتنين وقيفاوس والعوّاء والجاثي والقيثارة والدجاجة والفرس الأعظم والمرأة المسلسلة ، الخ . . .

ويمتاز الكتاب بإيراد الأسماء العربية لهذه النجوم وهو أمر أراه ضرورياً لكل كتاب يبحث في الفلك ، فالناس الآن يجهلون أن هذه النجوم جميعاً قد أعطاها العرب أسماء وأن هذه الأسماء ترجمت فيما بعد إلى اللاتينية ثم إلى اللغات الأوربية الحية فحرفت أثناء هذه الترجمات أيما تحريف حتى بعد بعضها عن تسميته الأصلية .

مثال ذلك نجم السهى ، وهو نجم خفيّ ملاصق للعناق من بنات نعش في كوكبة الدب الأكبر كان الناس يمتحنون به أبصارهم ، وهو يسمى باللغات الأوربية Alcor ويقول أمين المعلوف صاحب المعجم الفلكي إن كلمة Alcor هي من خوّار العربية ، فقالوا في وصفه كوكب خوّار أي ضعيف وقد تكون الكلمة من

حَوَر العربية والحور كوكب آخر من بنات نعش الكبرى وهو رأي الأب لامنس .

والأمثلة على التحريف والتصحيف عديدة جداً ، مثال آخر لها هو Alderamin من الـذراع اليمين أي اليمنى . وهنـالـك قرابـة ١٥٠٠ اسم عربي للنجوم نقل أكثرها إلى اللاتينية بتحريف أو بدون تحريف .

ونعود إلى كتـابنـا ، فهو يعطي مع كل صورة نجميـة مصوراً لهـا مـع الأسماء العربية لنجومها . وينتهي الكتاب بمعجم صغير للمصطلحات الفلكية وأسماء النجوم مرتبة على أحرف الهجاء العربية وتـأتي بعـد ذلـك عـدة ملاحق في مواقع الكواكب السيارة في السماء في السنوات الخمس المقبلة وفي ذكر ألمع نجوم السماء وهنـالـك أخيراً جدول تواتر حوادث كسوف الشمس الكلي والحلقي من عـام ١٩٨٠ حتى عـام ٢٠٠٠ ومعلومات احصائية عن الكواكب السيارة .

يضم الكتاب كما نرى معلومات فلكية قيمة تفيد كل من يريـد مراجعـة هـذه الموضوعات التي ندرت الكتابة عنها في اللغة العربية كما قلت ، إلى حـد أن القـارئ العربي يقف عاجزاً عندما يحتاج إلى مراجعة موضوع فلكي حديث .

ولكن الكتاب لايورد كل شيء عن الفلك ، فعنوانه يحدد ماورد فيه ، إذ أنه دليل للنجوم وللكواكب السيارة فقط .

وأما بحوث الفلـك الحـديث ونظريـات نشوء الكون ، والمكتشفـات الفلكيـة الحديثة التي يزداد غنـاهـا كل عـام ، والتي طورت علم الفلـك تطويراً مـدهشـاً في السنـوات الأربعين الأخيرة ، وخـاصـة فرع الفلـك الـذي يسمى فيزيـاء النجـوم Astrophysics وجعلت الفلـك يسبق بتقـدمـه جميـع العلـوم فـلا تجـدهـا في هـذا الكتاب ولانلوم مؤلفـه على ذلـك فهو قـد حـدد موضوع كتـابـه في العنوان ووفـاه حقه .

لقد نشطت بحوث الفلك منـذ أن أقيمت المراصـد الحـديثـة الكبيرة وخـاصـة مرصد جبل بالومار في كاليفورنيا وبدأ يعمل بعد الحرب العـالميـة الثـانيـة ، وبعـد إقامة المراصد الراديوية التي تستقبل الموجات الكهربائية المغنطيسية (بينما تستقبل المراصـد العـاديـة الموجـات الضـوئيـة) وبعـد ولادة عصر الفضـاء وارسـال المراصد

المتنوعة على متن مراكب الفضاء إلى خارج جو الأرض لكي تتجاوز الغلاف الغازي المحيط بالأرض ، وهو يحجب عنا قسماً كبيراً جداً من الاشعاعات الواردة من الشمس والكواكب والنجوم والمجرات ؛ يحجب قسماً من الأشعة الراديوية ومن الأشعة تحت الحمراء ويحجب الأشعة فوق البنفسجية والأشعة السينية وأشعة غاما والأشعة الكونية .

لقد ولد الآن لكل من هذه الأشعة فلك خاص بها فتح لعلم الفلك عامة آفاقاً جديدة واسعة جداً طورت مفاهيمنا عن الكون وهي ماضية في تسهيل الاكتشافات يوماً بعد يوم . ثم إن أجهزة الرصد والتصوير التي ارسلت على متن مركبات الفضاء الجديدة إلى الكواكب السيارة بدءاً بالزهرة والمريخ ثم عطارد ثم الزهرة والمريخ ثانية ثم إلى المشتري وزحل وهي الآن في طريقها إلى أورانوس قد التقطت من هذه الكواكب ومن أقمارها حصاداً غنياً جداً من الصور والمعلومات العلمية بعثت به إلى الأرض حيث تلقته محطات الرصد المتخصصة وحولته إلى صور ملونة ومخططات وجداول علمية بالغة الأهمية .

لم أذكر هذه البحوث الواسعة الغنية بقصد انتقاد الكتاب ولكن طلباً للتأليف فيها باللغة العربية .

غير أنه قد استوقف نظري في مطالعتي الأولى للكتاب بعض ملاحظات أرى من الواجب ذكر أهمها :

في الصفحة ١٩ ، قد تكلم عن الحركة الظاهرية للنجوم في القبة السماوية حول محور الأرض فقال :

« المجموعات هذه تلف حول القطب الشمالي عكس اتجاه عقارب الساعة »

وبالرغم من كثرة استعمال اللف بمعنى الدوران ، وخاصة في هذا المعنى الميكانيكي للحركة الدورانية ، فإني لم أجد للف هذا التفسير في المعاجم . لقد جاء في اللسان : لفّ الشيء يلفه لفاً جمعه . وقد التف ، وجمعٌ لفيفٌ مجتمع ملتف من كل مكان واللفوف الجماعات ، ورجل ألفّ مقرون الحاجبين . وجاء القوم بلفّهم ولَفّتهم

ولفيفهم أي بجماعتهم وأخلاطهم . وجاء لِفُّهم ولَفُّهم ولفيفهم . واللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى . والتف الشيء تجمع وتكاثف . الجوهري : لففت الشيء لفاً ولففته . واللفيف الكثير من الشجر . وجنة لفة ولف . وفي التنزيل : ﴿ وجنات ألفافاً ﴾ أي وبساتين ملتفة . والتفاف النبت كثرته . الجوهري : في قوله تعالى ﴿ الفافاً ﴾ واحدها لِفّ ومنه قولهم كنا لفاً أي مجتمعين في موضع . التف الشجر بالمكان كثر وتضايق وألفَّ الرجل رأسه إذا جعله تحت ثوبه وتلفف فلان في ثوبه وتلفلف به . واللفافة ما يلف على الرجل وغيرها وجمعها اللفائف .

وكذلك شأن المعاجم الأخرى لانجد فيها للف معنى الدوران ، وذلك بالرغم من أن مجمع اللغة العربية في القاهرة قد أجاز كلمة اللف بمعنى الدوران في ترجمة كلمة Spin الانكليزية وتعني الدوران (مجموعة المصطلحات العلمية التي أقرها المجمع - المجلد ١٨ عام ١٩٧٦)

وتكلم المؤلف في الصفحة ٣٢ عن النجم الذي سماه بالغميضاء ، وهو الشعرى الشامية Procyon (وعاد إلى ذكرها في الصفحة ٢٠٩ باسم الغميصاء) وذكر الاسطورة المعروفة عنها لدى كلامه عن الشعرى اليانية Sirius (ص ٢٠٧) . فأكد بأنها الغميضاء لأنها أغمضت عينيها فسميت الشعرى الغميضاء .

وجاء في القاموس المحيط : الغميصاء إحدى الشعريين ومن أحاديثهم ان الشعرى العبور قطعت المجرة فسميت عبوراً وبكت الأخرى على إثرها حتى غَمِصت . ويقال لها الغموص أيضاً .

وجاء في لسان العرب : الشعرى الغموص والغميصاء ويقال الرميصاء من منازل القمر ، وأختها الشعرى العَبور وهي التي خلف الجوزاء . وإنما سميت الغُمَيْصاء بهذا الإسم لصغرها وقلة ضوئها من غَمَصِ العين ، لأن العين إذا رَمِصَت صغرت .

قال ابن دريد : تزعم العرب في أخبارها أن الشعريين أختا سهيل وانها كانت مجتمعة ، فانحدر سُهيلٌ فصار يمانياً وتبعته الشعرى اليانية فعبرت البحر (المجرة)

فسميت عبوراً ، وأقامت الغميصاء مكانها فبكت لفقدهما حتى غمصت عينها ، وهي تصغير الغمصاء . وقيل إن العَبور ترى سهيلاً إذا طلع والغميصاء لاتراه فقد بكت حتى غمصت . . . إلى آخر ماقيل في هذه الاسطورة . فهي إذاً الغميصاء لا الغميضاء ، ولعل ثمة خطأ مطبعياً .

هذا وقد كتب الكتاب بلغة سهلة جداً تجعل مطالعته يسيرة ، ولكنها تكاد تلامس الركاكة أحياناً . ولست أقصد من هذه الملاحظة الانقاص مما فيه من فوائد جمة ومعلومات نفيسة هامة تجعله جديراً بالمطالعة وبالاستفادة منه .

وجيه السمان



الفراسة عند العرب

وكتاب« الفراسة »لفخر الدين الرازي

تأليف الدكتور يوسف مراد

ترجمة الدكتور مراد وهبة - مراجعة الدكتور إبراهيم مدكور

عبد الكريم زهور عدي

في البحث الذي أعده الدكتور يوسف مراد (١٩٠٢ - ١٩٦٦) بعنوان « الدراسات السيكولوجية في مصر المعاصرة ١٨٧٥ - ١٩٦٣ »[١] ، تلبية لطلب من « هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت » لإلقائه في الحلقة الدراسية التي انعقدت في (٩ - ١٣) كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٣ - اختص الرسائل التي قدمها طلبة مصريون في جامعات غربية للحصول على درجة الدكتورا بأكثر من نصف البحث[٢] (٢٤ صفحة من ٤٥) ، أما القسم الأول منه فكان عرضاً لكتب مدرسية ومقالات كل قيمتها أنها تباشير ومقدمات لما تلاها من تدريس لعلم النفس تدريساً حديثاً ومن كتابات سيكولوجية في مستوى علمي مقبول .

من هذه الرسائل رسالتان ليوسف مراد نفسه قدمتا للسربون وطبعتا في باريس سنة ١٩٣٩ ، ثم نوقشتا وحصل يوسف مراد على دكتورا الدولة في الآداب بمرتبة الشرف الأولى في ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٠ : الأولى منهما في علم النفس وعنوانها « بزوغ الذكاء ، دراسة في علم النفس المقارن »[٣] ، والثانية في جانب من التراث العربي يتصل بالدراسات السيكولوجية وهي « الفراسة عند العرب وكتاب الفراسة لفخر الدين الرازي »[٤] ، وقد استقبلت الرسالتان في الأوساط العلمية حينذاك بالتقدير واعتُمدتا فيها[٥] .

ولم يكن يوسف مراد من الذين ينامون على (غار الدكتورا) كدأب الأكثرين من الشباب العربي ، بل ظل حياته يعمل وينشط في ميادين كثيرة ولكنها تتصل جميعاً بعلم النفس : في التدريس والمحاضرة ، وفي الكتابة والتأليف ـ وهنا لابد من ذكر كتاب « مبادئ علم النفس العام » (١٩٤٨) الذي أظن أنني لا أجانب الصواب إذا قلت فيه : إنه ، في حدود اطلاعي ، الكتاب العربي الوحيد في علم النفس العام الذي لم يكن نقلاً أياً كان نوع النقل : ترجمة أو اقتباساً أو تلخيصاً او تلفيقاً ، وأية كانت درجة الأمانة في النقل ، بل كان كتاباً تظهر فيه شخصية المؤلف وأعماله واتجاهه الفلسفي ـ وفي النشاط الفكري الاجتماعي[٦] : تأسيس جماعة علم النفس التكاملي ، إنشاء مجلة علم النفس التي ظلت تصدر ثلاث مرات في السنة من حزيران (يونيو) ١٩٤٥ إلى شباط (فبراير) ١٩٥٣ الخ . . .

والدكتور يوسف مراد ، كما عرفته طوال ثلاث سنوات دراسية (١٩٤٣ ـ ١٩٤٦) ، مزاج من العالم والفيلسوف والفنان : فهو إذ ينطلق من الوقائع لا تقنعه الوقائع حتى تنتظم في نظرية (أو نظرة) فلسفية لكل منها فيها موقع ووظيفة ، وهو فنان في خلقه الرضي وفكره الذي يلتقط الأفكار والمشاعر وهي في حياتها وروحه الطيبة اللطيفة ، ولذلك كان طلابه يفيدون من الاتصال به ومحاورته وتوجيهه الرفيق أكثر مما يفيدون من دروسه التي ربما كان ينقصها شيء من الحزم ، وقد غلب عليه الفنان في السنين الأواخر من حياته فازداد اهتمامه بالفن وسيكولوجية الفن واتخذت دراساته في معظمها هذه الوجهة[٧] ، إلى أن استغرقه الفن في أخريات أيامه وغمرته أمواج الموسيقا .

(١)

الفراسة عند العرب

يقول الدكتور مراد وهبة في مقدمته لترجمة الكتاب : « قبل موته أبدى يوسف مراد رغبة في نشر النص العربي للإمام فخر الدين الرازي مع ترجمة عربية لمقدمته (أي الدراسة التي قدم بها يوسف مراد للكتاب) ، على أن يتولى صاحب المقدمة (أي مراد وهبة) تحقيق هذه الرغبة » . وقد لبى صاحب المقدمة هذه الرغبة وظهر الكتاب بالعربية سنة ١٩٨٢ .

وقد يفسر حرص الدكتور يوسف مراد على إصدار الكتاب بالعربية ـ وكان المتوقع أن يكون حرصه الأكبر على ترجمة « البزوغ » فهو الرسالة الكبرى وفيه أتى بالجديد وبه ثبت أقدامه في علم النفس وبين علماء النفس ـ أنه كتاب من التراث العربي ودراسة لجانب من هذا التراث فأولى له أن يعود إلى وطنه بعد الغربة الغربية التي طال أمدها .

والكتاب مؤلف ، كما هو واضح من عنوانه ، من قسمين : كتاب الفخر الرازي والدراسة التي قدم بها يوسف مراد له . والدراسة تتكون من مقدمة وأربعة فصول :

لاحظ يوسف مراد ، كما جاء في المقدمة ، وجود فجوة في تاريخ علم الفراسة فقرر أن يملأها « بتاريخ المؤلفات العربية في هذا العلم » ، فهبط هذه الأرض المجهولة وليس معه من دليل إلا بروكلمان ، فجاس ، في رحلتين[8] ، خلال مكتبات باريس ولندن وكمبردج وأكسفورد وليدن وبرلين وميونيخ وغوتا الغنية بالمخطوطات (والمطبوعات) العربية يبحث وينقب ، وبعد سنة من البحث والتنقيب استطاع أن يقول : إنه عثر على معظم ما كتبه العرب في هذا الموضوع .

وفي المقدمة أيضاً يقول : إن العرب كان لديهم تراثهم الخاص في الفراسة قبل نقل تراث يونان ، وإن هذا التراث الخاص انضاف إلى تراث يونان فأغناه .

وفي الفصل الأول ، وعنوانه « موضوع علم الفراسة وتطوره » ، يرى أن عليه أن يبدأ بالتميز بين علم الفراسة وطرائق التخمين التي تنسب إليه خطأ ، « فإلى جانب المؤلفات العلمية التي تقتصر على تقرير الصلة بين الخصائص العقلية والأخلاقية وشكل أعضاء الجسم ، صدرت مؤلفات وفيرة لاتقف عند حد تقرير علاقات مستنبطة من ملاحظة الظواهر الطبيعية ، وإنما تتجاوزه إلى التنبؤ بمصير الإنسان استناداً إلى السحنات . . وخطوط الكف الخ . . » . ومن هذه الطريق نفذ التنجيم إلى علم الفراسة ، إذ الإنسان هو الكون الأصغر الذي تنعكس فيه صورة الكون الأكبر وهو محل التقاء تأثيرات النجوم التي تترك عليه آثاراً وسمات وأسارير . . وهذه العروة التي تربط الكونين تتيح من جهة معرفة العالم العلوي ابتداءً من الإنسان والتنبؤ بمصير الإنسان برصد مواقع النجوم وطوالعها وقراناتها . . من جهة أخرى . ولقد سيطر التنجيم على علم الفراسة في العصر الوسيط سيطرة جعلت الباحثين في تطور علم الفراسة ليصبح علم فراسة الدماغ (فرينولوجيا Phrénologie) يصمونه بأنه قد أفسدته تماماً الخرافات وأخطاء التنجيم . ولكن هذا الحكم ينقصه التحديد والدقة ، فعلم الفراسة العربي ظلّ محافظاً على الاتجاه العلمي الطبيعي حتي تاريخ متأخر من العصر الوسيط .

ثم يعرض يوسف مراد لأساس من أسس علم الفراسة وهو المشابهات الملاحظة بين الناس والحيوانات ، ولما كان قد قرّ في الأذهان طباع خاصة لكل نوع نوع من الحيوانات وكل جنس جنس فقد أصبح من السهل الانتقال من التشابه الجسدي إلى التشابه بالطباع .

ثم يمضي فيقول : إن العرب قد ترجموا « كتاب الفراسة » لبوليمون الطرسوسي وكانوا على علم « بكتاب سر الأسرار » المنحول لأرسطو وكتبوا في علم الفراسة كما فعل أبو بكر الرازي ، وانتقلت هذه الكتب إلى العالم اللاتيني فتركت أثراً كبيراً

وكانت أساساً لمؤلفات كثيرة ، ولكن سريعاً ما اختلط علم الفراسة هناك ، ولا سيا في القرن السادس عشر عصر إحياء القبّالة وظهور الطبيب كورنيليوس أهريبا ، بالتنجيم حتى وقع تحت سيطرته تماماً .

ثم ينتقل إلى العصر الحديث ليقول قولاً : إن علمي الجماجم Crâniologie وفراسة الدماغ هما فرعان من الفراسة ، وكذلك أبحاث الأنتروبولوجيا الإجرامية التي انتهت إلى تأسيس مدرسة لومبروزو وفيري والأبحاث النفسية لموريل ومورو دو تور في الانحلال النفسي والعقلي والخلقي .

وينتهي إلى الوقوف وقفة غير معجلة عند مدرستين حديثتين في علم النفس هما : مدرسة الغشطلت (سيكولوجيا الشكل أو الصيغة) والمدرسة السلوكية الحديثة ليبين مدى الاتصال بين مبادئ الفراسة والمبادئ التي تقومان عليها .

ففي مقابل السيكولوجيا الارتباطية التي تعمد إلى تحليل الحوادث النفسية إلى عناصرها ثم تركيب هذه الحوادث بل الحياة النفسية كلها ابتداء من هذه العناصر ، قالت سيكولوجيا الشكل : إن الشكل والبنية ـ وكذلك العلاقة بين الشكل والمضمون وبين العلامة ودلالتها ـ واقعة أولية تفرض نفسها وتُكتشف تلقائياً وتختفي بالتحليل ، وان الشكل لا يرتد إلىأجزائه بل هو أكبر من مجموع أجزائه ويتميز بتفرد لا يدركه التحليل بل يخفيه ولهذا يجب أن يدرك دفعة واحدة . وهكذا تكون هذه المدرسة قد أعادت الاعتبار لما تقول به الفراسة من أن شكل الجسم وأعضائه ، الأسلوب والسير ، الهيأة ، الصوت ، الكتابة من شأنها أن تكشف عن الخلق وتعبر عنه .

وكذلك كانت المدرسة السلوكية الحديثة رداً على سلوكية واطسن التي ترجع السلوك إلى منعكسات ارتبط بعضها ببعض شرطياً . يقول تولمان : « إذا نظرنا إلى السلوك في جملته وفي ديمومته في الزمان ندرك أنه أكبر من مجموع أجزائه الفزيولوجية ومتميز منها . والسلوك من حيث هو كذلك هو ظاهرة بازغة

(مخلوقة خلقاً جديداً) تتميز بخصائص وصفية ومحددة . ولهذا فإن أفعال السلوك ، مهما يكن أمر تقابلها التام مع ظواهر طبيعية وفزيولوجية تتميز ، من حيث هي كل ، بخصائص بازغة معينة ، وما يهم السيكولوجيين في المقام الأول هو هذه الخصائص . . . » .

ويختم يوسف مراد الفصل بأن علم الفراسة كان دائماً على صلة وثيقة بالطب ، وكان متفقاً مع مفاهيم الفزيولوجيا والطب في العصرين القديم والوسيط القائلة بأن الطبيب الحق يجب عليه في المقام الأول أن يتبصر بالهيأة الخاصة بالفرد قبل وصف الدواء . أما الطب الحديث المتأثر بالإنتاج الكبير والاستهلاك بالجملة والتطور المذهل للتكنولوجيا فقد وصل إلى أفكار مضحكة ، كما يقول ثورندايك ، مؤداها أن جميع البشر ينبغي أن يطعموا بلا تمييز ضد التيفوئيد وأن يعالجوا على نمط واحد . . . أو ما هو أكثر شذوذاً أن يكون في مقدور الطبيب أن يتخصص في أمراض الأنف والحنجرة فقط . . . ويخلص ثورندايك إلى القول : « إن قبول نظرية الهيأة يفضي إلى الثقة بعلم الفراسة وإلى تقرير الفرض القائل بأن أي جزء من كلّ في إمكانه أن يعكس بقدر مايسهم به حالة الصحة والتكوين الطبيعي والمعادلة الشخصية لهذا الكل ، وأن كل جزء من أجزاء البدن له علامات تعبر عن الهيأة الفردية » .

وفي الفصل الثاني وعنوانه « تصنيف العلوم والفراسة » يذكر يوسف مراد أربعة تصنيفات :

الأول ـ تصنيف أبي نصر الفارابي (ـ ٣٣٩) وبسطه في كتابه « إحصاء العلوم »[٩] ، ولم يذكر فيه علم الفراسة .

الثاني ـ تصنيف ابن سينا (ـ ٤٢٨) وبسطه في رسالة « في أقسام العلوم العقلية »[١٠] ، وهو أول من أدخل علم الفراسة في تصنيف للعلوم وجعله ضمن الأقسام الفرعية للعلم الطبيعي ، لأن « الحكمة الطبيعية منها ما يقوم مقام الأصل ومنها ما يقوم مقام الفرع . وأقسام ما يقوم مقام الأصل ثمانية . . . وأقسام الحكمة

الطبيعية الفرعية : الطب . . أحكام النجوم . . علم الفراسة والغرض فيه الاستدلال من الخلق على الأخلاق . علم التعبير . . علم الطلسمات . . النيرنجيات . . علم الكيمياء . . »

وقد أورد هذا التصنيف الغزالي (ـ ٥٠٥) في « تهافت الفلاسفة » ، الذي يطرح في بدايته آراء خصومه من الفلاسفة قبل أن يوجه إليها النقد[١١] .

وفي رد ابن رشد (ـ ٥٩٥) على الغزالي « في تهافت التهافت » ينقد هذا التصنيف : يوافق على العلوم الطبيعية الأصلية ، ولكنه يرفض العلوم الفرعية : إما لأنها صناعية عملية كالطب والعلم الطبيعي نظري ، وإما لأنها بتقدمة المعرفة (تنبُّئية) كعلم أحكام النجوم ، ومثله علم الفراسة إلا أنه علم بالأمور الخفية الحاضرة . . وليس هذا الجنس من العلم لا نظرياً ولا عملياً ، وإما لأنها باطلة كعلوم الطلسمات ، أو أنها داخلة في باب التعجب كعلوم الحيل ، أو أنها صناعة مشكوك في وجودها كالكيمياء[١٢] .

الثالث ـ تصنيف محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري الأكفاني (ـ ٧٤٩) في كتابه « إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد » وفيه أحصى ستين علماً ، واتفق مع ابن سينا في أقسام العلم الطبيعي الأصلية الثمانية ، ولكنه جعل الأقسام الفرعية عشرة بدل سبعة وهي : الطب ، البيطرة والبيزرة ، الفراسة ، تفسير الرؤيا ، أحكام النجوم ، السحر ، الطلسمات ، السيميا ، الكيميا ، الفلاحة[١٣] .

الرابع ـ تصنيف أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرىزاده (ـ ٩٦٨) في كتابه « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » ، وفيه أحصى مالا يقل عن ثلثمائة وسبعة علوم . وفي العلم الطبيعي يتفق مع الأكفاني في العلوم الأصلية والعلوم الفرعية ولكنه يضيف إليها ما يدعوه فروع فروع العلم الطبيعي : فللطب مثلاً اثنا عشر فرعاً وللفراسة أحد عشر فرعاً هي علوم الشامات والخيلان ، الأسارير ، الأكتاف ، قيافة الأثر (العيافة) ، قيافة البشر ، الاهتداء بالبراري والقفار ، الريافة ، استنباط المعادن ، نزول الغيث ، العرافة ، الاختلاج[١٤] .

وفي الفصلين الثالث والرابع ذوي العنوان المشترك « الكتب اليونانية والعربية » اتخذ يوسف مراد من قول محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ـ ٧٢٩)[١٥] في مطلع كتابه « السياسة في علم الفراسة » دليلاً في دراسته للكتب الأمهات في علم الفراسة . قال الدمشقي إنه أفاد في تصنيف كتابه من سبعة حكماء هم : بوليمون ، أرسطو ، المنصوري (ويعني مؤلفه أبا بكر الرازي) ، الرازي « الفخر » ، إيلاوس ، الشافعي ، ابن عربي .

إيلاوس ـ وبدأ بإيلاوس فقال : إنه لم يستطع معرفة هويته . وبعد أن لاحظ أن الدمشقي لم يأت في كتابه على ذكره البتة على حين أكثر من ذكر الستة الآخرين وذكر معهم أبقراط ، ولاحظ أن هناك كتاباً آخر بعنوان « أساس الرياسة في علم الفراسة » لمحمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري يشبه شبهاً كبيراً كتاب الدمشقي ويتفق معه في ذكر الأسماء الستة ويحل اسم أبقراط محل اسم إيلاوس ـ قال : « أغلب الظن أن الدمشقي أراد ذكر أبقراط فكتب خطأً إيلاوس » .

أبقراط (٤٦٠ ـ ٣٧٥ ق.م بالتقريب)[١٦] ـ ليس في كتب أبقراط إلا صفحات قليلة في كتابه « الأوبئة »[١٧] تتصل بأحكام جزئية في الفراسة ، ولكنه في الكتاب نفسه ، في الكتابين الثاني والسادس منه ، تحدث عن تأثير التربة والمناخ في مزاج البدن والطبع الخلقي . وكذلك فعل في كتابه « الأهوية والمياه والأمصار »[١٨] . أما التأثير الكبير لأبقراط في علم الفراسة العربي فكان من كتابين منسوبين له :

دلالة الخيلان ـ ليس إلا كتاب واحد في اليونانية يعالج هذا الموضوع وهو لمؤلف من القرن الثالث قبل الميلاد يدعى ميلامبس يتحدث فيه عن الوظائف الطبيعية للجلد . والترجمات العربية للكتاب المنحول لأبقراط تختلف فيما بينها : فما جاء في الكتاب المنسوب للجاحظ (ـ ٢٥٥) « باب العرافة والزجر والفراسة على مذاهب الفرس » أعمق مما جاء في كتاب الدمشقي ـ وتختلف عما جاء في كتاب

ميلامبس . فهو وإن كان مماثلاً لها فإنه أقل تفصيلاً وملاحظاتـه أكثر دقة .
والمؤكد أن التنبؤ بالخيلان وبقع الأظافر والحركات اللاإرادية للأعضاء مستمد من مصادر شرقية وبخاصة هندية قديمة . والتنبؤ بالخيلان لم يكن من الأساليب المنتشرة عند العرب ، فليس له ذكر مثلاً في « مروج المسعودي » أو « مقدمة ابن خلدون » . . . ونجد لصلاح الدين الصفدي (ـ ٧٦٤) كتاباً اسمه « كشف الحال في وصف الخال » وهو « مؤلف من مقدمتين وخاتمة : المقدمة الأولى تدور على ملاحظات لغوية على لفظة خال ، والمقدمة الثانية تعرض لأسباب ظهور الخيلان على الجلد ودلالتها من حيث انتشارها في أجزاء متباينة من الجسم على مذهب علماء الفراسة ، وفي الخاتمة يذكر المؤلف حسب الحروف الأبجدية الأشعار التي تعرض للخيلان » .

وبمناسة ميلامبس يذكر يوسف مراد رسالة أخرى لـه تتناول « علم الاختلاج » ، وهو أسلوب آخر من التنبؤ يعتمد على الحركات اللاإرادية لأعضاء البدن . والتراث العربي أكثر غنى في هذا المجال منه في المجال السابق .

علامات ما قبل لحظة الموت ـ في كتب الفراسة العربية ثلاثة نصوص تتناول هذا الموضوع : الأول في الكتاب المنسوب للجاحظ « باب العرافة . . » ويعطيه فيه عنوان « أسرار الطبيعة » وينسب ترجمته إلى حنين بن إسحاق (ـ ٢٦٠) ، والثاني في كتاب الدمشقي السابق ذكره ، والثالث في مخطوطة محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٢٨٦٨ وفيها يُذكر يحي بن البطريق بصفته المعلّق لا المترجم . وفي الغرب اللاتيني نص باسم « أسرار أبقراط » يختلف اختلافاً ما عن النص العربي فهو أقل حجماً ودقة في تحديد الأيام الباقية من حياة المريض . فما مدى صحة نسبة هذه النصوص إلى أبقراط ؟ هذا ما يصعب الحكم فيه . فلأبقراط كتابات كثيرة في علم العلامات ، يصف في بعضها صفات الوجه في لحظة الموت ، وهو ما يدعوه القدماء « وجه الموت » ويدعوه المحدثون « الوجه الأبقراطي »

ويصف الحركات الفوضوية لليدين حين يكون المرض قاتلاً . والمترجم العربي على كل حال كان حذراً حين قال : إنه جملة حكم مقتبسة من مؤلفات أبقراط .

وقد أحيط النص بأسطورة مذكورة في الكتاب المنسوب للجاحظ خلاصتها : أن أبقراط حين شعر بدنو الأجل أمر بحفر أسراره على قطعة من الرخام توضع في صندوق من العاج ووصى بأن يدفن الصندوق معه ، وحين زار قيصر المدينة التي فيها قبر أبقراط عثر على الصندوق وعُرضت قطعة الرخام عليه فأعطاها لصديقه ميتوديروس لترجمة ما فيها .

بوليمون الطرسوسي[١٩] ـ سفسطائي من القرن الثاني بعد الميلاد . ذكر ابن النديم (ـ ٣٨٠) في فهرسته كتابه في الفراسة ، وعلى ذلك فقد كان مترجماً إلى العربية ومتداولاً في القرن الرابع .

لم يبدأ المؤلف كتابه بمقدمة عامة يعرف فيها علم الفراسة ويبين طرائقه ويعدد مسائله بل بدأ بفصل طويل في فراسة العين عرض فيه لشكل العين وسعتها وحركتها وأمراضها وما تدل عليه أحوالها هذه من خلق وطبع .

وتناول في الفصل الثاني المشابهات بين الناس والحيوانات وكيفية استنباط طبع الإنسان من الحيوان الذي يشبهه .

وعرض في الفصول : ابتداء من الثالث حتى الثلاثين لأعضاء الجسد عضواً عضواً .

ثم خصص لشعوب الأرض خمسة فصول من الواحد والثلاثين حتى نهاية الخامس والثلاثين ، وخص اليونانيين بفصل هو السادس والثلاثون .

وعرض للأعضاء حسب لونها وحسب المجموعة الشعرية في الفصول من السابع والثلاثين حتى نهاية الثامن والأربعين .

ثم الحركات المتنوعة للأعضاء مثل المشي والتنفس والصوت من الفصل التاسع والأربعين حتى نهاية الثاني والخمسين .

ورسم صوراً فراسية لنماذج بشرية : علامات الإنسان القوي الجريء الخجول ، علامات الإنسـان المحب للعلم والفلسفـة الخ . . بـالفصول من الثـالث والخمسين حتى نهاية السادس والخمسين .

وذكر في الفصول الأربعـة الأخيرة عـلامـات إنسـان على شفـا مـوت من غير مرض ظاهر ، وعلامات إنسان مهدد بكوارث وشيكة بعلل داخليـة لايـدري عنهـا شيئاً .

أرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق .م) ـ لم يضع أرسطو بالتـأكيـد أي كتـاب في علم الفراسة ، وإن كان قد عرض نظريـات في الفراسـة كثيرة في كثير من كتبـه لاسيما منها كتبه في التاريخ الطبيعي . ومع ذلك ذاع لـه في العصر الوسيط كتـابـان في الفراسة :

الأول « كتـاب الفراسـة » الـذي لم يشك في صحـة نسبتـه لأرسطو أحـد في الغرب المسيحي . أما في الشرق الإسلامي فلم يعرف مترجمه ولم يـذكره ابن النـديم بين مؤلفـات أرسطو المترجمة ، ثم ذكره تحت عنـوان « الكتب المؤلفـة في الخيـلان والاختلاج والشامات الخ . . » ونعته بأنه منحول[٢] ، ثم لا نعود نسمع بـذكره إلا في « كشف الظنون » .

والثاني « سر الأسرار » وعنوانه الحقيقي « علم السياسة في تدبير الريـاسـة » . وقد عـد في الشرق كما في الغرب اصيل النسبـة لأرسطو ، وإذا كان هنـاك اختلاف بينـه وبين كتب أرسطـو الأخرى فمرد ذلـك إلى أن هـذه الكتب تعبر عن تعـاليم أرسطو العلنية على حين أنه يعبر عن تعاليه السرية . وقد ألفه أرسطو ليعلم تلميذه الإسكنـدر كيف يجب عليـه أن يعرف نفسـه ويعرف الآخرين ليتجنب الانخـداع ولتكون الفراسة له معيناً في اختيار وزرائه وندمائه .

ويقال : إن مترجمه هو يحي بن البطريق (ـ ٢٠٠ بالتقريب) . ويقص ابن البطريـق قصـة طـويلـة عن سبب بحثـه عن الكتـاب وكيف عثر عليـه . أمـا عن

حقيقة « سر الأسرار » فيقول يوسف مراد « يجب البحث عنها في ثنايا الأفكار الفارسية والسريانية المنتشرة في القرن التاسع (الميلادي) »[٢١] .

وجاء في « سر الأسرار » : إن القدرة على التنبؤ موهبة تستند فاعليتها على علاقات النجوم ، والزهد المطهر ضروري لتقويتها ، كما أن الموسيقا بما تولد من الفرح تطهر النفس وتهيئها لكشف الحقائق الخفية بتفسير العلامات الظاهرة ، إذ كلما كان انسجام عناصر النفس كاملاً كانت النفس صافية وكان انعكاس الموضوعات العقلية عليها صافياً .

وعلم الفراسة « علم صحيح ولولا الإطالة لأتيت بالعلة الموجبة » . ثم يورد صاحب « سر الأسرار » دليلاً على صحة علم الفراسة حكاية بوليمون وأبقراط ، وخلاصتها أن تلاميذ أبقراط أعدّوا صورة متقنة لأستاذهم ثم عرضوها على بوليمون فحكم على صاحب الصورة وهو لا يعرفه بأنه « رجل خداع فاسق يحب الزنا » ، وحين ثار عليه التلاميذ قال لهم : « سألتموني عن علمي فأخبرتكم » ، فلما عادوا إلى أبقراط وسألهم فصدقوه القول أكد صحة الحكم وقال : « ولكن لما رأيت هذه الأشياء قبيحة ملكت نفسي عنها وغلب عقلي على شهوتي وأي حكيم لا يغلب عقله على شهوته ليس بحكيم » .

ويؤكد صاحب « سر الأسرار » على خطورة فترة الحمل إذ الرحم للجنين بمنزله القدر للطعام فإذا لم يكن النضج الجواني كافياً فسيكون تكوين الجنين ناقصاً .

ويصف هيأة « أفضل البشر » جسدياً وعقلياً أنها تلك التي ليس فيها زيادة ولا نقصان في الصورة واللون والقامة ، فالاعتدال والتوازن بين ميلين متطرفين هو الكمال .

ثم يستعرض الأعضاء والجوارح ويبين دلالاتها حسب هيآتها .

أبو بكر محمد بن زكريا (٢٥١ ـ ٣١١) ـ خصص الرازي المقالة الثانية من « كتاب الطب المنصوري »[٢٢] لدراسة الأمزجة المتنوعة وعلاماتها .

بدأ فبين وسائل تشخيص الأمزجة : اللون ، الوجه ، الصورة ، استجابة الأعضاء للّمس ، الحركات ، فحص الإفرازات .

ثم استعرض الأمزجة المتنوعة ، وهيأة الأعضاء ، والأخلاط الأربعة وعلاماتها ثم ذكر بعض علامات خاصة يستعان بها بالاضافة إلى العلامات العامة ، منها : شدة الصوت وضعفه ، الرقبة ، الأنف ، العين ، الشعر اللين والخشن ، رائحة البدن ، الأسنان ، الأصابع والأظافر ، صورة اليد والقدم .

ويختم المقالة بعدد من الفصول يصف فيها وصفاً فراسياً نماذج من الشخصيات .

هذا وقد خص بفصل خاص تفسير الأحلام لمعرفة مزاج الشخص ومن ثم المتاعب المرضية التي تؤثر عليه من غير علمه .

كما خص الفحص الطبي للعبيد قبل الشراء بفصل خاص أيضاً . وقد نقل هذا الفصل الدمشقي في كتابه ، وتأثر به كثيرون أمثال ابن بطلان والأكفاني والأمشاطي وغيرهم .

محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤) ـ الإمام الشافعي عند الدمشقي حجة في علم الفراسة ، ويذكره في كتابه أربعاًوستين مرة .

وينقل البيهقي عن الحميدي أنه قال : « قال محمد بن إدريس الشافعي : خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها »[٢٣] . ولكن ابن النديم فيما ذكره من كتب الشافعي لم يذكر له كتاباً في الفراسة[٢٤] ، وكذلك البيهقي . وجاء في كتاب بروكلمان ذكر « كتاب في علم القيافة » منسوب للشافعي توجد مخطوطة منه في مكتبة « المدرسة الإسلامية » في الجامع الكبير في الموصل ، ويشكك بروكلمان بأصالتها[٢٥] .

وعلى كل حال تروى عن الشافعي قصص كثيرة تدل على قوة فراسته ، فقد كان يتعرف للوهلة الأولى على مهنة الشخص أو موطنه الأصلي أو قرابته من شخص آخر ، وربما على ما سيؤول إليه أمره في مقبل الأيام[٢٦] .

ويذكر البيهقي نقلاً عن حرملة بن يحي قال : « سمعت الشافعي رحمه الله يقول : احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر والكوسج وكل من به عاهة في بدنه ، وكل ناقص الخلق فاحذره فإنه صاحب التواء ومعاملته عسرة[٢٧] » .

أبو بكر محمد بن علي بن عربي محيي الدين (ـ ٦٣٨) ـ يعرض ابن عربي رأيه في الفراسة في فصل طويل من موسوعته الصوفية « الفتوحات المكية » ، وفي رسالة « التدبيرات الآلهية » .

وغاية ابن عربي شرح رأيه في الفراسة الصوفية ، ولكن هذه موهبة من الله لا يفوز بها إلا الخاصة ، ولكي تعم الفائدة الخاصة والعامة يتحدث أيضاً في الفراسة الطبيعية ، وهو في هذه الناحية متأثر « بسر الأسرار » ، بل إن رسالة « التدبيرات الإلهية » تضم بين دفتيها هذا الكتاب .

يميز ابن عربي بين نوعين من الفراسة : الفراسة الطبيعية ، والفراسة الصوفية :

فالفراسة عامة هي الحكم على ما خفي من علامات ظاهرة . والعلامات التي يبني عليها المتفرس أحكامه علامات بدنية تعبر عن المزاج ، أما العلامات التي يراها الصوفي فهي علامات روحانية نفسية إلهية ، هي[٢٨] « نور إلهي في عين بصيرة المؤمن يعرف به إذ يكشف له ما وقع من المتفرّس فيه أو ما يقع منه أو ما يؤول إليه أمره . ففراسة المؤمن أعم تعلّقاً من الفراسة الطبيعية . فإن الفراسة غاية ما تعطي من العلوم العلم بالأخلاق المذمومة والمحمودة وما يؤدي إلى العجلة في الأشياء والريث فيها والحركات البدنية كلها . . والفراسة الإلهية تتعلق بعلم ما تعطيه

الفراسة الطبيعية وزيادة ، وهي أنها تعطي معرفة السعيد من الشقي ومعرفة الحركة من الإنسان المرضية عند الله وغير المرضية التي وقعت منه من غير حضور صاحب هذا النور ، فإذا حضر بين يديه بعد انقضاء زمن تلك الحركة ، وقد ترك ذلك العمل في العضو الذي كان منه ذلك العمل علامة لا يعرفها إلا صاحب الفراسة ، فيقول له فيها بحسب ما كانت الحركة من طاعة أو معصية . . »[٢٩] .

ثم يقول يوسف مراد : « إن العرض المتسق لوجهة نظره (ابن عربي) يستلزم أن يكون في الإطار الشامل لنظريته الفلسفية ، وهي مسألة تجرفنا بعيداً عن موضوع بحثنا » .

ويختم دراسته بقوله : « وثمة عروض موجزة عن الفراسة في مؤلفات متنوعة » . ويسرد سرداً أسماء عدد من الكتب مثل : « مروج المسعودي » و « مستطرف الأبشيهي » و « أذكياء ابن الجوزي » و « الطرق الحكمية لابن القيم» الخ . .

ـ للبحث صلة ـ

المراجع والتعليقات

(١) يوسف مراد والمذهب التكاملي ، إعداد وتقديم مراد وهبة ، ص ٤٨٣ ـ ٥٢٨ ـ مصر ١٩٧٤ .

هذا البحث كما هو في الكتاب ناقص ، وأظن أنه لم يُتل في الحلقة الدراسية ، وأن مرض يوسف مراد هو الذي حال دون إتمامه . وفيه على كل حال إشارات إلى موضوعات قال إنه سيعرض لها بعد ولم يعرض لها ، كما قد جاء في نهايته : « ونود الآن استكمالاً لعرض الاتجاهات المختلفة الإشارة إلى أهم رسائل الدكتورا التي قدمت للجامعات الأميركية . . كما أننا سنستوفي الحديث عن بقية رسائل الدكتورا التي قدمت للجامعات الانكليزية وذلك عند حديثنا عن الإنتاج العلمي في العشرين السنة الأخيرة في مختلف ميادين علم النفس » .

وهذا البحث ، فيما حرر منه وما لم يحرر ، يبرز لنا ظاهرة لا نلقاها في ميدان علم النفس وحده ولكن في كل الميادين الفكرية الأخرى ، وهي أن خير أعمال الباحثين العرب وأكثرها أصالة وجدية هي رسائلهم الجامعية لا سيما منها المقدمة إلى الجامعات الغربية . وإذا كان لهذه الظاهرة من مغزى فهو أننا لا تنقصنا القدرات العقلية ولكن النقص فينا ، أفراداً ومجتمعات ، في الطاقة الروحية والخلقية .

(٢) وهذه هي الأسماء والرسائل التي ذكرها يوسف مراد في بحثه :

محمد مظهر سعيد ـ الطبيعة النوعية لذاكرة الألوان والأشكال ـ سنة ١٩٢٩ .

عبد العزيز القوصي ـ بحث في العوامل باستخدام اختبارات تتضمن الإدراك البصري للمكان ـ لندن ١٩٣٥ ـ هذا ويرتبط اسم القوصي بالعامل المكاني K الذي اكتشفه سنة ١٩٣٤ .

محمد خليفة بركات ـ تحليل القدرات الرياضية عند تلاميذ المدارس الثانوية ـ لندن ١٩٥١ .

مختار حمزة ـ التأخر الدراسي في الرياضة في المدارس الثانوية ـ جامعة ليدز ١٩٥١ .

محمد عبد السلام أحمد ـ حول مشكلة القدرة على التصور المجسم ـ أمريكا١٩٥١ .

محمد خير مرسي ـ مسؤوليات العمليات العقلية والمعرفية ـ لندن ١٩٥١ .

رمزية الغريب ـ التحليل العاملي للقدرة العملية وعلاقتها بالاستعداد العقلي العام والسمات المزاجية والتحصيل الدراسي ـ أدنبرة ١٩٤٩ .

عزة راجح ـ المهارة اليدوية في مجال التوجيه المهني ـ باريس ١٩٣٨ .

مصطفى زيور ـ الأفازيا والعسر الدماغي ـ ليون ١٩٤١ .

صلاح مخيمر ـ التكيف الانفعالي لعميان الحرب ـ السربون ١٩٥٧ .

ـ المشكلات الجنسية لأعمى الحرب .

سامي محمود علي ـ الإسقاط والطرق الإسقاطية ـ السربون ١٩٥٧ .

ـ عرض نقدي للدراسات التي بدأها برونر وبوستمان في العلاقة بين الإدراك والدوافع .

سيد غنيم ـ الخداع البصري الهندسي من الطفل إلى الراشد ـ جنيف ١٩٥٩ .

يوسف مراد والمذهب التكاملي ، ص ٥٠٤ ـ ٥٢٨ .

(٣) L'Eveil de l'intelligence, etude de psychologie comparée, 2e éd.Paris,1955

(٤) La Physiognomonie arabe et le Kitab al-Firasa de Fakhr al-Din al-Razi, Paris, 1939.

(٥) ففيما يتصل بكتاب « بزوغ الذكاء » فقد استشهد ببعض ما جاء فيه الأستاذ هنري بيرون في « فصل سيكولوجية الحيوان » في موسوعة علم النفس . وجان فييو في كتابه عن سيكولوجية الحيوانات يشير الى التمييز الذي أقامه يوسف مراد بين السلوك المكتسب والذكي ، أي العلاقة بين التعلّم والذكاء وهو موضوع الفصل الرابع من « بزوغ الذكاء » كما أنه في حديثه عن تعلم الفأر اجتياز المتاهة يرجع القارئ الى الفصل السادس ، وفي خاتمة كتابه يذكر نصاً مقتبساً من « البزوغ » في التمييز بين ذكاء الحيوان والإنسان . وكذلك استشهد ببعض ما فيه العالم الهولندي بويتنديك . وعدل بورجاد رأيه في طبيعة الذكاء في الطبعة الثانية من كتابه « ذكاء الطفل وتفكيره » يوسف مراد والمذهب التكاملي ص ٥٢٣ . و ٥٢٤ .

وأما كتاب « الفراسة » فقد تلقى مؤلفه من جورج سارتون مؤرخ العلم المشهور خطاباً يثني فيه عليه . وورد ذكره في مجلة إيزيس لتاريخ العلم والفلسفة ١٩٤١ . وكذلك في الجزء

الثالث من كتاب جورج سارتون « مدخل الى تاريخ العلم » ـ يوسف مراد والمذهب التكاملي ، ص ٥٢٣ و ٥٢٤ .

(٦) في أوجه نشاط الدكتور يوسف مراد أنظر المرجع نفسه ، ص ١٥ ـ ٢٠ .

(٧) كلف الدكتور يوسف مراد بإلقاء محاضرات بالفرنسية على طلبة قسم اللغة الفرنسية حول الموضوعات الآتية :

ابتداء من الفصل الثاني للسنة الدراسية ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ حتى نهاية السنة ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ ، الحضارة الفرنسية ، تاريخ الفنون التشكيليه في فرنسا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

ابتداء من السنة الدراسية ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ، النقد الأدبي .

وفي السنة الدراسية ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ لطلبة الماجستير ، سيكولوجية الإبداع الفني في الشعر كما يراها الشعراء أنفسهم .

وفي السنة الدراسية ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ألقى عشر محاضرات في سيكولوجية الفن على أعضاء مرسم الفنون الجميلة بكلية الفنون الجميلة .

وألقى محاضرات عامة في علم النفس والأدب والفنون الجميلة في متحف الفن الحديث وندوة الكتاب ومشغل (آتيليه) الإسكندرية والقاعة الشرقية بالجامعة الاميركية .

ذلك إلى أحاديث في البرنامج الثاني في الإذاعة في علم النفس وفي الفنون التشكيلية الحديثة .

وأخيراً اختارته وزارة الثقافة للإشراف على الدراسات العليا المسائية في التذوق الفني ـ المرجع نفسه ،ص ١٧ و ١٨ .

وللاطلاع على بعض كتاباته حول الفن ، المرجع نفسه ، ص ٢٦٧ ـ ٣٣٠ .

(٨) قد تكون هاتان الرحلتان وما اطلع عليه فيهما من مخطوطات عربية هي التي شجعته على التفكير في أن يكون كتاب « الفراسة » أول كتاب يصدر في « سلسلة المؤلفات العربية في الطب النفسي » ، فكان الكتاب الأول والأخير . . وانقشع المشروع عما تنقشع عنه معظم أحلام الشباب .

(٩) كتاب « إحصاء العلوم » نشره عثمان أمين ، القاهرة ١٩٣١ .

(١٠) « تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات » وهذه الرسائل التسع هي :

١ ـ في الطبيعيات ٢ ـ في الأجرام العلوية ٣ ـ في القوى الإنسانية وإدراكاتها ٤ ـ في الحدود . ٥ ـ في أقسام العلوم العقلية (ص ٦٧ ـ ٧٧) ٦ ـ في إثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم . ٧ ـ النيروزية في معاني الحروف ٨ ـ في العهد ٩ ـ في علم الأخلاق ـ طبعة بمبئي (بومباي) ١٣١٨ ـ وقد طبعت في القسطنطينية ١٢٩٨ .

(١١) ما عند الغزالي في الواقع :

في مقاصد الفلاسفة : تصنيف ابن سينا وقد غُيِّر الترتيب فيه وأنقصت بعض العلوم منه (علم الفراسة مثلاً لم يذكر) ـ مقاصد الفلاسفة ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، ط ٢ ، ص ١٣٤ ـ ١٤٠ ، دار المعارف مصر .

في تهافت الفلاسفة : أقسام العلوم الطبيعية الواردة عند ابن سينا الأصلية والفرعية ، لا بالنص الحرفي ـ تهافت الفلاسفة ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، ط ٣ ، ص ٢٣٢ و ٢٣٣ ـ دار المعارف مصر ١٩٥٨ .

(١٢) تهافت التهافت ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، ص ٧٦٧ ـ ٧٦٩ ، دار المعارف مصر ١٩٦٥ .

ولقد ابتدع الدكتور دنيا طريقة في التحقيق غريبة عجيبة ، فهو يدخل في النص لا في الحاشية الاختلافات بين النسخ ، فكأنه يتعمد عرقلة عقل القارئ . وهذا مثال على بدعته (وعليه وزرها فقط لأنه لن يرتكبها غيره إلى يوم القيامة) « . . العلم الطبيعي نظري والطب عملي . وإذا تكلمنا في شيء مشترك للعلمين فمن جهتين ، مثل تكلمنا في الصحة والمرض ، وذلك أن صاحب العلم الطبيعي ينظر في الصحة والمرض من حيث هما من أجناس الموجودات الطبيعية ، والطبيب ينظر فيها ـ وفي نسخة فيها من حيث ـ وفي نسخة بزيادة إنه ـ يحفظ أحدهما ـ وفي نسخة بزيادة أعني الصحة ـ ويبطل ـ وفي نسخة يزيل ـ الأخر ـ وفي نسخة بزيادة أعني المرض ـ أعني أنه ينظر في الصحة من حيث يحفظها وفي المرض ـ وفي نسخة بدون عبارة إنه ينظر في . . وفي المرض ـ من حيث يزيله » .

(١٣) كتاب « إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد » ، ص ٦٢ - ٧٨ - مطبعة الموسوعات بمصر ١٩٠٠ .

ومحمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري ويعرف بابن الأكفاني أبو عبد الله طبيب وعالم بالحكمة والرياضيات . ولد ونشأ بسنجار وسكن القاهرة وزاول صناعة الطب وتوفي فيها . له تصانيف منها : « نخب الذخائر في أحوال الجواهر » ، « كشف الرين في أحوال العين » ، « النظر والتحقيق في تقليب الرقيق » ، « اللباب في الحساب » الخ .

(١٤) « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » ، تحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور ، ج ١ ، ص ٣٢٤ - ٣٥٩ ، دار الكتب الحديثة مصر ١٩٦٨ .

وأحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زاده ولد في بروسه سنة ٩٠١ في أسرة علم ، وتنقل مع أبيه في مدن كثيرة ، وقرأ على شيوخ كانوا علماء عصره علوم اللغة وعلوم الدين والمنطق والعلم الإلهي والفلك والخلاف والجدل . عمل في التدريس وفي القضاء . كف بصره في أخريات حياته . ألف كثيراً من الكتب :المعالم في علم الكلام - شرح القسم الثالث من كتاب المفتاح للسكاكي - الشفاء لأدواء الوباء الخ . . وأهم كتبه : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية - مفتاح السعادة .

(١٥) محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي شمس الدين المشهور بشيخ الربوة . ولد في دمشق سنة ٦٥٤ ، وولي مشيخة الربوة ومات في صفد . كان ذكياً فطناً متقشفاً صبوراً ، يصنف في كل علم عرفه أم لم يعرفه . أصابه الصمم قبل موته بعشر سنين وأضر من عينه الواحدة . له من المصنفات : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر - الدر الملتقط من علم فلاحتي الروم والنبط .

(١٦) ولد أبقراط في جزيرة كوس قريباً من سنة ٤٦٠ ق.م . وتعلم الطب على والده هراكليدس وعلى هيروديكوس السليمبري . وساح في بلاد اليونان . وتوفي في لاريسا عن عمر يناهز الخمسة والثمانين عاماً نحو سنة ٣٧٥ ق .م . ينتسب أبقراط لأسرة من الأطباء ، فجده أبقراط وأبوه كانا طبيبين ، ومن بعده ابناه تسالوس ودراكون وصهره بوليبوس . وهم يكونون ما يسمى بالمدرسة الكوسية في الطب التي تعد هي ومدرسة كنيدوس أشهر مدرستين في

الطب اليوناني القديم . ذكره أفلاطون في محاورتي برتـاغوراس وفيدروس ، وتحدث أرسطو في كتـاب السيـاسـة عن عظمـة أبقراط ـ ج . سـارتون ، تـاريـخ العلم ، الترجمـة العربيـة ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ـ ٢٢٠ ، دار المعارف مصر ١٩٥٩ .

(١٧) كتاب الأوبئة ، يتألف من سبعة كتب ، وهو جمهرة من الأنظمة الصحية ومجموعـة من القصص السريرية (الاكلينيكية) ، تصف الأنظمة ظروف المناخ وأحوال المرض في مواطن معينة ، وتتميز الملاحظات السريرية بطابع علمي ولهجة رصينة .

وقد نسب القدامى الكتابين الأول والثـالث لأبقراط نفسـه ، أمـا الكتب الخمسة الأخرى فردوهـا إلى أبقراطيين آخرين ، فنسبـوا الكتـابين الثـاني والسـادس إلى تسـالـوس بن أبقراط ، وكذلك الرابع على شك ـ المرجع نفسه ، ص ٢٦٢ ـ ٢٧٢ .

(١٨) كتاب الأهويـة والميـاه والأمـاكن ـ صحيح النسبـة ، أي أنـه أبقراطي قـديم . وهو أول بحث في الأدب العـالمي يعـالـج علم المنـاخ الطبي . يقـول فيـه أبقراط : إن على الطبيب أن يـدرس كل مسـألـه طبيـة في جوهـا الجغرافي والبشري الخـاص لأن الأمراض تختلف بـاختـلاف الأماكن تبعـاً لتبـاين طبيعـة سطح الأرض واختلاف المنـاخ وتفـاوت الطبيعيـة الإنسـانيـة . ويعـالـج فيـه أيضـاً تـأثير المنـاخ في الطبـاع : مـا الفرق بين أوربـا وآسيـا ، أو بين الهيلينيين والبرابرة ؟

كتاب طبيعة الإنسان ، وكتاب التدبير الصحي في العافية ـ هـذان الكتـابـان مجموعـان في مجلد واحد ، وكذلك كانا في المخطوطات القـديمـة . وقـد اقتبس أرسطو نبـذة من كتـاب طبيعـة الإنسان ونسبهـا الى بوليبوس صهر أبقراط . وأهم مـا في هـذا الكتـاب بحث نظريـة الأخلاط ، وهو الكتاب الأبقراطي الوحيـد الـذي عـالج هـذه النظريـة . ويقرر كتـاب التـدبير الصحي في العافية قواعد للتغذية والتمارين الرياضية بحسب فصول السنة ومزاج الإنسـان وسنـه ـ المرجع نفسه ، ص ٢٨١ و ٢٨٢ .

(١٩) ذكره القفطي في « تـاريـخ الحكمـاء » قـال : « فـاضـل كبير عـالم . . وكان معـاصراً لبقراط . وأظنه شامي الدار . كان خبيراً بالفراسة عالمـاً بها إذا رأى الشخص وتركيبـه استـدل بتركيبه على أخلاقه ، وله في ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية . وله قصة مع أصحاب أبقراط طريفة . . » ـ تاريخ الحكماء ، ص ٦٠ ، تحقيق ليبرت ، ليبزيغ ١٩٠٣ .

(٢٠) في الفهرست طبعة طهران لم يأت النعت بأنه منحول في المتن بل في الحاشية نقلاً عن طبعة فلوجل ـ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٧٦ ، طبعة طهران ١٩٧١ .

(٢١) أضاف بروكلمان إلى « سر الأسرار » اسماً ثالثاً « المقالات العشر لأرسطو طاليس » وقال عنه : « كتاب لفقه أحد العرب في القرن العاشر أو الحادي عشر من مصادر مختلفة » ـ تاريخ الأدب العربي ، الترجمة العربية ، ج ٤ ، ص ٩٤ و ٩٥ .

(٢٢) « كتاب الطب المنصوري » عرض للطب في عشر مقالات : الأولى في التشريح ومنافع الأعضاء ـ الثانية في الأمزجة ـ الثالثة في الأدوية البسيطة ـ الرابعة في حفظ الصحة ـ الخامسة في أمراض الجلد والدهون ـ السادسة في غذاء المسافر ـ السابعة في الجراحة ـ الثامنة في السموم ـ التاسعة في أمراض الأعضاء المختلفة ـ العاشرة في الحميات ـ المرجع نفسه ، ج ٤ ، ص ١٧٥ .

(٢٣) البيهقي ، مناقب الشافعي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ج ٢ ، ص ١٣٤ ، دار التراث ، مصر ١٩٧٠ .

(٢٤) الفهرست ، ص ٢٦٤ .

(٢٥) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ .

(٢٦) مناقب الشافعي ، ج ٢ ، ص ١٣٠ ـ ١٣٧ .

(٢٧) المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .

(٢٨) ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج ٢ ، الباب الثامن والأربعون ومائة « في معرفة مقام الفراسة وأسرارها » ، ص ٢٣٥ ـ ٢٤١ ـ طبعة دار صادر بيروت .

(٢٩) المرجع نفسه ، ص ٢٣٥ .

عبد الكريم زهور عدي

آراء وأنباء

مجمعي افتقدناه

المرحوم الدكتور حكمة هاشم

الأستاذ عبد الهادي هاشم



في التاسع والعشرين من حزيران ١٩٨٢ م (٨ / ٩ / ١٤٠٢ هـ) ذهب فجأة الى لقاء ربه المفكر والعالم المجمعي الدكتور حكمة هاشم ، ففقد مجمع اللغة العربية بدمشق بوفاته رجلاً فذّاً من رجالاته ، وعَلَما متميزا من أعلام الفكر في هذا العصر ، وعالما من أنضج علماء هذا الوطن العربي .

ولـد الفقيـد في دمشـق ، في آخر يـوم من أيـام العـام ١٩١٣ م (٢ / ٢ / ١٣٣٢ هـ) في أسرة محافظة عرف الكثيرون من أبنائها بالتفقّه في الدين والتبّحر في اللغة ، فعبّ قدراً وافياً من الثقافة الاسلامية من صغره ، وتخرّج بطائفة من الشيوخ والعلماء من رجالات ذلك العصر ، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية في بعض معاهد دمشق العربية والأجنبية دخل الجامعة السورية (جامعة دمشق اليوم) ونال شهادة مدرسة الأدب العليا واجازة كلية الحقوق في الثلاثينيات ، ثم أوفدته الحكومة السورية إلى باريز لدراسة الفلسفة في جامعتها (السوربون) . وحالت الحرب العالمية الثانية دون عودته الى بلده بعد أن نال الاجازة في الفلسفة ، فانصرف الى تعمق دراسة الفلسفة الاسلامية والاطلاع على ذخائر المخطوطات العربية المحفوظة في دار الكتب الوطنية في باريز ، ونال دكتوراه الدولة من السوربون بدرجة الشرف الممتازة عام ١٩٤٦ . وكان يقوم أثناء ذلك بالتدريس في المدرسة القومية للغات الشرقية الحية . ثم عاد الى دمشق فسمّي أستاذاً للتربية وعلم النفس الاجتماعي في كلية الآداب في الجامعة السورية ، ثم اختير عميداً للمعهد العالي للمعلمين (كلية التربية اليوم) .

وفي غضون ذلك ، انتُخب الفقيد عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٣ خلفا للعلامة المرحوم الأستاذ محسن الأمين العاملي ، وقد استقبله باسم المجمع شاعر الشام الأستاذ المرحوم شفيق جبري في جلسة عامة عقدت في ٢٥ / ٣ / ١٩٥٤ ، وكان مما قاله يومئذ يخاطبه : (. . . لقداجتمعتْ فيك قوتان : قوة شرقية وقوة غربية ، أخذتَ عن العرب هذه اللغة التي أحببتَها حباً جمّاً ملأ شعورك . . . وأخذتَ عن الغرب هذه النظرة الصادقة الى الحياة وهذا التفكير القوي . .)

أصاب الفقيد في عمله العلمي والاداري نجاحاً بوّأه منصب مدير جامعة دمشق (تشرين الأول ١٩٥٨)ثم اعتزل العمل الرسمي في بلده لخلاف سياسي بينه وبين أولي الأمر يومئذ ، فدعته جامعة محمد الخامس في الرباط للتدريس فيها ،

واستجاب لدعوتها وقضى في التدريس فيها أمداً نعم فيه بالهناء والغبطة ، ثم رغبت اليه منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في أن يرأس بعض بعثاتها إلى الجزائر وليبيا ، وقضى في مهمته هذه سنوات . ثم لمّا اعتزل العمل في هذه المنظمة أقام في باريز وعاود ارتياد دار الكتب الوطنية فيها والتنقيب في مخطوطاتها العربية مما كان قد بدأ فيه قبل لواذ خمسة وثلاثين عاماً أنفقها في التدريس والبحث والمحاضرة متنقلاً في كثير من البلاد العربية والأجنبية . وقد أخذ في أيامه الأخيرة يوافي إحدى المجلات العربية الرصينة برسالته الثقافية التي كان قراؤها يترقبونها ويحرصون على مطالعتها بكثير من الشوق والتلهف ، إذ كانت تقفهم على كثير مما يجدّ في مجالات المعرفة الغربية من مستحدثات فكرية وأدبية وعلمية .

وقد عجّل في وفاته ، فيما يقول خلصاؤه الأقربون ، ما حلّ بلبنان من محن أليمة وأحداث دامية كانت أنباؤها تقضّ مضجعه وتنغص عليه صفو أيامه .

ساهم الفقيد في الكثير من الندوات الفكرية وحاضر في بعض الجامعات العربية والغربية بالعربية والفرنسية ، وشارك في بعض اللقاءات والمؤتمرات الثقافية والفكرية في مشرق الوطن العربيّ ومغربه وفي بعض البلدان الأوربية والأميركية ، ونشر في شتى المجلات كثيراً من المقالات والبحوث . وفي أسلوبه الكتابي والخطابي جزالة وأصالة وإحكام قلّ من يضارعه فيها ، هذا إلى التزام بالفكر العلمي الموضوعي ، وصدع بالحكم السديد الراجح ، وترفّع عن الهوى والتحيّز لرأي لم يقم عنده الدليل القاطع على صحّته ، ولو لقي في سبيل ذلك عنتاً وضراً .

لم ينشر الفقيد الكثير من التصانيف ، ولكنّ ما بين أيدي الناس من تآليفه ينمّ عن سعة معرفته وصحة حكمه وسلامة محاكمته وجزالة أسلوبه ، وقديماً قال الشاعر العربيّ :

بُغاث الطير أكثرها فراخا ... وأمّ الصقرْ مقلات نزورُ

وممّا يعرف من كتبه :

(١) كتاب نقد مذهب المشائين والأفلاطونية الحديثة عند الغزالي بالفرنسية .

(٢) كتاب ميزان العمل ، وهو دراسة تحليلية وترجمة فرنسية لكتاب ذي نزعة نفسانية صوفية ، كتبه الغزالي في أواخر أيامه في الاخلاق والتصوّف ، (وقد طبع في باريز عام ١٩٤٥) .

(٣) كتاب المذاهب الفلسفية المعاصرة ، لآندره كريسون وقد ترجمه عن الفرنسية ، ونشر في مطبوعات الجامعة السورية .

(٤) كتاب المدخل إلى علم النفس الجماعي لبلونديل وقد ترجمه عن الفرنسية ونشر في دار المعارف في القاهرة .

(٥) كتاب إعداد المربّي ، وقد ألّفه بالاشتراك مع المرحومين الدكتور جميل صليبا والدكتور سامي الدروبي وطبعته وزارة المعارف السورية .

عرفتُ الفقيد منذ ستين عاما لم تنقطع بيننا أواصر الودّ ، ولم تتراخ عرى المحبة ، وكنت أزداد اعجاباً به وتقديراً له عاماً بعد عام ، وذكرياتي عن الفقيد تملأ الصفحات الكثيرة ، ولكنني أحتفظ بها اليوم لنفسي ، على أنني أذكر حادثة واحدة خطرت لي وانا أكتب هذه الكلمة ، فقد عين الفقيد في مقتبل شبابه معلماً ابتدائياً في قرية صغيرة من أرياف دمشق في أول الثلاثينيات ، وجرت العادة يومئذ بأن يعرض على ناشئة الموظفين استبيان يطلب منهم فيه الاجابة عن أسئلة كثيرة منها : ماذا تودّ أن تكون في المستقبل ؟ فكان جواب معلّم القرية الفتى الناشىء دون تردّد : أريد أن أصبح أستاذاً في الجامعة وقد رأى رؤساؤه يومئذ في هذا الجواب شططا في الطموح وفرطا في الجموح . ولكن لم ينقضِ عقدان من السنين حتى كان معلّم القرية أستاذا (ذا كرسيّ) في الجامعة بكفايته ومقدرته وجدّه ، ثم ما لبث أن أصبح مديرا لهذه الجامعة وقد نيطت به مهمّة إعادة تنظيمها .

أختمِ هذه الكلمة بابيات أنشدها على قبره في باريز بُعَيد وفاته صديقه وزميلنا الدكتور أمجد الطرابلسي :

أتيتُ يـــاحكمـــة أبكي ودّكْ أذكر عهـدي هـا هنـا وعهـدك
أبكي علينـا لا عليـك وحـدك هـذا مصيري يـا أخيّ بعـدك
مَن يـا ترى إذا قصـدتُ قصـدك يـذكر لحـدي أو يـزور لحـدك

كنّـا نقـول غربـة يـومـا لهـا انقضـاء
ثمّ نعـود حيث ننسى البعـد والشقـاء
ونلتقي في حيّنـا أهـلا وأصـدقـاء
هـاهي ذي تصرّمت وانكشف العماء
من بعـد غربـة الحيـاة غربـة الفنـاء
وهـذه يـا صـاحبي ليس لهـا انتهـاء

الأستاذ عبد الهادي هاشم

بدوي الجبل

تصحيح وتوضيح

المحامي هاشم عثمان

الدكتور عدنان الخطيب ، علم من أعلام الأدب والفكر الذين تفاخر الضاد بهم . وقد قرأت بإعجاب مقاله الرائع الهام عن بدوي الجبل المنشور في الجزئين الأول والثاني ـ ك ٢ / نيسان ١٩٨٢ ـ من مجلة مجمع اللغة العربية الغراء وبما أنني معنيّ ببدوي الجبل وبأدبه ، ولديّ عنه مؤلف ضخم ماثل للطبع ، جمعت فيه جلّ آثاره الشعرية والنثرية ومنها ماهو غير معروف من جمهرة القراء . لذلك أحببت أن أعلّق على مقال الدكتور بالكلمات التالية :

١ ـ حول تاريخ ولادة بدوي الجبل : عُرف عن البدوي تكتمه الشديد فيما يتعلق بعمره الحقيقي . هو يقول عن نفسه أنه من مواليد عام ١٩٠٥ . وفي مقابلة أجرتها معه مجلة (ألوان) عام ١٩٦٢ يقول : « في عام ١٩٢٠ أو ١٩٢١ وكنت يومها في الرابعة عشرة . . . » أي أنه من مواليد ١٩٠٦ أو ١٩٠٧ . وقيد نفوسه يشير إلى أنه من مواليد عام ١٨٩٨ لكن البدوي يقول إن هذا التاريخ هو تاريخ ولادة أخ له توفي قبله ولم يُرقّن قيده من السجل المدني ، فلما وُلد هو سمّي باسم أخيه المتوفى وحمل تاريخ ولادته . وذكر لي السيد علي نجيب ، وهو ترب الشاعر ورفيق صباه وزميله في الدراسة في القرية ، أنه أكبر من بدوي الجبل بسنة واحدة ، وعليّ المذكور من مواليد عام ١٨٩٨ .

٢ ـ حول تلقيه العلم : انتقل بدوي الجبل وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره مع أخته فاطمة إلى قرية (عين التينة) وقرأ على الشيخ عبد اللطيف شريف ، وكان المرحوم نجيب خزيم قد أحضر هذا الشيخ إلى القرية المذكورة لتعليم أبنائه وأبناء القرية ، وأقطعه أرضاً يعيش منها .

ثم انتسب بدوي الجبل إلى مدرسة إعدادي مكتبي في اللاذقية (١٩١٧ / ١٩١٨) .
ويقول بدوي الجبل إنه درس في مكتب عنبر بدمشق لمدة خمسة أشهر . فهو إذن لم يتجاوز المرحلة الابتدائية من التعليم ، لكن مواهبه الشعرية فاقت أصحاب الشهادات .

٣ ـ **لقبه :** ذكر الدكتور عدنان الخطيب : « في اليوم التالي فوجئت دمشق بصحيفة (ألف باء) تتصدرها قصيدة على الصورة التالية (ماك سويني) .

أحقاً ما روت عنك الرواة . . . . . .

قرأ أهل دمشق القصيدة . . . . وأخذوا يتداولون الرأي فيمن يكون (بدوي الجبل) صاحب القصيدة » . . .

وفي الحقيقة ، إن قصيدة (ماك سويني) التي أوردها الدكتور الخطيب والمنشورة في ديوان بدوي الجبل الأول ،ليست هي القصيدة التي نشرها الأستاذ يوسف العيسى وذيَّلها بتوقيع بدوي الجبل . لان بدوي الجبل في مقابلة له مع إحدى المجلات العربية قال : إن عنوان القصيدة هو « صلاة » ويتذكر منها الأبيات التالية :

أمنوِّل الأمم الضعيفة حقها
ومديلها القهار من ظلاّمها
اسمحْ لنصرك ان يرفرف فوقها
ويطاول الجوزاء في إعلامها
إن لم تروِّ الفوزَ قبل حمامها
فاسمح به يا ربّ بعد حمامها
فتراه بعد الموت في أرواحها
إن لم تكن شهدته في أجسامها

وهذه القصيدة مفقودة لم نعثر عليها .

أما الذي أقام الحفلة التي جرى فيها الكشف عن شخصية بدوي الجبل وتقديمه إلى

الأدباء ، بعد أن ذاع هذا الإسم على ألسنة القراء ، هو يوسف العيسى نفسه كما ذكر بدوي الجبل في أكثر من مقابلة صحفية أُجريت معه ، وذلك خلافاً لما ذكر الدكتور الفاضل من أن قاسم الهيماني صاحب جريدة (الفيحاء) هو الذي دعا إلى الحفلة .

٤ ـ **حول مهادنة بدوي الجبل للفرنسيين :** يقول الدكتور عدنان الخطيب : « لم يترك الشاعر خلال مهادنته الفرنسيين فرصة إلا وندّد باحتلالهم البلاد وما اقترفوه من مظالم وآثام ، داعياً أبناء البلاد إلى العمل على وحدة الكلمة . ولمّ الشمل . . . والحقيقة أن بدوي الجبل خلال مهادنته للفرنسيين تبنّى طروحاتهم السياسية الرامية إلى فصل الساحل عن سورية ودافع عن هذه الفكرة ، وهذا ما يتبين من رسالته إلى مسيو ليون بلوم ورسالته إلى أسعد عقل صاحب جريدة البيرق وخطابه أمام دي مارتيل وخطابه في بانياس ، كما هو مفصّل في كتابنا بدوي الجبل بين السياسة والأدب الماثل للطبع .

وأكثر من ذلك ، فإن بدوي الجبل مدح الجنرال غورو بقصيدة إثر معركة ميسلون عنوانها (تحية الجنرال) جاء فيها :

أسدٌ أطلَّ على الشآم فهلّلتْ
وكذا تكونُ تحيةُ الآسادِ

أما المصادر التي ترجمت لبدوي الجبل أو درست أدبه فهي كثيرة جداً جداً لم نذكرها خشية الإطالة ، وعسى أن نعود إلى هذا الموضوع في مقال قادم .

هذا ماعنَّ لي ذكره توضيحاً لمقال الدكتور عدنان الخطيب ذكرته إحقاقاً للحق وإتماماً للفائدة .

اللاذقية ـ المحامي هاشم عثمان

الكتب المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق في الربع الثالث من عام ١٩٨٢

- **تثقيف الأذهان بعقيدة الإسلام والإيمان** - تأليف عبد الله بن زيد المحمود - قطر ١٩٨٢ .
- **الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم** - تأليف عبد الله بن زيد المحمود - قطر ١٩٨٢ .
- **الحكم الشرعي في الطلاق السني والبدعي** - تأليف عبد الله بن زيد المحمود - قطر ١٩٨٢ .
- **العروض وموسيقى الشعر العربي** - تأليف د . محمد علي سلطاني - دمشق ١٩٨٢ .
- **فصول في النحو** - تأليف د . محمد علي سلطاني - دمشق ١٩٨٢ .
- **ما جاء على فعلتُ وأفعلتُ بمعنى واحد مؤلف على حروف المعجم** - تأليف أبي منصور الجواليقي - تحقيق ماجد الذهبي - دمشق ١٩٨٢ .
- **دراسة في منهجية البحث التاريخي** - تأليف د . ليلى الصباغ - دمشق ١٩٨٠ .
- **أمير مغربي في طرابلس أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الاسحاقي** - تأليف د . عبد الهادي التازي - المغرب - جامعة محمد الخامس .
- **سير الأئمة وأخبارهم** - تأليف أبي زكريا يحيى بن أبي بكر - تحقيق وتعليق اسماعيل العربي - الجزائر ١٩٧٩ .
- **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران** - تأليف محمد بن يوسف الزياني - تقديم وتعليق المهدي البو عبد لي - الجزائر ١٩٧٨ .

- **الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية** - تأليف رشيد بو رويبة ترجمة ابراهيم شبوح - الجزائر ١٩٧٩ .
- **الدراسات العربية والاسلامية في أوروبا** - تأليف ميشال جحا - بيروت ١٩٨٢ .
- **تاريخ الأدب العربي (الجزء الرابع) الأدب في المغرب والأندلس** - تأليف الدكتور عمر فروخ - بيروت ١٩٨١ .
- **نقيب كوبينيك** - تأليف كارل تسوكاير - ترجمة وتقديم د . عبد السلام اسماعيل - مراجعة د . مصطفى ماهر - الكويت ١٩٨٢ .
- **حفل كوكتيل** - تأليف ت . س . إليوت - ترجمة وتقديم صلاح عبد الصبور - مراجعة د . أمين العيوطي .
- **الحماية الفرنسية : بدؤها - نهايتها** - تعريب د . عبد الهادي التازي .
- **العلاقات المغربية الايرانية عبر التاريخ** - تأليف د . عبد الهادي التازي .
- **رسائل مخزنية على عهد السلطان مولاي الحسن وابنه السلطان مولاي عبد العزيز تتعلق بأمين الأمناء محمد (محا) التازي وشقيقه عبد السلام (القسم الأول)** - تأليف د . عبد الهادي التازي .
- **مشارق الأنوار على صحاح الآثار** - تأليف القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي (الجزء الأول) تحقيق البلعمشي أحمد يكن - المغرب ١٩٨١ .
- **مكارم الآثار وأحوال رجال دو قرن ١٣ و ١٤ هجري (باللغة الفارسية)** - تأليف آقاي ميرزا محمد علي - أصفهان .
- **في دروب العدالة** - تأليف د . صبحي محمصاني - بيروت ١٩٨٢ .
- **أغنيات قلب (شعر)** - مقبولة الشلق - دمشق .
- **بلا تونوف أو فضيحة في الريف - (مسرحية)** - تأليف أنطون تشيكوف - ترجمة فاروق عبد القادر - دمشق ١٩٨٢ .
- **لعبة البنج - بونج (مسرحية)** - تأليف أرتور أداموف - ترجمة فاروق عبد القادر - دمشق ١٩٨٢ .

- **كيف أدرك العالم (مذكرات عمياء - بكماء - صماء)** - تأليف أولغاسكوروكودوفا - ترجمة ميشيل واكيم - قصي أتاسي - دمشق ١٩٨١ .
- **ابن باديس وعروبة الجزائر** - تأليف محمد الميلي - الجزائر ١٩٧٣ .
- **السينما في الوطن العربي** - تأليف جان الكسان - الكويت ١٩٨٢ .
- **العمال الجزائريون في فرنسة (دراسة تحليلية)** - تأليف د . عمار بوحوش - الجزائر .
- **الأنترو بولوجيا والاستعمار** - تأليف جيرار لكلرك - ترجمة د . جورج كتورة - بيروت ١٩٨٢ .
- **البدائية** - تحرير أشلي مونتا غيو - ترجمة د . محمد عصفور - الكويت ١٩٨٢ .
- **التكنو لوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي** - تأليف د . محمد السيد عبد السلام - الكويت ١٩٨٢ .
- **النفط والعلاقات الدولية (وجهة نظر عربية)** - تأليف د . محمد الرميحي - الكويت ١٩٨٢ .
- **مواصلة رائعة لقضية الكيمئيلسونفية** - تأليف محمد المصري - كوريا ١٩٨٢ .
- **في السياسة والأمن** - تأليف أمين هويدي - بيروت ١٩٨٢ .
- **اسرائيل في ظل حكومة بيغن الثانية** - تأليف د . مصطفى حفال ، هاني عبد الله ، نهاد حشيشو - بيروت ١٩٨٢ .
- **العالم الثالث والثورة** - تأليف نجاح واكيم - بيروت ١٩٨٢ .
- **فهرس المخطوطات (الجزء السادس)** - دار الكتب الوطنية - تونس ١٩٨١ .

محمد مطيع الحافظ

فهرس الجزء الرابع للمجلد السابع والخمسين

المقالات

التعريف والنقد

آراء وأنباء

الفهارس العامة للمجلد السابع والخمسين

ـ أ ـ فهرس الأعلام (أسماء كتاب المواد)

منسوقة على حروف المعجم

ـ أ ـ

ـ ح ـ

ـ ص ـ

ـ ع ـ

- ف -

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

ـ ب ـ فهرس المواد

منسوقة على حروف المعجم

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ